إيليا أبو ماضي

إيليا بن ظاهر أبي ماضي المولود في المحيدثة بلبنان عام 1889م والمتوفي في نيويورك عام 1957م

إيليا أبو ماضي

هو إيليا بن ظاهر أبي ماضي من كبار شعراء المهجر في أمريكا الشمالية. ولد في المحيدثة بلبنان. بدأ دراسته في قريته ثم سافر إلى الاسكندرية عام 1900م.

أولع بالأدب والشعر حفظاً ومطالعة ونظماً ، وفي عام 1911م أصدر ديوانه الأول (تذكار الماضي).

هاجر إيليا أبو ماضي إلى الولايات المتحدة وأقام في مدينة سنسناتي واحترف التجارة. وفي عام 1916 انتقل إلى نيويورك حيث انضم إلى نخبة الأدباء المهجريين الذين أسسوا الرابطة القلمية وفيها طبع ديوانه الثاني الذي قدم له الشاعر جبران خليل جبران وانصرف منذ ذلك الحين إلى الصحافة فعمل في جريدة مرآة الغرب ثم أصدر جريدة السمير أسبوعية ثم يومية عام 1929م في بروكلن إلى أن توفي بها .

أصدر ديوانه الثالث الذي قدم له الشاعر ميخائيل نعيمة عام 1925م، وفي عام 1940م أصدر ديوانه" الخمائل " وقد نظم بعد ذلك شعر كثير نشرها في الصحف والمجلات في الوطن وفي المهجر.

الديوان

قصيدة الطبيعة

روض إذا زرته كئيبا

نفّس عن قلبك الكروبا

يعيد قلب الخليّ مغرا

و ينسى العاشق الحبيبا

إذا بكاه الغمام شقّت

من الأسى زهرة الجيوبا

تلقى لديه الصّفا ضروبا

و لست تلقى له ضريبا

و شاه قطر الندى فأضحى

رداؤه معلما قشيبا

فمن غصون تميس تيها

و من زهور تضوع طيبا

و من طيور إذا تغنّت

عاد المعنّى بها طروبا

و نرجس كالرقيب يرنو

و ليس ما يقتضي رقيبا

و أقحوان يريك درّا

و جلّنار حكى اللّهيبا

و جدول لا يزال يجري

كأنّه يقتفي مريبا

تسمع طورا له خريرا

و تارة في الثرى دبيبا

إذا ترامى على جديب

أمسى به مربعا خصيبا

أو يتجنّى على خصيب

أعاده قاحلا جديبا

صحّ فلو جاءه عليل

لم يأت من بعده طبيبا

و كلّ معنى به جميل

يعلّم الشاعر النسيبا

أرض إذا زارها غريب

أصبح عن أرضه غريبا

لا يدرك الهرم النجوم

(قصيدة بعث بها الى صديقة الشاعر المرحوم مسعود سماحة)

يا شاعرا حلو المودّة في الحضور و في الغياب

شهد ولاءك و الأنام و لاؤهم شهد وصاب

أنا إن شكوت إليك منك ، و سال في كتبي العتاب

فحكايتي كحكاية الظمآن في قفر يباب

لم يروه لمع السراب فراح يستسقي السحاب

فهمي ، فكان الخير فيه للأباطح و الهضاب

" مسعود " أهون بالمشيب فما امّحى إلا الخضاب

الكأس أجمل في النواظر إذ يرصّعها الحباب

إن شاب منك المفرقان فما أظنّ القلب شاب

لا تزعمنّ له المتاب غإنّ توبته كذاب

ما زال يخفق بالهوى ، و يفيض بالسحر العجاب

و يريك دنيا لا تحدّ ، ومن ورائك ألف باب

دنيا من اللّذات و الأفراح في دنيا عذاب

و يريك جنات الجمال و أنت في الطلل الخراب

*

أفتى القوافي الشاديات كأنّها أطيار غاب

إن قيل إنك صرت شيخا ، قل أجل شيخ الشباب

أترى إذا العنوان ضاع يضيع مضمون الكتاب

ألسيف ليس يعيبه مشي الخلوقة في القراب

و الخمر خمر في إناء من لجين أو تراب

و حياة مثلك ليس تدخل في قياس أو حساب

فغد زمانك مثل أمس و إن مضى عصر الشباب

لا يدرك الهرم النجوم و أنت في الدنيا شهاب

و إذا يعاب على المشيب فتى فمن ذا لا يعاب

أو كان يمدح بالسواد فمن ترى مدح الغراب

*

يا نفحة من شاعر

أرج الكتاب بها وطاب

الفجر أهدى لي السنا

و الروض أهدى لي الملاب

الناسكة

أبصرت في الحبل قبيل المغيب

سنبلة في سفح ذاك الكئيب

حانية مطرقة الرأس كأنما تسجد للشمس

أو أنها تتلو صلاة المساء

***

فملت عن راهبة الحقل

وسرت لا ألوي على ضلّي

ألتقط الحب وأذريه وتارة في النار ألقيه

مستخرجا منه لجسمي غذاء

***

قد غابت الشمس وراء القمم

وسكت الطير الذي لم ينم

لكنّ ناري لم تزل ترعج ولم ازل آكل ما تنضج

يا حبذا النار ونعم الشواء

***

وأنني في مرحي والدّد

أذ صاح بي صوت بلا موعد

ما الحبّ، يا هذا، ولا السنبل ما تأكل النار وما تأكل

وأنما أسلافك الأصفياء

***

لا بشر، لا طائر ماثل

يا عجبا!نطق ولا قائل

من أين جاء الصوت؟ لا أدري لكنّما ناسكةالبرّ

قد رفعت هامتها للعلاء

يا صاح !

يا صاح كم تقاحة غضّة

يحملها في الرّوض غصن رطيب

ناضجة ترتجّ في جوّها

مثل ارتجاج الشّمس عند المغيب

حرّضك الوجد على قطفها

لّما غفا الواشي ونام الرّقيب

لكن لأمر أدرى به

رجعت عنّها المستريب
تقول للنفس الطّموح اقصري
ما سرقه التقّاح شأن الأريب
*
وربّ صفراء كلون الضّحى
ينقي بها أهل الكروب الكروب
دارت على الشّرب بها غادة
كأنها ظي الكناس الرّبيب
في طرفك السّاجي هيام بها
وبين أحشائك شوق مذيب
لكن لأمر أنت أدرى به
رجعت عنها رجعت المستريب
تقول للنفس الطّموح اقصري
ما غرّ با لصّهباء يوما لبيب
أياك أياك وأكوابها
أخت الخنا هذي وأم الذنوب
وكم شفاه أرجوانّية
كأنها مخضوبة باللّهيب
ساعدك الدّهر على لثمها
ورشف ما خلف اللّهيب العجيب
لكن لأمر أنت أدرى به
رجعت عنها رجعة المستريب
تعنّف القلب على غيّة
وتعذل العين التي لا تنيب
قتلت نزعاتك في مهدها
ولم تطع في الحب حتّى الحبيب
*
والآن لّما انجاب عنك الصّبى
ولاح في المفرق ثلج المثيب
واستسلم القلب كما استسلمت
نفسك لليأس المخوف الرّهيب
أراك للحسرة تبكي كما
يبكي على النّائي الغريب الغريب
تودّ لو أنّ الصّبى عائد

هيهات قد مرّ الزّمان القشيب

*

خلّ البكا يا صاحي والأسى

اللّيل لا يقصيه عنك النّحيب

لا خير في الشّيء انقضى وقته

ما لقتيل حاجة بالطّبيب!!!

فردوسي

بنيت فردوسي وزخرفته

حتى أذاما تم ضيّعته

أجريت في أنهاره كوثرا

فذاقه الناس وما ذقته

الطلاسم

جئت، لا أعلم من أين، ولكنّي أتيت

ولقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت

وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري!

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود

هل أنا حرّ طليق أم أسير في قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود

أتمنّى أنّني أدري ولكن...

لست أدري!

وطريقي، ما طريقي؟ أطويل أم قصير؟

هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور

أأنا السّائر في الدّرب أم الدّرب يسير

أم كلانا واقف والدّهر يجري؟

لست أدري!

ليت شعري وأنا عالم الغيب الأمين

أتراني كنت أدري أنّني فيه دفين

وبأنّي سوف أبدو وبأنّي سأكون

أم تراني كنت لا أدرك شيئا؟

لست أدري!

أتراني قبلما أصبحت إنسانا سويّا
أتراني كنت محوا أم تراني كنت شيّا
ألهذا اللّغو حلّ أم سيبقى أبديّا
لست أدري... ولماذا لست أدري؟
لست أدري!
البحر:
قد سألت البحر يوما هل أنا يا بحر منكا؟
هل صحيح ما رواه بعضهم عني وعنكا؟
أم ترى ما زعموا زوار وبهتانا وإفكا؟
ضحكت أمواجه مني وقالت:
لست أدري!
أيّها البحر، أتدري كم مضت ألف عليكا
وهل الشّاطىء يدري أنّه جاث لديكا
وهل الأنهار تدري أنّها منك إليكا
ما الذّي الأمواج قالت حين ثارت؟
لست أدري!
أنت يا بحر أسير آه ما أعظم أسرك
أنت مثلي أيّها الجبار لا تملك أمرك
أشبهت حالك حالي وحكى عذري عذرك
فمتى أنجو من الأسر وتنجو؟ ..
لست أدري!
ترسل السّحب فتسقي أرضنا والشّجرا
قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثّمرا
وشربناك وقلنا قد شربنا المطرا
أصواب ما زعمنا أم ضلال؟
لست أدري!
قد سألت السّحب في الآفاق هل تذكر رملك
وسألت الشّجر المورق هل يعرف فضلك
وسألت الدّر في الأعناق هل تذكر أصلك
وكأنّي خلتها قالت جميعا:
لست أدري!
برفض الموج وفي قاعك حرب لن تزولا
تخلق الأسماك لكن تخلق الحوت الأكولا
قد جمعت الموت في صدرك والعيش الجميلا

ليت شعري أنت مهد أم ضريح؟..

لست أدري!

كم فتاة مثل ليلى وفتى كأبن الملوح

أنفقا السّاعات في الشّاطىء ، تشكو وهو يشرح

كلّما حدّث أصغت وإذا قالت ترنّح

أخفيف الموج سرّ ضيّعاه؟..

لست أدري!

كم ملوك ضربوا حولك في اللّيل القبابا

طلع الصّبح ولكن لم نجد إلاّ الضّبابا

ألهم يا بحر يوما رجعة أم لا مآبا

أم هم في الرّمل ؟ قال الرّمل إني...

لست أدري!

فيك مثلي أيّها الجبّار أصداف ورمل

إنّما أنت بلا ظلّ ولي في الأرض ظلّ

إنّما أنت بلا عقل ولي ،يا بحر ، عقل

فلماذا ، يا ترى، أمضي وتبقى ؟..

لست أدري1

يا كتاب الدّهر قل لي أله قبل وبعد

أنا كالزّورق فيه وهو بحر لا يحدّ

ليس لي قصد قبل للدهر في سيري قصد

حبّذا العلم، ولكن كيف أدري؟..

لست أدري!

إنّ في صدري، يا بحر ، لأسرار عجابا

نزل السّتر عليها وأنا كنت الحجابا

ولذا أزداد بعدا كلّما أزددت اقترابا

وأراني كلّما أوشكت أدري...

لست أدري!

إنّني ،يا بحر، بحر شاطئاه شاطئاكا

الغد المجهول والأمس اللّذان اكتنفاكا

وكلانا قطرة ، يا بحر، في هذا وذاك

لا تسلني ما غد، ما أمس؟.. إني...

لست أدري!

الدير:

قيل لي فيالدّير قوم أدركوا سرّ الحياة

غير أنّي لم أجد غير عقول آسنات

وقلوب بليت فيها المنى فهي رفات

ما أنا أعمى فهل غيري أعمى؟..

لست أدري!

قيل أدري النّاس بالأسرار سكّان الصوامع

قلت إن صحّ الذي قالوا السرّ شائع

عجبا كيف ترى الشّمس عيون في البراقع

والتي لم تتبرقع لا تراها؟..

لست أدري!

إن تك العزلة نسكا وتقى فالذّئب راهب

وعرين اللّيث دير حبّه فرض وواجب

ليت شعري أيميت النّسك أم يحيي المواهب

كيف يمحو النّسك إثما وهو إثم؟..

لست أدري!

أنني أبصرت فيّ الدّير ورودا في سياج

قنعت بعد النّدى الطّاهر بالماء الأجاج

حولها النّور الذي يحي ، وترضى بالديّاجي

أمن الحكمة قتل القلب صبرا؟..

لست أدري!

قد دخلت الدّير عند الفجر كالفجر الطّروب

وتركت الدّير عند اللّيل كاللّيل الغضوب

كان في نفسي كرب، صار في نفسي كروب

أمن الدّير أم اللّيل اكتئابي؟

لست أدري!

قد دخلت الدّير استنطق فيه الناسكينا

فإذا القوم من الحيرة مثلي باهتونا

غلب اليأس عليهم ، فهم مستسلمونا

وإذا بالباب مكتوب عليه...

لست أدري!

عجبا للنّاسك القانت وهو اللّوذعي

هجر النّاس وفيهم كلّ حسن المبدع

وغدا يبحث عنه المكان البلقع

أرأى في القفر ماء أم سرابا؟..

لست أدري!

كم تمارى ، أيّها النّاسك، في الحق الصّريح

لو أراد الله أن لا تشق الشّيء المليح

كان إذ سوّاك بلا عقل وروح

فالذي تفعل إثم ... قال إني ...

لست أدري!

أيّها الهارب إنّ العار في هذا الفرار

لا صلاح في الّذي تفعل حتّى للقفار

أنت جان أيّ جان ، قاتل في غير ثار

أفيرضى الله عن هذا ويعفو ؟..

لست أدري!

بين المقابر:

ولقد قلت لنفسي، وأنا بين المقابر

هل رأيت الأمن والرّاحة إلاّ في الحفائر؟

فأشارت : فإذا للدّود عيث في المحاجر

ثم قالت :أيّها السّائل إني...

لست أدري!

أنظري كيف تساوى الكلّ في هذا المكان

وتلاشى في بقايا العبد ربّ الصّولجان

والتقى العشق والقالي فما يفترقان

أفبذا منتهى العدل؟ فقالت ...

لست أدري!

إنّ يك الموت قصاصا، أيّ ذنب للطّهاره

وإذا كان ثوابا، أيّ فضل للدعاره

وإذا كان يوما وما فيه جزاء أو جساره

فلم الأسماء إثم أو صلاح؟.. لست أدري!

أيّها القبر تكلّم، واخبرني يا رمام

هل طوى أحلامك الموت وهل مات الغرام

من هو المائت من عام ومن مليون عام

أبصير الوقت في الأرماس محوا؟..

لست أدري!

إن يك الموت رقادا بعده صحو طويل

فلماذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل؟

ولماذا المرء لا يدري متى وقت الرّحيل؟

ومتى ينكشف السّرّ فيدري؟..

لست أدري!

إن يك الموت هجوعا يملأ النّفس سلاما

وانعتاقا لا اعتقالا وابتدا لا ختاما

فلماذا أعشق النّوم ولا أهوى الحماما

ولماذا تجزع الأرواح منه؟..

لست أدري!

أوراء القبر بعد الموت بعث ونشور

فحياة فخلود أم فناء ودثور

أكلام النّاس صدق أم كلام الناس زور

أصحيح أنّ بعض الناس يدري؟..

لست أدري!

إن أكن أبعث بعد الموت جثمانا وعقلا

أترى أبعث بعضا أم ترى أبعث كلاّ

أترى أبعث طفلا أم ترى أبعث كهلا

ثمّ هل أعرف بعد الموت ذاتي؟..

لست أدري!

يا صديقي، لا تعللني بتمزيق السّتور

بعدما أقضي فعقلي لا يبالي بالقشور

إن أكن في حالة الإدراك لا أدري مصيري

كيف أدري بعدما أفقد رشدي...

لست أدري!

القصر والكوخ:

ولقد أبصرت قصرا شاهقا عالي القباب

قلت ما شادك من شادك إلاّ للخراب

أنت جزء منه لكن لست تدري كيف غاب

وهو لا يعلم ما تحوي؛ أيدري؟..

لست أدري!

يا مثالا كان وهما قبلما شاء البناة

أنت فكر من دماغ غيّبته الظلمات

أنت أمنية قلب أكلته الحشرات

أنت بانيك الّذي شادك لا ... لا...

لست أدري!

كم قصور خالها الباني ستبقى وتدوم

ثابتات كالرّواسي خالدات كالنّجوم

سحب الدّهر عليها ذيله فهي رسوم

مالنا نبني وما نبني لهدم؟..

لست أدري!

لم أجد في القصر شيئا ليس في الكوخ المهين

أنا في هذا وهذا عبد شك ويقين

وسجين الخالدين اللّيل والصّبح المبين

هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى؟

لست أدري!

ليس في الكوخ ولا في القصر من نفسي مهرب

أنّني أرجو وأخشى، إنّني أرضى وأغضب

كان ثوبي من حرير مذهب أو كان قنّب

فلماذا يتمنّى الثوب عاري؟..

لست أدري!

سائل الفجر: أعند الفجر طين ورخام؟

واسأل القصر ألا يخفيه، كالكوخ، الظّلام

واسأل الأنجم والرّيح وسل صوب الغمام

أترى الشّيء كما نحن نراه؟..

لست أدري!

الفكر:

ربّ فكر لاح في لوحة نفسي وتجلّى

خلته منّي ولكن لم يقم حتّى تولّى

مثل طيف لاح في بئر قليلا واضمحّلا

كيف وافى ولماذا فرّ منّي؟

لست أدري!

أتراه سابحا في الأرض من نفس لأخرى

رابه مني أمر فأبى أن يستقرّا

أم تراه سرّ في نفسي كما أعبر جسرا

هل رأته قبل نفسي غير نفسي؟

أم تراه بارقا حينا وتوارى

أم تراه كان مثل الطير في سجن فطارا

أم تراه انحلّ كالموجة في نفسي وغارا

فأنا أبحث عنه وهو فيها،

لست أدري!

صراع وعراك:

إنّني أشهد في نفسي صراعا وعراكا
وأرى ذاتي شيطانا وأحيانا ملاكا
هل أنا شخصان يأبى هذا مع ذاك اشتراكا
أم تراني واهما فيما أراه؟
لست أدري!
بينما قلبي يحكي في الضّحى إحدى الخمائل
فيه أزهار وأطيار تغني وجداول
أقبل العصر فأسى موحشا كالقفر قاحل
كيف صار القلب روضا ثمّ قفرا؟
لست أدري1
أين ضحكي وبكائي وأنا طفل صغير
أين جهلي ومراحي وأنا غضّ غرير
أين أحلامي وكانت كيفما سرت تسير
كلّها ضاعت ولكن كيف ضاعت؟
لست أدري!
لي إيمان ولكن لا كأيماني ونسكي
إنّني أبكي ولكن لا كما قد كنت أبكي
وأنا أضحك أحيانا ولكن أيّ ضحك
ليت شعري ما الذي بدّل أمري؟
لست أدري!
كلّ يوم لي شأن ، كلّ حين لي شعور
هل أنا اليوم أنا منذ ليال وشهور
أم أنا عند غروب الشمس غيري في البكور
كلّما ساءلت نفسي جاوبتني:
لست أدري!
ربّ أمر كنت لّما كان عندي أتّقيه
بتّ لّما غاب عنّي وتوارى أشتهيه
ما الذي حبّبه عندي وما بغّضنيه
أأنا الشّخص الذي أعرض عنه؟
لست أدري!
ربّ شخص عشت معه زمناألهو وأمرح
أو مكان مرّ دهر لي مسرى ومسرح
لاح لي في البعد أجلى منه في القرب وأوضح
كيف يبقى رسم شيء قد توارى؟

لست أدري!

ربّ بستان قضيت العمر أحمي شجره

ومنعت النّاس أن تقطف منه زهره

جاءت الأطيار في الفجر فناشت ثمره

ألأطيار السّما البستان أم لي؟

لست أدري!

رب قبح عند زيد هو حسن عند بكر

فهما ضدّان فيه وهو وهم عند عمرو

فمن الصّادق فيما يدّعيه ، ليت شعري

ولماذا ليس للحسن قياس؟

لست أدري!

قد رأيت الحسن ينسى مثلما تنسى العيوب

وطلوع الشّمس يرجى مثلما يرجى الغروب

ورأيت الشّر مثل الخير يمضي ويؤوب

فلماذا أحسب الشرّ دخيلا؟

لست أدري!

إنّ هذا الغيث يهمي حين يهمي مكرها

وزهور الأرض تفشي مجبرات عطرها

لا تطيق الأرض تخفي شوكها أو زهرها

لا تسل : أيّهما أشهى وأبهى؟

لست أدري!

قد يصير الشوك إكليلا لملك أو نبّي

ويصير الورد في عروة لص أو بغيّ

أيغار الشّوك في الحقل من الزّهر الجنّي

أم ترى يحسبه أحقر منه؟

لست أدري!

قد يقيني الخطر الشّوك الذي يجرح كفّي

ويكون السّمّ في العطر الذي يملأ أنفي

إنّما الورد هو الأفضل في شرعي وعرفي

وهو شرع كلّه ظلم ولكن ...

لست أدري!

قد رأيت الشّهب لا تدري لماذا تشرق

ورأيت السّحب لا تدري لماذا تغدق

ورأيت الغاب لا تدري لماذا تورق

فلماذا كلّها في الجهل مثلي ؟

لست أدري!

كلّما أيقنت أني قد أمطت السّتر عني

وبلغت السّر سرّي ضحكت نفسي مني

قد وجدت اليأس والحيرة لكن لم أجدني

فهل الجهل نعيم أم جحيم؟

لست أدري!

لذة عندي أن أسمع تغريد البلابل

وحفيف الورق الأخضر أو همس الجداول

وأرى الأنجم في الظلّماء تبدو كالمشاعل

أترى منها أم اللّذة منّي...

لست أدري!

أتراني كنت يوما نغما في وتر

أم تراني كنت قبلا موجة في نهر

أم تراني كنت في إحدى النّجوم الزّهر

أم أريجا ، أم حفيفا ، أم نسما؟

لست أدري!

فيّ مثل البحر أصداف ورمل ولآل

في كالأرض مروج وسفوح وجبال

فيّ كالجو نجوم وغيوم وظلال

هل أنا بحر وأرض وسماء؟

لست أدري!

من شرابي الشّهد والخمرة والماء الزّلال

من طعامي البقل والأثماروالّلحم الحلال

كم كيان قد تلاشى في كياني واستحال

كم كيان فيه شيء من كياني؟

لست أدري!

أأنا أفصح من عصفورة الوادي وأعذب؟

ومن الزّهرة أشهى ؟ وشذى الزّهرة أطيب؟

ومن الحيّة أدهى ؟ ومن النّملة أغرب؟

أم أنا أوضع من هذي وأدنى؟

لست أدري!

كلّها مثلي تحيا، كلّها مثلي تموت

ولها مثلي شراب ، ولها مثلي قوت

وانتباه ورقاد، وحديث وسكوت

فيما أمتاز عنها ليت شعري؟

لست أدري!

قد رأيت النّمل يسعى مثلما أسعى لرزقي

وله في العيش أوطار وحق مثل حقي

قد تساوى صمته في نظر الدّهر ونطقي

فكلانا صائر يوما إلى ما ...

لست أدري!

أنا كالصّهباء ، لكن أنا صهباي ودّني

أصلها خاف كأصلي ، سجنها طين كسجني

ويزاح الختم عنها مثلما ينشّق عني

وهي لا تفقه معناها، وإني...

لست أدري!

غلط القائل إنّ الخمر بنت الخابيه

فهي قبل الزق كانت في عروق الدّاليه

وحواها قبل رحن الكرم رحم الغاديه

إنّما من قبل هذا أين كانت؟

لست أدري!

هي في رأي فكر ، وهي في عينّي نور

وهي في صدري آمال ، فوفي قلبي شعور

وهي في جسمي دم يسري فيه ويمور

إنّما من قبل هذا كيف كانت؟

لست أدري1

أنا لا أذكر شيئا من حياتي الماضية

أنا لا أعرف شيئا من ياتي الآتيه

لي ذات غير أني لست لأدري ما هيه

فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي؟

لست أدري!

إنّني جئت وأمضي وأنا لا أعلم

أنا لغز ... وذهابي كمجيتي طلسم

والّذي أوجد هذا اللّغز لغز منهم

لا تجادل ذا الحجا من قال إنّي ...

لست أدري!

وقال

المرء في غفلاته وسباته

والدّهر كالرئبال في وثباته

والعمر ظلّ والزمان يجدّ في

إخفائه، والمرء في إثباته

والحرب لا تنفكّ بينهما ، ولا

ينفكّ هذا المرء في حسراته

لا تعجبوا من جهله وغروره

وتعجّبوا إن حال عن حالاته

يسعى ولا يدري إلى حيث الرّدى

وكذا الفراش يحوم حول مماته

وتحبّب الدّنيا إليه نفسه

فيطيعها والنفس من إفاته

ويضيرها إفلاته من قيدها

وسعادة الإنسان في إفلاته

يلقى الضّراغم غير مكترث بها

فإذا سطت ضربت على سطواته

ما قاتل البطل النجيد غضنفر

إن الغضنفر من عصى شهواته

موت العبقري

في رثاء العلامة المرحوم سليمان البستاني

كلّ ميت مهما علا في حياتة

كلّ ثاو تحت الثرى من لداته

لا حدود ولا مقابيس في الموت

تساوى الجميع في ساحاتة

حاصد حقله الوجود ، وما الأحياء

إلاّ كشوكة ونباته

من نجا منه وهو في روحاته

إنما قد نجا إلى غدواته

ليس زرع الغصّات منه الثأر

ليس حصد اللذات من لذّاته

إنه يسلب الغواية كالرشد،

فليس التمييز من عاداته

لا تقل : ما وراؤه؟ ذاك سر

خبأته الحياة في ظلماته

ربّ قبر نمشي عليه وفيه

شهوات تربي على ذراته

كلّ ذي رغبة دنت أو تسامت

سوف يمضي يوما بلا رغباته

ليس عمر الفتى وإن طال إلاّ

ما حوته الحياة من مكرماته

يعظ النابغ الخلائق حيّا

إنما موته أجلّ عظاته

ظهر الموت للعيون جديدا

أمس في بطشه وفي فتكاته

وهو ترب الإنسان منذ استوى في الأرض حيا مشى على خطواته

ما الردى بالحديث في الناس لكن

نكتة العلم ضاعفت روعاته

فقد الخلق واحدا من بيته

وأضاع القريض خير حماته

شاعر، كان يرقض الدهر أحيانا ،

ويبكي حينا على نغماته

ذهب الساحرون والسحر باق

في عيون المهى وفي كلماته

منشيء رقّ لفظه كسجاياه

ورقّ الجمال في جنباته

توّج ((الضاد)) بالملاحة حتى

خالها القوم بعض مخترعاته

نقل الأعصر الخوالي إلينا

في كتاب ، للّه من معجزاته

فرأينا ((هومير)) ينشد فينا

شعره مثل واحد من رواته

كان في دولة السيوف وزيرا

أبمعيا، ودولة في ذاته

ما بكينا الرفات لّما بكينا

كم رفات في الأرض مثل رفاته

بل بكينا لأننا قد حرمنا

بالمنون المزيد من آياته

راعنا أنّ يزول عنّا ، وإنّا

لم نطق أن نطيل حبل حياته

قد أردنا حمل البشائر للعلم

فكنّا لأهله من نعاته

إنّ في ((مصر)) و((الشآم)) دويّا

ما سمعنا قبل يوم وفاته

وأحسّ ((العراق)) حين أتاه

النعي طعم الرّدى بماء ((فراته))

و((بلبنان)) رجفة تتمشى

في ينابيعه وفي نسماته

فتّح الموت حين أغمض عينيه

عيون الورى على حسناته

فهو ماض له جلاله آت

من فتوحاته ومن غزواته

والفتى العبقريّ يولد إذ يولد

في مهده، ويوم مماته

ليس السر في السنوات

قل للذي أحصى السنين مفاخرا

يا صاح ليس السرّ في السنوات

لكنه في المرء كيف يعيشها

في يقظة ، أم في عميق سبات

قم عدّ آلاف السنين على الحصى

أتعدّ شبة فضيلة لحصاة؟

خير من الفلوات ، لا حدّ لها ،

روض أغنّ يقاس بالخطوات

كن زهرة ، أو نغمة في زهرة،

فالمجد للأزهار والنغمات

تمشي الشهور على الورود ضحوكة

وتنام في الأشواك مكتئبات

وتموت ذي للعقم قبل مماتها

وتعيش تلك الدهر في ساعات

تحصى على أهل الحياة دقائق

والدهر لا يحصى على الأموات

ألعمر ، إلاّ بالمآثر، فارغ

كالبيت مهجورا وكالمومات

جعل السنين مجيدة وجميلة

ما في مطاويها من الحسنات

فقيد الوطنية

رثى بها فقيد المنابر الطيب الذكر المغفور له مصطفى باشا كامل.

....

بكيت ولكن بالدموع السخينة

وما نفذت حتى بكيت بمهجتي

على كامل الأخلاق والنّدب مصطفى

فقد كان زين العقل زين الفتوّة

نعاه لنا الناعي فكادت بنا الدّنى

تميد لهول الخطب خطب المروءة

وذابت قلوب العالمين تلهّفا

وسالت دموع الحزن من كلّ مقلة

أجل قد قضى في مصر أعظم كاتب

فخلّف في الأكباد أعظم حسرة

ولو كان يفدى بالنفوس من الرّدى

جعلنا فداه كلّ نفس أبية

فتى مات غضّ العمر لم يعرف الخنا

ولم ينطوي في نفسه حبّ ريبة

وقد كان مقداما جريئا ولم يكن

ليغي الرّدى غير النفوس الجريئة

وكان جوادا لا يضنّ بحاجة

لذلك أعطى روحه للمنّية

سلام على مصر الأسيفة بعده

فقد أودعت آماله جوف حفرة

خطيب بلاد النيل مالك ساكنا

وقد كنت تلقي خطبة إثر خطبة؟

تطاولت الأعناق حتى اشرأبّت

فهل أنت مسديها ولو بعض لفظة؟

نعم كنت لولا الموت فارج كربها

فيا للرّدى من غاشم متعنّت

تفطّرت الأكباد حزنا كأنّما

مماتك سهم حلّ في كلّ مجة

وما حزنت أم لفقد وحيدها

بأعظم من حزني عليك ولوعتي

تناديك مصر الآن يا خير راحل

ويا خير من يرجى لدفع الملّمة

عهدتك تأبى دعوة غير دعوتي

فمالك تأبى(مصطفى) كلّ دعوة؟

فقد تك ريانا فيا طول لهفتي

لقد كنت سيفي في الخطوب وجنّتي

أجل طالما دافعت عن مصر مثلما

يدافع عن مأواه نحل الخليّة

فأيقظها من رقدة بعد رقدة

وأنهضتها من كبوة تلو كبوة

وقوّيت في أبنائها الحبّ نحوها

وكنت لهم في ذاك أفضل قدوة

رفعت لواء الحقّ فوق ربوعها

فضم إليه كلّ ذي وطنيّة

لئن تك أترعت القلوب محبة

فإنّك لم تخلق لغير المحبّة

فنم آمنا وفيت قومك قسطهم

فيا طالما ناموا وأنت بيقظة

سيبقي لك التاريخ ذكرا مخلدا

فقد كنت خير الناس في خير أمّة

عليك من الرّحمن ألف تحية

ومن أرض مصر ألف ألف تحيّة

مزح في جد

رأيت غلاما مليح الرّواء

تلوح النّباهة في مقلته

فقلت، تجنّى علينا الشتاء

وقد نفد الفحم مع كثرته

فهل من دواء لهذا البلاء

لديك؟ أجاب، اقفلوا المدرسه!

فقلت، صغير يحبّ الفضاء

ويكره ما ليس من فطرته!

وأبصرت لصّا على الزّاويه

كثير التّلفت نحو القصور

فقلت، منازلنا خاليه

من الفحم ، والفحم نار ونور

فقال، لياليكم الدّاجيه

تزول ولكن بهدم السّجون!

فقلت، شقّي من الأشقياء

يجاهد من أجل حرّيته!

وعدت إلى رجل موسر

له شهرة وله منزله

فقلت، سريّ كلام السّريّ

إذا وقع النّاس في مشكله

فما هو رأيك ؟ قال اقصر

مع البرد لا تنفع الولوله!

فأدركت أنّ فتى الأغنياء

ضنين يخاف على ثروته!

وأبصرت شخصا كثير الحذر

فرحت أبثّ له لوعتي

فحملق حتّى رأيت الشّرر

يطير سراعا إلى مهجتي

وصاح، هي الحرب أصل الخطر

فردّوا الحسام إلى غمده!

فقلت، عدوّ قليل الحياء

يحاذر شرّا على دولته!

عبد اللّه البستاني

يا ميّتا فيه جمال الحياة

ما حاز منك اللحد إلاّ الرفات

أنت الفتى الباقي بآثاره

ما أنت بالمرء إذا مات مات!

وكيف يمتدّ إليك الردى

وذاتك الحسناء في ألف ذات؟

إذا اختفى في الورد لون الضحى

فالذنب ذنب الأعين الناظرات

يصوّح الزهر ويبقى الشّذى

ويذهب المرء وتبقى الصفات

يا نائما أغفى عن الترّهات

إنّي وجدت الموت في الترّهات

أإن مضى الشيء تقول انقضى

إذن، فمن أين تجيء الحياة؟

أليس دنيا الصحو دنيا الكرى

ومثل ظلّ العيش ظلّ الممات؟

تقسّم الأشياء أفهامنا

وليست النخلة إلاّ النواة

وفي الغد الأمس ولكنّنا

للجهل قلنا الدهر ماض وآت

بعض الردى فيه نجاة الفتى

وربّما كان الرّدى في النجاة

يا قرويّا عظمت نفسه

حتى ترضّتها نفوس العتاة

وحسدته الصيد في كوخه

وحسدت قريته العاصمات

تلك السجايا لم تزل بيننا

ساطعة كاالأنجم الزاهرات

وعلمك الزاخر باق لنا

ما بقيت في الأرض أمّ اللغات

في أنفس الناس وألبابهم

وفي بطون الير الخالدات

وفي تلاميذك أهل الحجى

والأدب الجم الجميل السّمات

من شاعر كالروض أشعاره

تسمع همس الحبّ فيه الفتاة

وسامر تحسب أقواله

مسروقة من مقل الغانيات

وكاتب تشرق ألفاظه

كالدّرر المختارة المنتقاة

وصحب أخلاقهم كالمنى

يروون عنك الحكم الغاليات

لم يخترمك الموت يا دوحة

باسقة قد خلّفت باسقات

يا حجّة الفصحى ودهقانها

وبحرها الطامي وشيخ الثقات

((ألضاد)) من بعدك في مأتم

حاضرها والأعصر الغابرات

فليس في لبنان غير الأسى

وليس غير الحزن حول الفرات

فمن يعزّي جبلا واحدا

عزّى الرواسي في جميع الجهات

سلختها سبعين من أجلها

في عالم الطّرس ودنيا الدواة

ألناس من حولك في قيلهم

وأنت كالعابد وقت الصلاة

غنيت بالضاد وأسرارها

عن الغواني والطّلا والسقاة

أنت الذي ردّ إليها الصبا

إنّ الهوى يجترح المعجزات

فاختلجت أوضاعها بالمنى

وجال ماء الحسن في المفردات

ولهجت باسمك آفاقها

وردّدته في البوادي الحداة

وحنّت النوق إلى سمعه

وطربت من ذكره الصافنات

فيا شبابا يطلبون العلى

إنّ العلى للأنفس الماضيات

ويا فقيرا يتمنّى الغنى

هلاّ تمنّيت غنى المكرمات؟

ويا سراة يبذلون اللّهى

هذا فقير كان يعطي السراة!

من روحه لا فيض أمواله

إنّ هبات الروح أسمى الهبات
لا يقتضي قاصده حمده
ويشكر العافي الذي قال: هات
وإن مضى العافون عن بابه
سارت عطاياه وراء العفاة
فكان كالكوكب يمشي على
ضيائه الرّكب وذئب الفلاة
وكان كالغيث إذا ما همى
أصاب في الأرض الحصى والنبات
وكان كالينبوع يرتاده
ذو الشيم الحسنى وذو السيّئات
وكالفضاء الرّحب في حلمه
يضطرب البازي به والقطاة
يا صاحب ((البستان)) نم آمنا
فإنّ الموت زوال الشكاة
ما غاب ماء غاب تحت الثرى
فأطلع النبت وأحيا الموات

الشباب أبو المعجزات

سلام عليكم رجال الوفـاء
وألف سلام على الوافيات
ويا فرح القلب بالناشئين
ففي هؤلاء جمال الحياة
هم الزهر في الأرض إذ لا زهور
وشهب إذ الشهب مستخفيات
إذا أنا أكبرت شأن الشباب
فإنّ الشباب أبو المعجزات
حصون البلاد وأسوارها
إذا نام حرّاسها والحماة
غد لهم وغد فيهم
فيا أمس فاخر بما هو آت
ويا حبّذا الأمهات اللواتي
يلدن النوابغ والنابغات
فكم خلدت أمة بيراع

وكم نشأت أمة في دواة
أنا شاعر أبدا تائق
إلى الحسن في الناس والكائنات
أحبّ الزهور ، وأهوى الطيور، وأعشق ثرثرة الساقيات
ورقص الأشعة فوق الروابي،
وضحك الجداول والقهقهات
تطالع عيناي في ذا المكان
روائع فاتنه ساحرات
كأن الفضاء وفيه الطيور
بحور بها سفن سابحات
كأن الزهور ترقرق فيها
سقسط الندى أعين باكيات
ومن بلبل ساجع لمغنّ،
ومن زهرة غضة لفتاة
فما أجمل الصيف في الخلوات
وأروع آياته البينات
نضا الستر عن حسنات الوجود
وكانت كأسراره المضمرات
وأحيا رغائبنا الذابلات
فعاشت وكانت كأرض موات
ففي الأرض سحر، وفي الجوّ عطر،
فيا للكريم ، ويا للهبات
أمامكم العيش حرّ رغيد
ألا فاغنموا العيش قبل الفوات

وقال ينقد أحدهم

لما سكت حسبت أنك ناج
هيهات إنّي كالمنون أفاجي
تالله تطمع بالسلامة بعدما
ألقاك جهلك في يد الأمواج
إن كان داخلك الغرور فإنّه
ما انفكّ في البسطاء والسّذاج
إني أنا الأسد الهصور بسالة
ويل لقوم حاولوا إحراجي

حاولت أن تهتاجني عن مربضي
لتنال ذكرا ، خبت يا ذا الرّاجي
عار إذا أنشبت فيك مخالبي
إذ ليس من خلقي افتراس نعاج
وظننت أنّك بالغ شأوي إذا
رمت القريض فما ظفرت بحاج
إنّ القوافي كالخرائد منعة
وتفوقها في نبذ كلّ مداج
والشعر تاج لو عامت ولم تكن
ممّن يليق بحمل هذا التاج
خذها مثقفة إذا وقعت على
جبل لأزعج أيّما إزعاج
أنا خير من قال القوافي مادحا
أنا خير من قال القوافي هاجي
قد كنت أزهد في الهجا لو لم يكن
لك يا مريض العجب، خير علاج

لارفعن للسما احتجاجي

جاء الشّتاء جيئة المفاجي
كأنّما قد كان في الرّتاج
فجمد السائل في الزجاج
واكتست الأرض بمثل العاج
فامتنع المرعى على النّعاج
وامتنع الحبّ على الدّجاج
وامتنع السير على النّواحي
ربّ جواد لاحق هملاج
معود الإلجام والإسراج
والوخد والدّميل والإهماج
أصبح مثل العرق في اختلاج
متعرجا في غير ذي انعراج
لو هاجه الرّاكب بالكرباج
لما مشى به سوى اعوجاج
لولا الجليد طار بالمهتاج
مثل البراق بفتى المعراج

وحطّه والشّمس في الأبراج
لكنّه منه على الزّجاج
وأمسك النّاس عن اللجاج
أما ترى نداءهم تناجي
كأنّما الجموع في الملاجي
على ((منى)) مواكب الحجّاج
ورغب المثري عن الدّيباج
إلى اللّباس الخشن النّساج
وكان أن جيء له بالتّاج
أعرض عنه وارم الأوداج
وانقبض النّهر عن الهياج
وكان مثل الزّاخر العجّاج
يصارع الأمواج بالأمواج
يا مسبح الإوز والدّرّاج
كيف غدوت موطىء الأحداج
ومعبر الخلق إلى الخراج
مالي والصّبح على انبلاج
أخبط كالعشواء في الدّياجي
إذا أردت السّير في منهاجي
طال عثاري فيه وانزلاجي
كأنّني أمشي على زجاج
محتذيا بالزّئبق الرّجراج
خيّل لي ، لشدّة ارتجاجي
أنّ دمي يرتج في أوشاجي
أرى الدّنى ضيّقة الفجاج
ولم تضق ، لكنّما احتياجي
إلى طريق واضح الشّجاج
أسلك فيه غير ما انزعاج
وحاجتي بالكوكب الوّهاج
كحاجة الأعمى الى سراج!
إنّ لجّ هذا القرّ في إحراجي
لأرفعنّ للسّما احتجاجي!

الغراب والبلبل

قال الغراب وقد رأى كلف الورى
وهيامهم بالبلل الصدّاح
لم لا تهيم بي المسامع مثله
ما الفرق بين جناحه وجناحي؟
إني أشدّ قوى وأمضى مخلبا
فعلام نا الناس عن تمداحي؟
أمفرق الأحباب عن أحبابهم
ومكدّر اللذات والأفراح
كم في السوائل من شيبة بالطلا
فعلام ليس لها مقام الراح؟
ليس الخطوط من الجسوم وشكلها
ألسرّ كلّ في الأرواح
والصوت من نعم السماء ولم تكن
ترضى السما إلا عن الصدّاح
حكم القضاء فإن نقمت على القضا
فاضرب بعنقك مدية الجراح

السر في الأرواح

قال الغراب وقد رأى كلف الورى
وهيامهم بالبلبل الصّدّاح
لم لا تهيم بي المسامع مثله
ما الفرق بين جناحه وجناحي؟
إني أشدّ قوى وأمضي مخلبا
فعلى م نام النّاس عن تمداحي؟
أمفرق الأحباب عن أحبابهم
ومكدّر اللذّات واالأفراح
كم في السّوائل من شبيه للطّلا
فعلى م ليس لها مقام الرّاح؟
ليس الخطوط من الجسوم وشكلها
السرّ كلّ السرّ في الأرواح
والصّوت من نعم السّما ولم تكن
ترضى السّما إلاّ عن الصّلاح

حكم القضاء فإن نقمت على القضا

فاضرب بعنقك مدية الذبّاح!!!

الكأس الباقية

دمعة على جبران جبران

أيّها الشاعر الذي كان يشدو

بين ضاح من الجمال وضاحك

جلل أن يصيدك القدر الأعمى

ويمشي مقصّه في جناحك

موكب الشعر تائه في فضاء

ليس فيه سوى حطيم سلاحك

والبساتين ، والبلابل فيها

تتغنّى، حزينة لرواحك

قنعت بالنواح منك فلّما

زال عاشت بذكريات نواحك

والدجى ، والنجوم تسطع فيه،

واجم حسرة على مصباحك

تلمس العين أينما لمسته

جمرات التياحنا والتياحك

قد تولّت جلالة السحر عنه

واضمحلّت مذ صار غير وشاحك

هبطت ربّة الحياة لكي تكب

خمر الجمال في أقدامك

فإذا أنت في السرير مسجّى

صامت كالطيوف في ألواحك

فتولّت مذعورة تلطم الوجة

ويبكيك، يا قتيل سماحك!

سبقتها إلآهة الموت كي تخظى

ولو باليسير من أفراحك

ويحها! ويح حبّها من أثيم

طردتنا ولم تقم في ساحك

أيبست روضك الجميل ، ولم تظفر

بغير التّراب من أدواحك

ذهب الموت بالكؤوس جميعا

غير كأس ملأتها من جراحك

هاتها

هاتها في القدح

نسمة في شبح

هاتها فالنّفس في

حاجة للفرح

واسقنيها كوثرا

وعلّي اقترح

إن تكن قد حرّمت

فعلى المستقبح

هي في سفرتها

طلعة المفتضح

وهي في حمرتها

كخديد المستحي

وهي في شدّتها

ثورة المجترح

وهي في رقّتها

خاطرا لم يلح

أتراها شفقا

كللت بالصّبح

أم هي الوجنات قد

ذوبت في قدح؟

إلى الفاتح ..

(ألا نبي)) ، لو طبعنا الشّمس يوما

وقلّدنا سيفا صفيحا

ورصّعناه بالشّهب الدّراري

لما زدناك فخرا أو مديحا

لأنّك أشجع الأبطال طرا

وأعظم قادة الدّنيا فتوحا

إذا ما مرّ ذكرك بين قوم

رأيت أشدهم عيّا فصيحا

فكم داويت سوريّا مريضا

وكم أسقيت تركيا صحيحا

وكم قد صنت في بيروت عرضا

وكم أمّنت في الشّهباء روحا

غضبت على ((الهلال)) فخرّ ذعرا

ولحت له فحاذر أن يلوحا

عصفت بهم فأمسى كلّ حصن

لخيل النّصر ميدانا فسيحا

مشت بك همّة فوق الثّريّا

فزلزلت المعاقل والصّروحا

من الوادي إلى صحراء سينا

إلى أن زرت ذيّاك الضّريحا

إلى بحر الجليل إلى دمشق

تطارد دونك التّركي القبيحا

فكان الجند كلّهم يشوعا

وكانت كلّ سوريّا ((أريحا))

فإن يكن المسيح فدى البرايا

فإنّك أنت أنقذت المسيحا!

دودة وبلبل

نظرت دودة تدبّ على الأرض

إلى بلبل يطير ويصدح

فمضت تشتكي إلى الورق الساقط

في الحقل أنها لم تجنّح

فأتت نملة إليها وقالت

اقنعي واسكتي فما لك أصلح

ما تمنيت إذ تمنّيت إلا

أن تصيري طيرا يصاد ويذبح

فالزمي الارض فهي أحنى على الدود،

وخليّ الكلام فالصمت أريح

أنا وهي

جلست إليها والترام بنا يعدو

إلى حيث لا واش هناك ولا ضدّ

قد انتظت هذي القطارات في الثرى

كأن الثرى وتلك لها عقد

بلى، هي عقد بل عقود ، ألا ترى

على الأرض أسلاكا تدور فتمتدّ؟

يسير فيطوي الأرض طيا كلأنّما

دواليبة أيدي، كأنّ الثذرى يرد

فكالطو

إلاّ أنّ ذيّاك ثابت

توهّمته من سرعة السّير راكدا

وأنّ الدّنى فيمن على ظهرها تعدو

تحوم عليه المركبات كأنه

مليك وتلك المركبات له جند

تقصر عنه الرّيح إما تسابقا

فكيف تجاربه المطهّمة الجرد؟

على أنه في كفّ عبد زمامه

فيا من رأى ملكا يصرفه عبد

كأني به ، يا صاح، دار ضيافة

يغادر وفد ويقصده وفد

خلوت بمن أهوى به رغم عاذلي

ولم يك غير القرب لي ولها قصد

فسار بنا في الأرض وخدا كأنما

درى أنّ ما نبغه منه هو الوخد

فما راعني واللّه إلا وقوفه

فقد كنت أخشى أن يفاجئنا وغد

ولما انتهى من سيره وإذا بنا

على شاطيء البحر الذي ما له حد

هناك وقفنا والشّفاة صوامت

كأن بنا عيّا وليس بنا وجد

سكتنا ولكنّ العيون نواطق

أرق حديث ما العيون به تشدو

سكرنا ولا خمر ولكنّه الهوى

إذا اشتدّ في القلب امرىء ضعف الرشد

فقالت وفي أجفانها الدمع جائل

وقد عاد مصفرّا على خدّها الورد

ألا حبّذا ، يا صاحبي، الموت ههنا

إذا لم يكن من تذوّق الرّدى بدّ

فيالك من فكر مخيف وهائل

ويا لك من مرآى يرقّ له الصّلد

فقلت لها إني محب لكلّ ما

تحبين ، إن السمّ منك هو الشّهد

فقالت أمن أجلي تحنّ إلى الردى؟

دع الهزل إنّ المرء حليته الجد

فقلت لها لو كنت في الخلد راتعا

ولست معي واللّه ما سرّني الخلد

فإن لم يكن مهد إليك يضمّني

فيا حبّذا ، يا هند ، لو ضمّنا لحد

فقالت لعمر الحقّ إنك صادق

فدمت على ود ودام لك الودّ

فلو لم أكن من قبل أعشق حسنها

لهمت بها واللّه حسبي من بعد

حكاية قديمة

وربّت أمريكيّة خلت ودّها

يدوم، ولكن ما لغانية ودّ

صبوت إلى هند فلمّا رأيتها

سلوت بها هندا وما صنعت هند

وأوحت لها عيناي أنّ صبابة

تلجلج في صدري وأحذر أن تبدو

فألقت إلى أترابها وتبسّمت

أعي سكوت الصّب أم صمته عمد؟

فقلت سلام اللّه ، قالت وبرّه

فقلت : أهزل ذلك القول أم جدّ

وأمسكت أنفاسي وأزهقت مسمعي

ففي نفسي جزر وفي مسمعي مدّ

فقالت وددنا لو عرفنا من الفتى

وما يبتغيه ؟ قلت ما يبتغي العبد؟
قتيل ولكن ثوبه كفن له
وكلّ مكان يتريح به لحد
فإن لم يكن من نظرة ترأب الحشا
فردّي عليه قلبه وبه زهد
فضرّج خدّيها احمرار كأنّما
تصاعد من قلبي إلى خدّها الوجد
وقرّبها منّي وقرّبني الهوى
إلى أن ظننّا أنّنا واحد فرد
وكهرب روحينا فلمّا تنهدت
تنهّدت حتّى كاد صدري ينهد
وكان حديث خلت أنّي حفظته
فأذهلني عنه الّذي كان من بعد
أمرت فؤادي أن يطيع فؤادها
فيبكي كما تبكي وتشدو كما تشدو
وقلت لنفسي هذه منتهى المنى
وهذا مجال الشّكر إن فاتك الحمد
فإن ترعني عنها ، وفيك بقيّة ،
فما أنت نفسي إنّما أنت لي ضدّ
ومرّت ليال والمنى تجذب المنى
وقلبي ، كما شاءت ، يلين ويشتدّ
نروح ونغدو واللّيالي كأنها
وقوف لأمر لا تروح ولا تغدو
رأى الدّهر سدّا حول قلبي وقلبها
فما زال حتّى صار بينهما السّدّ
خدعت بها والحرّ سهل خداعه
فلا طالعي يمن ولا كوكبي سعد
وكنا تعاهدنا على الموت في الهوى
فما لبثت إلاّ كما يلبث الورد
كأنّي ما ألصقت ثغري بثغرها
ولا بات زندي وهو في جيدها عقد
ولم نشتمل بالليل والحيّ نائم
ولم نستتر بالرّوض واللّيل ممتدّ
ولا هزّنا شدو الحمائم في الضّحى

ولا ضمّنا بيت ولم يحونا برد

أإن لاح في فودي القتير نكرتني

أيزهد في الصّمصام إن خلق الغمد

لئن كان لون الشّعر ما تعشقينه

فدم أبيضا مادمت يا شعري الجعد

فلا تشمتي منّي فلست بمأمن

ولا تزهدي فيه، فليس به زهد

هو الفاتح الغازي الذي لا تردّه

عن الفاتح الغازي قلاع ولا جند

فلو كان غير الشّيب عني صرفته

ولكنّ حكم الله ليس له ردّ

وإن تعرضي عن مفرقي وهو أبيض

فيا طالما قبلته وهو مسودّ

شفى الله نفسي لا شفى الله نفسها

ولا غاب عن أجفانها الدّمع والسّهد

ولا قدّها غصن ولا خيزرانة

ولا خصرها غور ولا ردفها نجد

ولا وجهها شمس ولا شعرها دجى

ولا صدّها حرّ ولا وصلها برد

أحبّ إلى نفسي الرّدى من لقائها

وأجمل في عينّي من وجهها القرد

فإن تلمس الثّوب الذي أنا لابس

قددت بكفّي الثوب من قبل ينقدّ

وإن تقرب الدّار التي أنا ساكن

هجرت مغانيها ولو أنّها الخلد

فإن كان غيري لم يزل دينه الهوى

فإني ، ولا أخشى الملامة ، مرتدّ!!

المدخل

وقعت نحلة على الأقحوان

فإذا في القفير شهد

ومشت بعدها على الأغصان

دودة فالغصون جلرد

وهمي الغيث في الحقول ففيها

شجر وارف وزهر
وأصاب الرمال كي يحييها
فهما ميّت وقبر
أنا غيث ، فإن وجدتك حقلا
فأنا العشب والشجر
غير أني ، إذا لقيتك رملا،
لست شيئا حتى المطر
وأنا الأقحوان سيّان عندي
عشت يوما أو بعض يوم
لا أبالي الفناء إن كان مجدي
في فنائي أو مجد قومي
إن تغب في فراشة ألواني
فأنا زهرة تطير
وإذا انحلّ في الشعاع كيانب
فأنا في الضّحى عبير
جنّبوني الفناء في الديدان
إنه المصرع الكريه
وانعدام الأريج والألوان
واندثار لا مجد فيه
كن شعاعا يبين فيه كياني
لا ظلاما ولا رغام
ولأعش في الشعاع بضع ثوان
فهي خير من ألف عام

الزمان

يمشي الزمان بمن ترقب حاجة
متثاقلا كالخائف المتردّد
حتى ليحسبه أسيرا موثقا
ويراه أبطأ من يح مقعد
ويخال حاجته التي يصبو لها
في دارة الجوزاء أو في الفرقد
ويكون ما يرجوه زورة صاحب
ويكون أبعد ما يرجّى في غد
فإذا تولّى النفس خوف في الضحى

من واقب تحت الدجى أو معتد

طارت بها خيل الزمان ونوقه

نحو الزمان المدلهمّ الأسود

فكأنها محمولة في بارق،

أو عارض، أو عاصف في فدفد

ويكون أقصر ما يكون إذا الفتى

مدّت له الدنيا يد المتودّد

فتوسط اللذّات غير منقّر

وتوسد الأحلام غير منكّد

فإذا لذيذ العيش نغبة طائر

وإذا طويل الدهر خطرة مرود

وإذا الفتى لبس الأسى ومشى به

فكأنما قد قال للزمن اقعد

فإذا الثواني أشهر، وإذا الدقائق

أعصر ، والحزن شيء سرمدي

وإذا صباح أخي الأسى أو ليله

متجدد مع همه المتجدّد

فهو الورى وأذلّهم أنّ الورى

متعلل، أو طامع ، أو مجتد

جعلوا رغائبهم قياس زمانهم

والدهر أكبر أن يقاس بمقصد

وقلت في نفسي الرغائب والمنى

فقهرته بتجرّدي وترّهدي

يشكو الذي يشكو السهاد جفونه

أو لم يكن ذا ناظر لم يسهد

إن كان شيء للنفاد أعده

فيما انقضى ومضى وإن لم ينفد

ما أن رأيت الكحل في حدق المهى

إلاّ لمحت الدود خلف الأثمد

من ليس يضحك والصباح مورّد

لم يكتئب والصبح غير مورّد

سيّان أحلام أراها في الكرى

عندي ، وأشياء اشتملت يدي

أنا في الزمان كموجة في زاخر

أنا فيه إن يزيد وإن لم يزيد
مهما تلاطم فهو ليس بمغرقي،
أو مخرجي منه، ولا بمبدّدي
هيهات ما أرجو ولا أخشى غدا
هل أرتجي وأخاف ما لم يوجد
والأمس فيّ فكيف أحسبه انتهى
أفما رأيت الأصل في الفرع الندي؟
قبل كبعد حالة وهميّة
أمسي أنا، يومي أنا، وأنا غدي

الفيلسوف المجنح

يا أيّها المغرّد في الضحى
أهواك إن تنشد وإن لم تنشد
الفنّ فيك سجيّة لا صنعة
والحبّ عنك كالطبيعة سرمدي
فإذا سكتّ فأنت لحن طائر
وإذا نطقت فأنت غير مقلّد
للّه درّك شاعرا لا ينتهي
من جيّد إلا صبا للأوجود
مرح الأزهار في غنائك والشّذى
وطلاقة الغدران والفجر الندي
وكأنّ زورك فيه ألف كمنجة
وكأنّ صدرك فيه ألف مردّد
كم زهرة في السفح خادرة المنى
سكنت على يأس سكون الجلمد
غنّيتها ، فاستيقظت وترنّحت
وتألّقت كالكوكب المتوقد
وجرى الهوى فيها وشاع بشاشة
من لم يحب فإنه لم يولد
وكأنّني بك حين تهتف قائل
للزهر : إنّ الحسن غير مخلّد
فاستنفدي في الحبّ أيام الصّبا
واسترشديه فهو أصدق مرشد
واستشهدي فيه، فمن سخر القضا

أن لا تذوقيه وأن تستشهدي!

يا فيلسوفا قد تلاقى عنده

طرب الخلّي وحرفة المتوجّد

رفع الربيع لك الأرائك في الربى

وكسا حواشيها برود زبرجد

أنت المليك له الضياء مقاصر

وتعيش عيش الناسك المتزهد

مستوفزا فوق الثرى، منتقلا

في الدّوح من غصن لغصن أملد

متزودا من كلّ حسن لمحة

شأن المحبّ الثائر المتمرّد

وإذا ظفرت بنفحة وبقطرة

فلقد ظفرت بروضو وبمورد

تشدو وتبهت حائرا مترددا

حتى كأنك حين تعطي تجتدي

فكأنما لك موطن ضيّعته

خلف الكواكب في الزمان الأبعد

وطن جميل كنت فيه سيّدا

فمضى ودام عليك همّ السيّد

طورت عنه إلى الحضيض فلم تزل

متلفتا كالخائف المتشرد

يبدو لعينك في العتيق خاليه

وتراه في ورق الغصون الميّد

صور معدّدة لغير حقيقة

كالآل لاح لمعطش في فدفد

فتهمّ أن تدنو إليه وتنثني

حتى كأنك خائف أن تهتدي

وكأنه حلم يصحّ مع الكرى

فإن انتهت من الكرى يتبدّد

كم ذا تفتّش في السفوح وفي الذّرى

عنقاء أقرب منه للمتصيّد

يا أيها الشادي المغرّد في الضحى

أهواك إن تنشد وإنلم تنشد

طوباك إنك لا تفكّر في غد

بدء الكآبة أن نفكّر في غد

إن كنت قد ضيّعت إلفك إنني

أبكي على إلفني الذي لم يوجد

عيد النهى

في اليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف

قل للحمائم في ضفاف الوادي

يا ليتكن على شغاف فؤادي

لترين كيف تبعثرت أحلامه

وجرت به الآلام خيل طراد

كانت تشعّ على جوانبه المنى

فخبت وبدّل جمرها برماد

أسعدنه، فعسى يخفّ ولوعه

إنّ الشجي أحقّ بالإسعاد

ذهب الصبا وبقيت في خسراته

ليت الأسى مثل الصبا لنفاد

إنّ الشباب هو الغني فإذا مضى

وأقمت لا ينفكّ فقرك بادي

أمسيت أنظر في الحياة فلا أرى

إلا سوادا آخذا بسواد

ألقى تقابلني النجوم تخاوصت

فكأنما هي أعين الحسّاد

ما ثمّ من ذكرى إذا خطرت على

قلبي استراح سوى خيال الوادي

أفلا تزال الشمس تصبغ وجهه

بالورس آونة وبالفرصاد

أفلا يزال يذوب في أمواجه

ذهب الأصيل وفضّة الآراد؟

لهفي إذا ورد الرفاق عشيّة

وذكرت أني لست الزوّاد

وإذا الحمام شدا وصفّق موجه

أن لا أصفقّ للحمام الشادي

وإذا النخيل تطاولت أظلاله

أن لا يكون مظلّتي ووسادي

وإذا الكواكب رصّعت آفاقه

أن لا يكون لرعيهنّ سهادي

ذقت الهوى وعرفته في شطه

إن الهوى للمرء كالميلاد

لا تدرك الأكباد سرّ وجودها

حتى يجول الحبّ في الأكباد

ما عشت لم يمسس جوانحك الهوى

لم ندر ما في العيش من أمجاد

لا تبصر العين الرياض وحليها

إلاّ على ضوء الصباح الهادي

وطنان أشواق ما أكون إليهما

مصر التي أحببتها وبلادي

ومواطن الأرواح يعظم شأنها

في النفس فوق مواطن الأجساد

حرصي على حبّ ((الكنانة)) دونه

حرص السجين على بقايا الزاد

بلد الجمال خفيّة وجليّه

والفنّ من مستطرف وتلاد

عرضت مواكبها الشعوب فلم أجد

إلاّ بمصر نضارة الآباد

كم من دفين في ثراها لم يزل

كالحي ذا مقة وذا أحقاد

ومشيّد ، للناس إذ يغشونه

من كلّ أرض خشية العبّاد

عاش الجدود وأثلوا ما أثلوا

واليوم ينبعثون في الأحفاد

ألمسبغين على النوابغ فضلهم

كالفجر منبسطا على الأطواد

أبناء مصر الناهضين تحية

كودادكم إن لم أقل كودادي

من شاعر كلف بكم وبأرضكم

أبدا يوالي فيكم ويعادي

إن تكرموا شيخ الصحافة تكرموا

أسنى الكواكب في سماء الضاد
خلع الشباب على الكنانة مطرفا
هو كالربيع على ربى ووهاد
ما زال يقحم في الجهالة نوره
حتى تقاصر ليلها المتمادي
بصحيفة نور العيون سوادها
وبياضها من ناصع الأجياد
ينبوع معرفة ،وهيكل حكمه،
ووعاء آداب ، وكنز رشاد
أغلى المواهب والعقول رأيتها
سكنت قصور مهارق ومداد
ذكر المجاهد في الحقيقة خالد
ويزول ربّ السيف والأجناد
لولا جبابرة القرائح لم يسر
في الأرض ذكر جبابر القوّاد
ما ذللت سبل المعالي أمّة
إلا بقوة مصلح أو هادي
((صرّوف)) يسألك الأنام فقل لهم
كم في حياتك ساعة استشهاد
طلع القنوط عليك من أغواره
فرددت طائره وجأشك هادي
ومضيت تستقصي الحياة وسرّها
في كلّ عاقلة وكلّ جماد
حتى لكدت تحسّ هاجسة المنى
وتبين كم في النفس من أضداد
أنت الذي أسرت به عزماته
والدرب غامضة على الروّاد
والليل آفات على أغوارها
والهول أنجاد على الأنجاد
إنّ الحقائق أنت ناشر بندها
في حين كان العلم كالإلحاد
والعقل في الشرقي من أوهامه
كالنسر في الأوهاق والاصفاد
تشقى متى تشقى الشعوب بجهلها

وتعزّ حين تعز بالأفراد

ألساهرين الليل مثل نجومه

فكأنهم للدهر بالمرصاد

ألباذلين نفوسهم لم يسألوا

وعلى النفوس مدارع الفولاد

خفضوا جناحهم وتحت برودهم

همم الملوك وصولة المرّاد

لهم الزمان قديمه وحديثه

ما الناس في الدنيا سوى الآحاد

أنّ الأنام على اختلاف عصورهم

جعلوا لأهل العلم صدّر النادي

ما العيد للخمسين بل عيد النهى

وفنونه والخاطر الوقاد

عيد الحصافة والصحافة كلّها

في مصر ، في بيروت، في بغداد

ما العيش بالأعوام كم من حقبة

كالمحو في عمر السواد العادي

ألعمر ، إلاّ بالمآثر، فارغ

كالقفر طال به عناء الحادي

وسوى حياة العبقريّ نقيسها

فتقاس بالآجال والآماد

يا بلادي

مثلما يكمن اللّظى في الرّماد

هكذا الحبّ كامن في فؤادي

لست مغرى بشادن أو شاد

أنا صبّ متيّم ببلادي

يا بلادي عليك ألف تحيّة

هو حبّ لا ينتهي والمنيّة

لا ولا يضمحلّ والأمنيّة

كان قبلي وقبل الشّجيّه

كان من قبل في حشا الازليّه

وسيبقى ما دامت الأبديّه!

خلّياني من ذكر ليلى وهند

واصرفاني عن كل قدّ وخدّ

كلّ حسناء غير حسناء عندي

أو أرى وجدها بقومي كوجدي

لا حياء في الحبّ والوطنيّه

كلّ شيء في هذه الكائنات

من جماد وعالم ونبات

وقديم وحاضر أو آت

صائر للزوال أو للممات

غير شوقي إليك يا سوريّه

أنت ما دمت في الحياة حياتي

فإذا ما رجعت للظلمات

واستحالت جوارحي ذرّات

فلتقل كلّ ذرة من رفاتي

عاش لبنان ولتعش سوريّه

ولتقل كلّ نفحة من ندّ

ولتقل كلّ دمعة في خدّ

ولتقل كلّ غرسة فوق لحدي

وليقل كلّ شاعر من بعدي

عاش لبنان ولتعش سوريّه

ربّ ليل سهرته للصبّاح

حائرا بين عسكر الأشباح

ليس لي مؤنس سوى مصباحي

ونداء الملاّح للملاّح

وصراخ الزّوارق الليليّة

تتهادى في السّير كالملكات

أو كسرب النّعام في الفلوات

مقبلات في النّهر أو رائحات

تحت ضوء الكواكب الزّاهرات

فوق ماء كالبردة اليمنيّه

تتمشّى في صفحتيه النّسائم

فترى الموج فيه مثل الأراقم

يتلوّى ،وتارة كالمعاصم

كلف الماء بالنّسيم الهائم

ليتني كنت نسمة شرقيّه

هجع النّاس كلهم في المدينه

وتولّت على ((نويورك))السّكينة

وجفوني، بغمضها، مستهينه

لا ترى غير طيف تلك الحزينه

لست أعني بها سوى سوريّه

ذاك ليل قطعته أتأمّل

رسمها الصّامت الذي ليس يعقل

وبناني مع خاطري تتنقل

بين هذا الحمى وذاك المنزل

والرّبى والخمائل السّندسيّه

ههنا رسم منزل اشتهيه

ههنا مربع أحبّ ذويه

ههنا رسم معهد كنت فيه

مع رفاقي أجرّ ذيل التّيه

في الضّحى ، في الأصيل، بعد العشيّه

كم تطلعت في الخطوط الدّقيقه

ولثمت الطّرائق المنسوقه

قنعت بالخيال نفسي المشوقه

ليت هذا الخيال كان حقيقه

فعذابي في لذّتي الوهميّه

يا رسوما قد هيّجت اشواقي

طال ، لو تعلمين، عهد الفراق

أين تلك الكؤوس ، أين السّاقي؟

أين تلك الأيّام، أين رفاقي؟

أيا أحلامي الحسان البهيّه؟

يارسوم الرّبوع والأصحاب

بحياتي عليك بالأحباب

أخبرني فقد عرفت مصابي

أترى عائد زمان التّصابي

أم طوته عنّا الأبديّه؟

سبقتني دنيا أرادت لحافي

فأنا الآن آخر في السّباق

نصف عمري نصفي الباقي

كرثاء الأوراق للأوراق

يبس الأصل والفروع نديّه
ما تراني إذا تغنّى الشّادي
ومضى في الغناء والإنشاد
فأطار الأسى عن الأكباد
أحسب العود في يديه ينادي
أيّها القوم أنقذوا سوريّه!
وإذا ما جلست تحت الظّلام
أرقب البدر من وراء الغمام
رنّ في مسمعي فهزّ عظامي
شبه صوت يقول للنوّام
أيّها القوم أنقذوا سوريّه!
وإذو ما ذهبت في البستان
بين زهر الخزام والأقحوان
أسمع الهاتفات في الأفنان
قائلات وللكلام معان
أيّها القوم أنقذوا سوريّه!
وإذا ما وقفت عند الغدير
حيث تمشي الطّيور خلف الطّيور
خلت أنّ الأمواه ذات الخرير
قائلات معي لأهل الشّعور
أيّها القوم أنقذوا سوريّه!
ما لقومي وقد دهتها الدّواهي
بالذي يطفىء النّجوم الزّواهي
ويثير (الحماس) في الأمواه
قعدوا بين ذاهل أو لاه
أين أين الحفيظة العربيّه؟
هي أمّ لكم وأنتم بنوها
حفظت عهدكم فلا تنكروها
أنتم أهلها وأنتم ذووها
لا تعينوا بالصّمت من ظلموها
ذاك علم على النّفوس الأبيّه
كن نبيا يستنزل الإلهاما
كن مليكا يصدر الأحكاما
كن غنيا ، كن قائدا ، كن إماما

كن حياة،كن غبطة، كن سلاما

لست مني أو تعشق الحريّه!!!

شوق يروح مع الزّمان ويغتدي

والشّوق ، إن جدّدته يتجدّد

دع عنك نصحي بالتّبلّد ساعة

يا صاح، قد ذهب الأسى بتبلّدي

ما زاد في أسف الحزين وشجوه

شيء كقولك للحزين تجلّد

ما زلت أعصيه إلى أن هاجني

ذكر الحمى فعصيت كلّ منقّد

وأطار عن جفني الكرى وأطارني

عن مرقدي مشي الهموم بمرقدي

في جنح ليل مثل حظّي حالك

كالبحر ساج ... مقفر كالفدفد

أقبلت أنظر في النّجوم مصعدا

عيني بين مصوب ومصعد

أو واجف أو راجف مترجرج

أو ظافر أو حائر متردّد

يمشين في هذا الفضاء وفوقه

وكأنّما يمشين فوق الأكبد

والبدر منبعث الشّعاع لطيفه

صاف كذهن الشّاعرالمتوقد

ما زال ينفذ في الدّجى حتّى استوى

فيه ، فيا لك أبيضا في أسود

والشهب تلمع في الرّفيع كأنّها

أحلام أرواح الصّغار الهجّد

ينظرون عن كثب إليه خلسة

نظر الملاح إلى الغرير الأمرد

فعجبت مّمن نام ملء جفونه

والكون يشهد مثل هذا المشهد

ورأيتني فوق الغمام محلقا

في الأفق ما بين السّهاوالفرقد

فسمعت صوتا من بعيد قائلا

يا أيّها السّاري مكانك تحمد

ما دمت في الدّنيا فلا تزهد بها

فأخو الزّهادة ميت لم يلحد

لا تقنطنّ من النّجاح لعثرة

ما لا ينال اليوم يدرك في غد

كم آكل ثمرا سقاه غيره

دمه ، وكم من زارع لم يحصد

لو كان يحصد زرعه كلّ امرىء

لم تخلق الدّنيا ولم تتجدّد

بالذكر يحيا المرء بعد مماته

فانهض إلى الذكر الجميل وخلّد

فلئن ولدت ومتّ غير مخلّد

أثرا فأنت كأنّما لم تولد

حتّى م في لا شيء يقتتل الورى

إنّ الحمام على الجميع بمرصد

طاشت حلوم المالكين ، فذاهل

لا يستفيق وحائرلا يهتدى

وأفقت ، إذ قطع الكلام مكلّمي

فنظرتني فإذا أنا لم أصعد

ما للكواكب لا تنام ولا تني

قد طال سهدك يا كوكب فارقدي

كم تنظرين إلى الثّرى من حالق

ما في الثّرى لأخي الأسى من مسعد

أو تريني عندما اشتّد الدّجى

واشتدّ دائي نام عني عوّدي

حتّى لقد كاد القريض يعقني

ويصون عنّي ماءه وأنا الصّدى

أمسي أهمّ به ويظلع خاطري

فكأنّما أنا ماتح من جلمد

لا تسألني لم سهدت فإنّني

لو كان في وسعي الكرى لم أسهد

صرفت يد البلوى يدي عن أمرها

ما خلت أمري قطّ يخرج من يدي

في أضلعي نار أذابت أضلعي

ومشت إلى كبدي ولّما تخمد

أخشى على الأحشاء من كتمانها
وأخاف أن أشكو فيشمت حسّدي
ومليحة لا هند من أسمائها
كلا، وليست كالحسان الخرّد
نشز الجواري والإماء تمرّدت
وونت فلم تنشز ولم تتمرّد
في النّفس منها ما بها من دهرها
أزكى السّلام عليك أرض الموعد
يا ليت شعري كم أقول لها انهضي
وتقول أحداث الزّمان لها اقعدي
ليس الذي لاقته هينا إنّما
حمل الأذى هين على المتعوّد!

أنت والكأس

أنت والكأس في يدي
فلمن أنت في غد؟
فاستشاطت لقولتي
غضبا في تمرّد
وأشاحت بوجهها
وادّعت أنّني ردي!
كاذب في صبابتي
ماذق في تودّدي
قلت: عفوا ، فإنّها
سورة من معربد
وجرى الصلح، والتقى
ثغرها ثغري الصدى
أذعن القلب طائعا
بعد ذاك التمرّد
فنعمنا هنيهة
بالولاء المجدّد
بين ماء مصفّق
وهزار مغرّد
ثمّ عادت وساوسي
فأنا في تردّد

راعها منّي السكوت

فذّمت تبلّدي

قالت: الحبّ سرمد

قلت: لا شيء سرمدي

أتحبّينني إذا

زال مجدي وسؤددي؟

فأجابت لفورها

أنت ، لا المجد،مقصدي

قلت: هل تحفظين عهدي

إذا ضاع عسجدي؟

فأجابت برقة

أنت، ما عشت ، سيّدي

كنت كالشمس في الغنى

أم فقيرا كجدجد

حسنا... قلت ضاحكا:

يا ملاكي وفرقدي

إنّما هل يدوم لي

حبّك المشرق الندى

إن حتى الدهر قامتي

ومحا الشيب أسودي

وانطوى رونق الصّبا

مثل برق بفدفد؟

قالت : الشكّ آفة الحبّ

فانبذه تسعد

ليس حبّيك للصّبا

لست فيه بأوحد

بل لما فيك من صفات ،

ومن طيب محتد

قلت: والشكّ رائح

في صميري ومغتد:

وإذا غالني الحمام

وأصبحت في غد

جثّة لفّها الثرى

بالظلام المؤبّد

ليس فيها لصاحب

أرب أو لحسّد

وسرى الدود حولها

يتغذّى ويعتدي

ومررت الغداة بي

فمررت بجامد

ونظرت فلم تري

غير عظم مجرّد

بعثرته يد البلى

كنافايات موقد

هل تحبّينني إذن

لخلالي ومحتدي؟

ويك ! صاحت ودمعها

كجمان مبدّد

كم تظنّ الظنون بي

أيّها الزائغ اهتد

أشهد الصبح فائضا

في مروج الزبرجد

أشهد الليل لابا

طلبان التمرّد

أشهد الغيث معطيا،

أشهد الحقل يجتدي

وذوات الجناح من

باغم أو مغرّد

والأزاهير والشّذى

في وهاد وأنجد

أشهد الأرض والسما

أشهد الله موجدي

سوف أحيا كما ترى

الهوى والتوجّد

فأناجيك في الضحى

وهو أمراس عسجد

وأناجيك في المسا

والأصيل المورّد

في الربى تخلع الجمال
برودا وترتدي
والسواقي لها غناء
كألحان معبد
والعصافير أقبلت
نحوها للتبرّد
أسهر الليل وحشة
بفؤاد مشدّد
وإذا نمت نمت كي
يطرق الطيف مرقدي
فيظلّ الهيام بي
ينتهي حيث يبتدي
ويحزن تنهّت
فاستجاشت تنهّدي
فاعتنقنا سويعة
مثل جفني مسهّد!
أفلت الأمس هاربا
وغد؟ ليس من غد!
صرت وحدي وليس لي
أربّ في التّوحّد
يا نديمي إلى الكؤوس ،
ويا منشد انشد
زد لي الخمر كلّما
قلت: ((يا صاحبي زد))
لا تقل أيّ موسم
ذا، فذا يوم مولدي!
أنا، ما زلت في الحياة ،
لي شبابي وسؤددي
ولجيني وعسجدي،
وخلالي ومحتدي
إنّما ((تلك)) أخلفت
قبل ليلين موعدي
لم تمت... لا ، وإنّما
أصبحت في سوى يدي!

آفة الحبّ أنّه
في قلوب وأكبد
فهو كالنار لم تدم
في هشيم لوقد

متى يذكر الوطن النوم

جلست وقد هجع الغافلون
أنكر في أمسنا والغد
وكيف استبدّ بنا الظالمون
وجاروا على الشيخ والأمرد
فخلت اللواعج بين الجفون
وأنّ جهنم في مرقدي
وضاق الفؤاد بما يكتم
فأرسلت العين مدرارها
ذكرت الحروب وويلاتها
وما صنع السيف والمدفع
وكيف تجور على ذاتها
شعوب لها الرتبة الأرفع
وتخضب بالدم راياتها
وكانت تذمّ الذي تصنع
فباتت بما تهدم
صروح العلوم وأسرارها
نساء تجود بأولادها
على الموت، والموت لا يرحم
وجند تجود بأكبادها
على الأرض ، والأرض لا تعلم
وتغدو الطيور بأجسادها
فإن عطشت فالشراب الدم
وفي كلّ منزلة مأتم
تشقّ بها الغد أزرارها
لقد شبع الذئب والأجدل
وأقفرت الدور والأربع
فكم يقتل الجحفل
ويفتك بالأروع الأروع

ولن يرجع القتل من قتلوا
ولن يستعيد الذي ضيعوا
فبئس الألى بالوغى علموا
وبئس الألى أجّجوا نارها
أمن أجل أن يسلم الواحد
تطلّ الدماء وتفنى الألوف؟
ويزرع أولاده الولد
لتحصدهم شفرات السيوف؟
أمور يحار بها الناقد
وتدمي فؤاد اللبيب الحصيف
فيا ليت شعري متى يفهم
معاني الحياة وأسرارها
وحوّلت طرفي إلى المشرق
كما جتمعت حول نفسي الغموم
فأسندت رأسي إلى مرفقي
وقلت ، وقد غلبتني الهموم
بربك، أيتها الأنجم
متى تضع الحرب أوزارها؟
كما يقتل الطير في الجنة
ويقتنص الظبي في السبب
كذلك يجنى على أمتي
بلا سبب وبلا موجب
فحتذام تؤخذ بالقوة
ويقتصّ منها ، ولم تذنب؟
وكم تستكين وتستسلم
وقد بلغ السيل زنارّها
وسيقت إلى النّطع سوق الغنم
مغاورها ورجال الأدب
وكل امرىء لم يمت بالخذم
فقد قتلوه بسيف السغب
فما حرّك الضيم فيها الشمم
ولا رؤية الدم فيها الغضب
تبدّلت الناس والأنجم
ولما تبدّل أطوارها

أرى الليث يدفع عن غيضته

بأنيابه وبأظفاره

ويجتمع النمل في قريته

إذا خشيء الغدر من جاره

ويخشى الهزار على وكنته

فيدفع عنها بمنقاره

فلا الكاسرات ولا الضيغم

ولا الشاة تمدح جزّارها

عجبت من الضاحك اللاعب

وأهلوه بين القنا والسيوف

يبيتون في وجل ناصب

فإن نصبوا ألجئوا للكهوف

وممن يصفقّ للضارب

وأحبابه يجرعون الحتوف

متى يذكر الوطن النّوم

كما تذكر الطير أوكارها؟

في الليل

جلست وقد هجع الغافلون

أفكر في أمسنا والغد

وكيف ، استبد بنا الظّلمون

وجاروا على الشّيخ والأمرد

فخلت اللّواعج بين الجفون،

وأنّ جهّنم في طرقدي

وضاق الفؤاد بما يكتم

فأرسلت العين مدرارها

ذكرت الحروب وويلاتها

وما صنع السّيف والمدفع

وكيف تجور على ذاتها

شعوب لها الرّتبة الأرفع

وتخضب بالدّم راياتها

وكانت تذمّ الذي تصنع

فباتت بما شيّدت تهدم

صروح العلوم وأسوارها

نساء تجود بأولادها

على الموت، والموت لا يرحم

وجند تذود بأكبادها

عن الأرض ، والأرض لا تعلم

وتغدو الطّيور بأجسادها

فإن عطشت، فالشّراب الدّم

وفي كلّ منزلة مأتم

تشقّ به الغيد أزرارها

لقد شبع الذئب والأجل

وأقفرت الدّور والأربع

فكم يقتل الجحفل الجحفل

ويفتك بالأروع الأروع

ولن يرجع القتل من قتلوا

ولن يستعيدوا الّذي ضيّعوا

فبئس الألى بالوغى علّموا

وبئس الألى أجّجوا نارها

أمن أجل أن يسلم الواحد

تطلّ الدّماء وتفنى الألوف؟

ويزرع أولاده الوالد

لتحصدهم شفوات السّيوف؟

أمور يحار بها النّاقد

وتدمي فؤاد اللّبيب الحصيف

فيا ليت شعري ، متى نفهم

معاني الحياة وأسرارها؟

وحوّلت طرفي إلى المشرق

فلم أر غير جيال الغيوم

تحوم علىبدره المشرق

كما اجتمعت حول نفسي الغموم

فأسندت رأسي إلى مرفقب

وقلت وقد غلبتني الهموم

بربّك، أيّتها الأنجم،متى تضع الحرب أوزارها؟

كما يقتل الطير في الجنّة

ويتنص الظّي في السّبسب

كذلك يجنى على أمّتي

بلا سبب وبلا موجب

فحتأم تؤخذ بالقوّة

ويقتصّ منها ولم تذنب؟

وكم تستكيين وتستسلم

وقد بلغ السّيل زنّارها؟

وسيقت إلى النّطع سوق النّعم

مغاويرها ورجال الأدب

وكلّ امرىء لم يمت بالخذم

فقد قتلوه بسيف السّغب

فما حرّك الضّيم فيها الشمم

ولا روية الدّم فيها الغضب

تبدّلت النّاس والأنجم

ولّما تبدّل أطوارها

أرى اللّيث يدفع عن غيضته

بأنيابه وبأظفاره

ويجتمع النّمل في قريته

إذا خشي الغدر من جاره

ويخشى الهزار على وكنته

فيدفع عنها بمنقاره

فلا الكاسرات ، ولا الضّيغم

ولا الشّاة تمدح جزّارها

عجبت من الضّاحك اللاّعب

وأهلوه بين القنا والسّيوف

يبيتون في وجل ناصب

فإن أصبحوا لجأوا للكهوف

ومّمن يصفقّ للضّارب

وأحبابه يجرعون الحتوف

متى يذكر الوطن النّوم

كما تذكر الطّير أوكارها؟

أين عصر الصبا

مالي وما للرشا الأغيد

خلت من الحب ومنه يدي

نأى، فما في قربه مطمع

لا تصل الكفّ إلى الفرقد

قطّعت باليأس حيوط المنى

وقلت للسلوان _ لا تبعد

وصرت لا يطربني منشد

ولا أنا أصبو إلى منشد

أسير في الرّوضة عند الضحى

حيران كالمدلج في فدفد

أمامي الماء ولا أرتوي ،

وحولي النور ولا أهتدي

يا ليت شعري، أين عهد الصّبا

وأين أحلام الفتى الأمرد

ولّى وولّت كخيال الكرى

يلوح في الذّهن ولم يوجد

فيا قلوب الكاشحين اكني

ويا عيون الحاسدين ارقدي

ويا شياها تتقي صولتي

قلّمت أظفاري فاستأسدي

يا سائلي عن أمس كيف انقضى

دعه وسلني، يا أخي ، عن غد

أروح للنفس وأهنا لها

أن تحسب الماضي لم يولد

أنا و النجم

مثلي هذا النجم في سهده

و مثله المحبوب في بعده

يختال في عرض السّما تائها

كأنّما يختال في برده

إن شئت فهو الملك في عرشه

أو شئت فهو الطفل في مهده

يرمقني شذرا كأنّي به

يحسبني أطمع في مجده

يسعى و لا يسعى إلى غاية

كمن يرى الغاية في جدّه

كأنّما يبحث عن ضائع

لا يستطيع الصبر من بعده

طال سراه و هو في حيرة

كأنّه المحزون في وجده

في جنح ليل حالك فاحم

كأنّ حظي قدّ من جلده

لا يحسد الأعمى به مبصرا

كلاهما قد ضلّ عن قصده

ساورني الهمّ و ساورته

ما أعجز الإنسان عن ردّه !

ما أعجب الدهر و أطواره

في عين من يمعن في نقده ؟

جرّبته دهرا فما راقني

من هزله شيء و لا جدّه

أكبر منه أنّني زاهد

ما زهد الزاهد في زهده

أكبر منّي ذا و أكبرت أن

يطمع ، أن أطمع في رفده

و عدّني أعجوبة في الورى

مذ رحت لا أعجب من حقده

يا ربّ خلّ كان دوني نهى

عجبت من نحسي و من سعده

و عائش يخطر فوق الثرى

أفضل منه الميت في لحده

أصبح يجبني الورد من شوكه

و بتّ أجني الشوك من ورده

أكذب إن صدّقته بعدما

عرفت منه الكذب في وعده

لا أشتكي الضرّ إذا مسّني

منه ، و لا أطرب من رغده

أعلم أن البؤس مستنفذ

و الرّغد ما لا بدّ من فقده

إذا الليالي قرّبت نازحا

و كنت مشتاقا إلى شهده

أملك عنه النفس في قربه

خوفا من الوحشة في صدّه
و إن أر الحزن على فائت
أضرّ بي الحزن و لم يجده

انتم معي

في المنزل المهجور أذكركم
فأخالني في جنّة الخلد
أنتم معي في كلّ آونه
و الناس يحسب أنّني وحدي !

سقوط بورت ارثور

من أسود تسربلت بالحديد
و من الجنّ في رواء الجنود
ينشدون الوغى و ما ينشد
الحسناء غير المتيّم المعمود
كلّ قرم درع من الصبر
و درع مسرودة من حديد
تحته أجرد أشدّ حنينا
و اشنياقا ألى الوغى من نجيد
سابح عنده العسير يسير
و القصيّ القصيّ غير بعيد
و صبا للنجوم من قد علاه
أصبح الجوّ تحته كالصعيد
تحسب الأرض قد جرت يجرى
و تراه كأنّه في ركود
إنّما يركب الجواد جواد
و يصون الذمار غير بليد
و خميس يحكي النجوم انتظاما
عجبا من كواكب في بيد
أوقع الرّعب في قلوب الضواري
فاستكانت كأنّها في قيود
أصبحت تهجر المياه و كانت
لا ترى الماء غير ماء الوريد
خافقات أعلامه ، أرأيتم

كقلوب العشّاق عند الصدود

قاده ذلك الغضنفر (نوجي)

و يناط الحسام بالصنديد

رجل دونه الرجال مقاما

مشبه في الأنام بيت القصيد

كلّ سيف في غير قيضة نوجي

فهو عند السيوف غير سعيد

يا يراعي سل (بورت أرثور) عنه

إنّ تلك الحصون خير شهود

معقل أصبحت جحافل هيتو

حوله كالعقود حول الجيد

هجموا هجمة الضراغم لمّا

حسبوها فريسة للأسود

و تعالى الضجيج للأفق حتى

كاد ذاك الضجيج بالأفق يودي

و توالى هجومهم و المنايا

ضاحكات ، فيا لها من صيود

كم جريح مضرّج بدماه

و قتيل على الثرى ممدود

و أسير إلى أسير يساقون

تباعا إلى الشقاء العتيد

أسطرهم مدافع الروس نارا

أصبحوا بعدها بغير جلود

دامت الحرب أشهرا كلما قيل

خبت نارها ذكت من جديد

و المنايا تحوم السرايا

حومة العاشقين حول الغيد

حيث حظّ المقدام مثل سواه

و كحظّ الكبير حظّ الوليد

صبر الروس صبر أيوب للبلوى

على ذلك العدوّ العنيد

غير أنّ االأيّام (وستوسل)

يمني أجفانه بالهجود

فتولاهم القنوط من النصر

فردّوا أسيافهم للغمود
كان هذا للصّفر عيدا و عند
الروس ضربا من الليالي السود
قلعة صانها الزمان فلولا
كيد نوجي لبشرّت بالخلود

الموده

ما لهند و كلّ حسناء هند
كلّ يوم تبدو بزيّ جديد
تلبس الثوب يومها و هي تطريه ،
و تطريه عندها كلّ خوذ
فإذا جاء غيره أنكرته
فرأينا الحميد غير الحميد
أولعت نفسها بكل طرف
ليتها أولعت ببعض التليد
أصبحت تعشق المشدّ و لم أبصر
طليقا متيّما بالقيود
رحمة بالخصور أيّتها الغيد
و رفقا رفقا بتلك القدود
ما جنته الزنود حتى ينال العري
منها ، يا عاريات الزنود ؟
لهف نفسي على المعاصم تغدو
غرض الحرّ عرضة للجليد
علام الأذيال أمست طوالا
كليالي الصدود أو كالبنود ؟
لو تكون الذيول أعمار قوم
لضمنّا لهم نوال الخلود
قصرت همّها الحسان على اللهو
و يا ليت لهوها بالمفيد
ساء حال الأزواج في عصرنا هذا ،
و ساءت أحوال كلّ وليد
كلّ زوج شاك ، و كلّ صغير
دامع الطرف كاره للوجود
يظلم الدهر حين يعزو إليه

البؤس ، و البؤس كلّ أم كنود

لا رعى الله زوجة تنفق الأموال

و العمر في اقتناء البرود

ليس في اللهو و البطالة فخر

إنّما الفخر كلّ عرس كدود

روعة العيد

يا شاعر هذي روعة العيد

فاستجد الوحي و اهتف بالأناشيد

هذا النعيم الذي قد كنت تنشده

لا تله عنه بشيء غير موجود

محاسن الصضيف في سهل و في جبل

و نشوة الصيف حتى في الجلاميد

و لست تبصر وجها غير مؤتلق

و لست تسمع إلّا صوت غرّيد

قم حدّث الناس عن لبنان كيف نجا

من الطغاة العتاه البيض و السود

و كيف هشّت دمشق بعد محنتها

و استرجعت كلّ مسلوب و مفقود

*

فاليوم لا أجنبي يستبدّ بنا

و يستخفّ بنا استخفاف عربيد يا أرز صفق ، و يا أبناءه ابتهجوا ،

قد أصبح السرب في أمن من السيّد

*

ما بلبل كان مسجونا فأطلقه

سجّانه ، بعد تعذيب و تنكيذ

فراح يطوي الفضاء الرحب منطلقا

إلى الربى و السواقي و الأماليد

إلى المروج يصلّي في مسارحها ،

إلى الكروم يغني للعناقيد

منّي بأسعد نفسا قد نزلت على

قومي الصناديد أبناء الصناديد

سماء لبنان بشر في ملامحهم

و فجره في ثغور الخرّد الغيد

إن تسكنوا الطود صار الطود قبلتنا

أو تهبطوا البيد لم نعشق سوى البيد

(هيوز) وقد كان قبلا ((موشّح)) .. شكوت إليه انقلاب الأمور

مصرع القمر

لوعة في الضلوع مثل جهنّم

تركت هذه الضلوع رمادا

بتّ مرمى للدهر بي يتعلّم

كيف يصمي القلوب و الأكبادا

كيف ينجو فؤاده أو يسلم

من تمادى به الأسى فتمادي

أنا لولا الشعور لم أتألّم

ليت هذا الفؤاد كان جمادا

كيف لا أبكي و في العين دموع

كيف لا أشكو و في القلب صدوع

قلّ في الناس من صبر مختار

****

لحظة ، ثمّ صار ضحكي و جيبا

و نشيجا ، و النوم صار سهادا

ربّ لمّا خلقت هذي الخطوبا

لم لم تخلق الحشا فولاذا

كلّما قلت قد وجدت حبيبا

طلع الموت بيننا يتهادى

صرت في هذه الحياه غريبا

ليت سهدي الطويل كان رقادا

فتجلّد أيّها القلب الجزوع

أو تدقق كلّما شاء الولوع

عندما أو دما هدر أو نارا

****

كان بين الكرى و بيني صلح

فأراد القضاء أن نتعادى

لم أكد أخلع السّواد و أصحو

من ذهولي حتّى لبست السوادا

في فؤادي ، لو يعلم الناس ، جرح

لا يلاشي حتّى يلاشي الفؤدا

يا خليلي ، هيهات ينفع نصح

بعدما ضيّع الحزين الرشادا

أنت لا تستطيع إحياء الصريع

و أنا ، حمل الأسى لا أستطيع

ذا الذي صيّر الكدر إكدارا

****

يا ضريحا على ضفاف الوادي

جاد من أجلك الغمام البلادا

فيك أودعت ، منذ ست ، فؤادي

و برغمي أطلت عنك البعادا

غير أنّي ، و إن عدتني العوادي

ما عدتني بالرّوح أن أرتادا

أنبتت حولك الزهور الغوادي

و اللّيالي أنبتن حولي القتادا

و ذبول الغصن في فصل الربيع

لو رآه شجر الروض المريع

جمد الماء في الشجر محتارا

****

كيف لا يتّقي الكرى أجفاني

و جفوني قد استحلن صعادا

و دموعي بلونها الأرجواني

منهل ليس يعجب الورّادا

و الذي في الضلوع من نيران

صار ثوبا و مقعدا ووسادا

كيف يقوي على الشدائد عان

أكل السقم جسمه أو كادا

فإذا ما غشى الطرف النجيع

فتذكّر أنّه القلب الصديع

كظّه الحزن فانفجر انفجارا

****

طائر كان في الربى يتغنّى

أصبح اليوم يحمل الأصفادا

غصن كان و الصبا يتثنّى

هصرته يد الردى فانآدا

نال مني الزمان ما يتمنّى

و أبى أن أنال منه مرادا

و تجنّى ما شاء أن يتجنّى

و استبدّت صروفه استبدادا

حطّم السيف و ما أبقى الدروع

و تداعى دونه السور المنيع

و أراني من العبر أطوارا

****

ما لهذي النجوم تأبى الشروقا

أتخاف الكوكب الأرصادا

فرط البين عقدها المنسوقا

أم لما بي البياض سوادا

أم فقدن كما فقدت شقيقا

فلبسن الدجى عليه حدادا

ما لعيني لا تبصر العيّوفا

و لقد كان ساطعا و قادا

سافرا يختال في هذا الرفيع

هل أتاه نبأ الخطب الفظيع

أم رأى مصرع القمر فتوارى

****

سدّد الدهر قوسه ورماني

لم تحد مهجتي و لا السّهم حادا

هكذا أسكتت صروف الزمان

بلبلا كان نوحه إنشادا

فهو اليوم في يد السّجّان

يشتهي كل ساعة أن يصادا

فاحسبوني أدرجت في الأكفان

إن أنفتم أن تحسبوا القول بادا

ليس في هذي و لا تلك الربوع

ما يسلّي النفس عن ذاك الضّجيج

قبره ، جادك المطر مدرارا

أيّها الراعي

شهور العام أجمملها " ربيع "

و أبغضها إلى الدنيا " جمادى "

و خير المال ما أمسى زكاة

و خير الناس من نفع العبادا

بربّك قل لنا و خلاك ذمّ

أعيسى كان يدّخر العتادا ؟

تنبّه أيّها الراعي تنبّه

فمن حفظ الورى حفظ العبادا

خرافك بين أشداق الضواري

و مثلك من حمى ووقى النقادا

تبدّل أمنهم رعبا و خوفا

و صارت نار أكثرهم رمادا

لقد أكل الجراد الأرض حتى

تمنّوا أنّهم صاروا جرادا

فمالك لا تجود لهم بشيء

وقد رقّ العدوّ لهم وجادا ؟

و مالك لا تجيب لهم نداء

كأنّ سواك ، لا أنت ، المنادى ؟

...

وربّت ساهر في " بعلبك "

يشاطر جفنه النجم السّهادا

يزيد الليل كربته اشتدادا

وفرط الهمّ ليلته سوادا

إذا مال النعاس بأخدعيه

ثنى الذعر الكرى عنه وذادا

به الداءان من سغب وخوف

فما ذاق الطعام و لا الرقادا

تطوف به أصيبيه صغار

كأنّ وجوههم طليت جسادا

جياع كلّما صاحوا و ناحوا

توهّم أنّ بعض الأرض مادا

إذا ما استصرخوه وضاق ذرعا

نبا عنهم و ما جهل المرادا

و لكن لم يدع بؤس اللّيالي
طريفا في يديه و لا تلادا
و لو ترك الزّمان له فؤادا
لما تركت له البلوى فؤادا

...

أتفترش الحرير و ترتديه
و يفترش الجنادل و القتادا
و يطلب من نبات الأرض قوتا
و تأبى غير لحم الطير زادا
و تهجع هانئا جذلا قريرا
و قد هجر الكرى وجفا الوسادا
عجيب أن تكون كذا ضنينا
و لم تبصر بنا إلّا جوادا
أما تخشى ذي لسان :
أمات الناس كي يحيي الجمادا

...

لذاتك همّهم نفع البرايا
و همّك أن تكيد و أن تكادا
نزلت بنا فأنزلناك سهلا
وزدناك النضار المستفادا
فكان حزاؤنا أن قمت فينا
لاتعلّمنا القطيعة و البعادا
فلمّا ثار ثائر حرّ
رجعت اليوم تمتدح الحيادا
أتدفع بالغويّ إلى التمادي
و تعجب بعد ذلك إن تمادى ؟
سكتّ فقام في الأذهان شكّ
و قلت فأصبح الشّكّ اعتقادا
تجهّمت القريض ففاض عتبا
و إن أحرجته فاض انتقادا
و لولا أن أثرت الخلف فينا
وددنا لو محضناك الودادا

كل من عليها فان

(بعث بها الى صديقه السيد فهمي يعزيه و قد فجع بموت والدته و كريمته و شقيقته في اسبوع واحد)

فديناك ، لو أنّ الردى قبل الفدى ،

بكلّ نفيس بالنفاس يفتدى

أبى الموت إلاّ ن ينالك سهمه

و ألا يرى شمل مبدّدا

فأقدم لا يبغي سواك و كلّما

درى أنّه عظيما تشدّدا

دهاك الردى لكن على حين فجأة

فتبّت يداه غادر صرح النّدى

دهاك و لم يشفق عل الصبيّة الألى

تركتهم يبكون مثنى و موحدا

فقدت و أوجدت الأسى في قلوبنا

أسى كاد لولا الدمع أن يتوقدا

بكيناك حتى كاد يبكي لنا الصفا

و حتى بكت ممّا بكينا له العدى

و ما كاد يرقى الدمع حتى جرى به

غد عندما ، يا ليتنا لم نر غدا !

قضت طفلة تحكي الملاك طهارة

و ألحقها الموت الزؤام بمن عدا

لقد ظعنت تبغي لقاك كأنّما

ضربت لها قبل التفرّق موعدا

كأنّ لها نذرا أرادت قضاءه

كأنّك أنت الصوت جاوبه الصدى

مشت في طريق قد مشى فيه بعدها

فتاك الذي أعددت منه المهنّدا

فتى طاب أخلاقا و طاب محادا

و طاب فؤادا مثلما طاب محتدا

فتى كان مثل الغصن في عنفوانه

فللّه ذاك الغصن كيف تاوّدا

تعوّد أن يلقاك في كلّ بكرة

فكان قبيح ترك ما قد تعوّدا

فجعنا به كالبدر عند تمامه

و لم نر بدرا قبله الأرض وسّدا
فلم يبق طرف لم يسل دمعه دما
و لم يبق قلب في الملا ما تصعّدا
كوارث لو نابت جبالا شواهقا
لخرّت لها تلك الشواهق سجّدا
و لو أنّها في جلمد صار سائلا
و لو أنّها في سائل صار جلمدا
(أفهمي) إنّ الصبر أليق بالفتى
و لا سيما من كان مثلك (سيّدا)
فكن قدوة للصابرين فإنّما
بمثلك في دفع الملمّات يقتدى
لعمرك ما الأحزان تنفع ربّها
فيجمل بالمحزون أن يتجلّدا
فما وجد الإنسان إلا ليفقدا
و ما فقد الإنسان إلا ليوجدا
و ما أحد تنجو من الموت نفسه
و لو أنّه فوق السماكين أصعدا
فلا يحزن الباكي و لا تشمت العدا
فكل امريء ، يا صاح ، غايته الردى

في فراش المرض

مرضت فأرواح الصّحاب كئيبة
بها ما بنفسي ، ليت نفسي لها فدى
ترفّ حيالي كلّما أغمض الكرى
جفوني جماعات و مثنى و موحدا
تراءى فآنا كالبدور سوافرا
و آونة مثل الجمان منضّدا
و طورا أراها حائرات كأنّها
فراقد قد ضيّعن في الأرض فرقدا
و طورا أراها جازعات كأنّما
تخاف مع الظلماء أن تتبدّدا
أحنّ إليها رائحات و عوّدا
سلام عليها رئحات و عوّدا
تهشّ إليها مقبلات جوارحي

كما طرب السّاري رأى النور فاهتدى

و ألقي إليها السّمع ما طال همسها

كذلك يسترعي الأذان الموحّدا

و يغلب نفسي الحزن رحيلها

كما تحزن الأزهار زايلها الندى

كرهت زوال اللّيل خوف زوالها

و عوّدت طرفي النوم حتى تعوّدا

و لو أنّها في الصحو تطرق مضجعي

حميت الكرى جفني و عشت مسهّدا

و لو لم تكن تعتاد منّي مثلما

خيالاتها همّت بأن تتقيّدا

فيا ليتني طيف أروح و أغتدي

و يا ليتها تستطيع أن تتقيّدا

نحلت إلى أن أنكر صورتي

و أخشى لفرط السقم أن أتنهّدا

مبيتي على الوثير ليانه

و أحسبني فوق الأسنّة و المدى

كأنّ خيوط المهد صارت عقاربا

كأن وسادي قد تحوّل جلمدا

لقد توشك الحمّى ، إذ جدّ جدّها

تقوّم من أضلاعي المتأوّدا

تصوّر لي الخيال حقيقة

و أحسب شخصا واحدا متعدّدا

لقد ضعضعتني ، و هي سر ، و لم يكن

يضعضعني صرف الزمان إذا عدا

إذا ما أنا أسندت رأسي إلى يدي

رمتني منها بالّذي يوهن اليدا

تغلغل في جسمي النحيل أوارها

فلو لم أقدّ الثوب عنه توقدا

رأيت الذي لم يبصر الناس نائما

و طفت الدنى شرقا و غربا موسّدا

يقول النطاسي لو تبلّدت ساعة

تبلّدت لو أنّي أطيق التبلّدا

تهامس حولي العائدون ورجّموا

و عنّف بعض الجاهلين و فنّدا

فما ساءني شماتة معشر

رجوت بهم عند الشدائد مسعدا

أسأت إليهم ، بل أساؤوا فإنّني

ظننتهم شراوي خلقا و محتدا

أحبّ الضّنى قوم لأنّي ذقته

و أحببته كما يحبّ و يحسدا

وودّ أناس لو يعاجلني الردى

كأنّي أرجو فيهم أن أخلّدا

و ما ضمنوا أن لا يموتوا و إنّما

يودّ زوال الشمس من كان أرمدا

إذا اللّيل أعياه مساجله الضحى

تمنّى لو أنّ الصبح أصبح أسودا

على أنّني والداء يأكل مهجتي

أرى العار ، كلّ العار ، أن أحسد العدى

فإنّ الذي بالجسم لا بدّ زائل

و لكنّ ما بالطبع ينفك سرمدا

لئن أجلب الغوغاء حولي و أفحشوا

فكم شتموا موسى و عيسى و أحمدا

و لا عجب أن يبغض الحرّ جاهل

متى عشق البوم الهزار المغرّدا ؟

و إنّي في كبت العداة و كيدهم

كمن يسلك الدرب القصير المعبّدا

و لكنّني أعفو و للغيظ سورة

أعلّم أعدائي المروءة و الندى

ألا ربّ غرّ خامر الشك نفسه

فلمّا رآني أبصر البحر مزبدا

فأصبح يخشاني و قد بتّ ساكتا

كما كان يخشاني وقد كنت منشدا

و يرهب إسمي أن يطيف بسمعه

كما تتّقي الدرداء حرفا مشدّدا

و من نال منه السيف و هو مجرّد

تهيّب أن يرنو إلى السيف مغمّدا

أحبّ الأبي الحر لا ودّ عنده

و أقلى الذليل النفس مهما تودّدا

و بين ضلوعي قلب ما تمرّدت

عليه بنات الدهر إلاّ تمرّدا

و لو أنّ من أهوى أطال دلاله

تركت لمن يهواها اللّهو و الدّدا

لم أجد أحدا ...

قالت سكتّ و ما سكتّ سدى

أعيا الكلام عليك أم نفدا ؟

إنّا عرفنا فيك ذا كرم

ما إن عرفنا فيك مقتصدا

فاطلق يراعك ينطلق خببا

واحلل لسانك يحلل العقدا

ما قيمة الإنسان معتقدا

إن لم يقل للناس ما اعتقدا ؟

و الجيش تحت البند محتشدا

إن لم يكن للحرب محتشدا ؟

و النور مستترا ؟ فقلت لها

كفّي الملامة و اقصري الفندا

ماذا يفيد الصوت مرتفعا

إن لم يكن للصوت ثمّ صدى ؟

و النور منبثقا و منتشرا

إن لم يكن للناس فيه هدى ؟

إنّ الحوادث في تتابعها

أبدلني من ضلّتي رشدا

ما خانني فكري و لا قلمي

لكن رأيت الشعر قد كسدا ...

***

كان الشّباب ، و كان لي أمل

كالبحر عمقا ، كالزمان مدى

و صحابه مثل الرّياض شذى

و صواحب كورودها عددا

لكنّني لمّا مددت يدي

و أدرت طرفي لم أجد أحدا !..

***

ذهب الصّبي و مضى الهوى معه

أصبابه و الشيب قد وفدا ؟

فاليوم إن أبصرت غانية

أغضي كأنّ بمقلتي رمدا

و إذا تدار الكأس أصرفها

عنّي ، و كنت ألوم من زهدا

و إذا سمعت هتاف شادية

أمسكت عنها السمع و الكبدا

كفّنت أحلامي و قلت لها

نامي ! فإنّ الحبّ قد رقدا

وقع الخطوب عليّ أخرسني

و كذا العواصف تسكت الغردا

عمرو صديق كان يحلف لي

إن نحت ناح و إن شدوت شدا

و إذا مشيت إلى المنون مشى

و إذا قعدت لحاجة قعدا

صدّقته ، فجعلته عضدي

و أقمت من نفسي له عضدا

لكنّني لمّا مددت يدي

و أدرت طرفي لم أجد أحدا !..

***

هند ، و أحسبني إذا ذكرت

أطأ الأفاعي ، أو أجسّ مدى

كانت إلها ، كنت أعبده

و أجلّه ، و الحسن كم عبدا

كم زرتها و الحيّ منبته

و تركتها و الحيّ قد هجدا

و لكم و قفت على الغدير بها

و الريح تنسج فوقه زردا

و الأرض ترقص تحتنا طربا

و الشهب ترقص فوقنا حسدا

و لكم جلسنا في الرياض معا

لا طارئا نخشى و لا رصدا

و اللّيل فوق الأرض منسدل

و الغيم فوق البدر قد جمدا

قد كاشفتني الحبّ مقتربا

و شكت إليّ الشوق مبتعدا

لكنّني لمّا مددت يدي

و أدرت طرفي لم أجد أحدا ! ..

***

قومي ، و قد أطربتهم زمنا

ساقوا إليّ الحزن و الكمدا

هم عاهدوني إن مددت يدي

ليمدّ كلّ فتى إليّ يدا

قالوا غدا تهمي سحائبنا

فرجعت أدراجي أقول غدا

و ظننت أنّي مدرك أربي

إن غار تحت الأرض أو صعدا

فذهبت أمشي في الثرى مرحا

ما بين جلّاسي و منفردا

تيه المجاهد نال بغيته

أو تيه مسكين إذا سعدا

لكنّني لمّا مددت يدي

و أدرت طرفي لم أجد أحدا ! ...

***

هم هدّدوني حين صحت بهم

صيحاتي الشّعواء منتقدا

و رأيت في أحداقهم شررا

و رأيت في أشداقهم زبدا

و سمعت صائحهم يقول لهم

أن أقتلوه حيثما وجدا

فرجعت أحسبهم برابرة

في مهمة و أظنّني ولدا

مرّت ليال ما لها عدد

و أنا حزين باهت كمدا

أرتاع إن أبصرت واحدهم

ذعر الشويهة أبصرت أسدا

و إذا رقدت رقدت مضطربا

و إذا صحوت صحوت مرتعدا

لكنّني لمّا مددت يدي

و أدرت طرفي لم أجد أحدا ! ...

***

لا تذكروهم لي ، و إن سألوا

لا تذكروني عندهم أبدا

لا يملأ السربال واحدهم

و له وعود تملأ البلدا

يا ليتني ضيّعت معرفتي

من قبل أعرف منهم أحدا

الرزء الأليم

(رثى بها فقيد اللغة و الأدب المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي)

- - - -

عدمت قلبي لم يعدم الجلدا

و نال نفسي الردى إن لم تذب كمدا

آها و لو نفعت آه أخا شجن

لم يبتع غيرها عند الأسى عضدا

آها و لو لم يكن خطب ألمّ بنا

ما سطّرتها يدي في كاغد أبدا

ألمرء مجتهد و الموت مجتهد

أن ليس يترك فوق الأرض مجتهدا

ساوى الرضيع به شاب مفرقه

و العبد سيّده و الثعلب الأسدا

قد غادر الفضل بالأحزان منفردا

من كان بالفضل دون الناس منفردا

مات (البيان) بموت (اليازجّي) فمن

لم يبك هذا بكى هذا الذي فقدا

و الله ما ولدت حواء أطهر من

هذا الفقيد فؤادا لا ولن تلدا

أين (الضياء) الذي زان البلاد كما

يزين البدر في جنح الدّجى الجلدا ؟

أين اليراع الذي قد كان يطربنا

صريره في أديم الطرس منتقدا ؟
و أين أين سجاياه التي حسدت
يبكي الشقيق أخا والوالد الولدا
أقسمت ما اهتز فوق الطرس لي قلم
إلاّ جعلت له دمعي البتيت مددا
و لا تخذت أخا في الدهر يؤنسني
بعد الجليل سوى الحزن الذي وجدا

الغد لنا

تبدّل قلبي من ضلالته رشدا
فلا أرب فيه لهند و لا سعدى
و لم تخب نار الوجد فيه و لا انطوت
و لكن هيامي صار بالأنفع الأجدى
و ما الزهد في شيء سوى حبّ غيره
أشدّ الورى نسكا أشدهم وجدا
أحبّ سواي العيش لهوا وراحة
و انكرته لهوا فأحببته كدّا
و ما دام في الدنيا سمو ورفعه
فما أنا من يرضى و يقنع بالأردا

...

هو الموت أن نحيا شياها وديعه
و قد صار كلّ الناس من حولنا أسدا
و أن نكتفي بالأرض نسرح فوقها
و قد ملكوا من فوقنا البرق و الرعدا
و أن ينشروا في كلّ أفق بنودهم
و أن لا نرى فوق السّماك لنا بندا

...

تأملت ماضينا المجيد الذي انقضى
فزلزل نفسي أنّه انهار و انهدا
و كيف امّحت تلك الحضارات كلّها
و صارت بلاد أنبتتها لها لحدا
و صرنا على الدنيا عيالا و طالما
تعلّم منا أهلها البذل و الرفدا
و نحن الألى كان الحرير برودهم

على حين كان الناس ملبسهم جلدا

...

إذا الأمس لم يرجع فإنّ لنا غدا

نضيء به الدنيا و نملأها حمدا

و تلبسنا في الليل آفاقه سنا

و تنشرنا في الفجر أنسامه ندّا

فإنّ نفوس العرب كالشهب ، تنطوي

و تخفى ، و لكن ليس تبلى و لا تصدا

و مثل اللآلي لا يخيس جمالها

و إن هي لم ترصف و لم تنتظم عقدا

إذا اختلفت رأيا فما اختلفت هوى ،

أو افترقت سعيا فما افترقت قصدا

العيون السود

ليت الذي خلق العيون السودا

خلق القلوب الخافقات حديد

لولا نواعسها و لولا سحرها

ما ودّ مالك قلبه لو صيدا

عوّذ فؤادك من نبال لحاظها

أو مت كما شاء الغرام شهيدا

إن أنت أبصرت الجمال و لم تهم

كنت امرءا خشن الطباع ، بليدا

و إذا طلبت مع الصبابة لذّة

فلقد طلبت الضائع الموجودا

يا ويح قلبي إنّه في جانبي

و أظنّه نائي المزار بعيدا

مستوفز شوقا إلى أحبابه

المرء يكره أن يعيش وحيدا

برأ الإله له الضلوع وقاية

و أرته شقوته الضلوع قيودا

فإذ هفا برق المنى و هفا له

هاجت دفائنه عليه رعودا

جشّمته صبرا فلمّا لم يطق

جشّمته التصويب و التصعيدا

لو أستطيع وقيته بطش الهوى
و لو استطاع سلا الهوى محمودا
هي نظرة عرضت فصارت في الحشا
نارا و صار لها الفؤاد وقودا
و الحبّ صوت ، فهو أنّه نائح
طورا و آونة يكون نشيدا
يهب البواغم صدّاحة
فإذا تجنّى أسكت الغرّيدا
ما لي أكلّف مهجتي كتم الأسى
إن طال عهد الجرح صار صديدا
و يلذّ نفسي أن تكون شقيّة
و يلذّ قلبي أن يكون عميدا
إن كنت تدري ما الغرام فداوني
أو لا فخلّ العذل و التفنيدا

...

يا هند قد أفنى المطال تصبّري
و فنيت حتّى ما أخاف مزيدا
ما هذه البيض التي أبصرتها
في لمّتي إلاّ اللّيالي السودا
ما شبت من كبر و لكنّ الذي
حمّلت نفسي حمّلته الفودا
هذا الذي أبلى الشباب وردّه
خلقا وجعّد جبهتي تجعيدا
علمت عيني أن تسحّ دموعها
بالبخل علمت البخيل الجودا
و منعت قلبي أن يقرّ قراره
و لقد يكون على الخطوب جليدا
دلّهتني و حميت جفني غمضه
لا يستطاع مع الهموم هجودا
لا تعجبي أنّ الكواكب سهّد
فأنا الذي علّنتها التسهيدا
أسمعتها وصف الصبابه فانثنت
و كأنّما وطيء الحفاة صرودا
متعثّرات بالظلام كأنّما

حال الظلام أساودا و أسودا
و أنّها عرفت مكانك في الثرى
صارت زواهرها عليك عقودا
أنت التي تنسى الحوائج أهلها
و أخا البيان بيانه المعهودا
ما شمت حسنك إلاّ راعني
فوددت لو رزق الجمال خلودا
و إذا ذكرتك هزّ ذكرك أضلعي
شوقا كما هزّ انسيم بنودا
فحسبت سقط الطلّ ذوب محاجري
لو كان دمع العاشقين نضيدا
و ظننت خافقة الغصون أضالعا
و ثمارهن القانيات كبودا
و أرى خيالك كلّ طرفة ناظر
و من العجائب أن أراه جديدا
و إذا سمعت حكاية من عاشق
عرضا حسبتني الفتى المقصودا
مستيقظ و يظنّ أنّي نائم
يا هند ، قد صار الذهول جمودا
و لقد يكون لي السلوّ عن الهوى
لكنّما خلق المحبّ ودودا

الطين

نسي الطين ساعة أنه طين
حقير فصال تيها و عربد
و كسى الخزّ جسمه فتباهى ،
و حوى المال كيسه فتمرّد
يا أخي لا تمل بوجهك عنّي ،
ما أنا فحمة و لا أنت فرقد
أنت لم تصنع الحرير
الذي تلبس و اللؤلؤ الذي تتقلّد
أنت لا تأكل النضار إذا
جعت و لا تشرب الجمان المنضّد
أنت في البردة الموشّاة مثلي

في كسائي الرديم تشقى و تسعد

لك في عالم النهار أماني ،

وروءى و الظلام فوقك ممتد

و لقلبي كما لقلبك أحلا

م حسان فإنّه غير جلمد

...

أأماني كلّها من تراب

و أمانيك كلّها من عسجد ؟

و أمانيّ كلّها للتلاشي

و أمانيك للخلود المؤكّد !؟

لا . فهذي و تلك تأتي و تمضي

كذويها . و أيّ شيء يؤبد ؟

أيّها المزدهي . إذا مسّك ألا

تشتكي ؟ ألا تتنهد ؟

و إذا راعك الحبيب بهجر

ودعتك الذكرى ألا تتوحّد ؟

أنت مثلي يبش وجهك للنعمى

و في حالة المصيبة يكمد

أدموعي خلّ و دمعك شهد ؟

و بكائي ذلّ و نوحك سؤدد ؟

وابتسامتي السراب لا ريّ فيه ؟

و ابتسامتك اللآلي الخرّد ؟

فلك واحد يظلّ كلينا

حار طرفي به و طرفك أرمد

قمر واحد يطلّ علينا

و على الكوخ و البناء الموطّد

إن يكن مشرقا لعينيك إنّي

لا أراه من كوّة الكوخ أسود

ألنجوم النى تراها أراها

حين تخفي و عندما تتوقّد

لست أدنى على غناك إليها

و أنا مع خصاصتي لست أبعد

...

أنت مثلي من الثرى و إليه

فلماذا ، يا صاحبي ، التيه و الصّد
كنت طفلا إذ كنت طفلا و تغدو
حين أغدو شيخا كبيرا أدرد
لست أدري من أين جئت ، و لا ما
كنت ، أو ما أكون ، يا صاح ، في غد
أفتدري ؟ إذن فخبّر و إلاّ
فلماذا تظنّ أنّك أوحد ؟

...

ألك القصر دونه الحرس الشا
كي و من حوله الجدار المشيّد
فامنع اللّيل أن يمدّ رواقا
فوقه ، و الضباب أن يتبلّد
وانظر النور كيف يدخل لا
يطلب أذنا ، فما له يطرد ؟
مرقد واحد نصيبك منه
أفتدري كم فيك للذرّ مرقد ؟
ذدتني عنه ، و العواصف تعدو
في طلابي ، و الجوّ أقتم أربد
بينما الكلب واجد مأوى
و طعاما ، و الهرّ كالكلب يرفد
فسمعت الحياة تضحك منّي
أترجى ، و منك تأبى و تجحد

...

ألك الروضة الجميلة فيها
الماء و الطير و الأزاهر و النّد ؟
فازجر الريح أن تهزّ و تلوي
شجر الروض – إنّه يتأوّد
و الجم الماء في الغدير و مره
لا يصفق إلاّ و أنت بمشهد
إنّ طير الأراك ليس يبالي
أنت أصغيت أم أنا إن غرّد
و الأزاهير ليس تسخر من فقري ،
و لا فيك للغنى تتودّد

...

ألك النهر ؟ إنّه للنسيم

الرطب درب و للعصافير مورد

و هو للشهب تستحمّ به

في الصيف ليلا كأنّها تتبرّد

تدعيه فهل بأمرك يجري

في عروق الأشجار أو يتجعّد ؟

كان من قبل أن تجيء ؛ و تمضي

و هو باق في الأرض للجزر و المد

...

ألك الحقل ؟ هذه النحل تجي

الشهد من زهرة و لا تتردّد

و أرى للنمال ملكا كبيرا

قد بنته بالكدح فيه و بالكد

أنت في شرعها دخيل على الحقل

و لصّ جنى عليها فأفسد

لو ملكت الحقول في الأرض طرّا

لم تكن من فراشة الحقل أسعد

أجميل ؟ ما أنت أبهى من الور

دة ذات الشذى و لا أنت أجود

أم عزيز ؟ و للبعوضة من خدّيك قوت

و في يديك المهند

أم غنيّ ؟ هيهات تختال لولا

دودة القز بالحباء المبجد

أم قويّ ؟ إذن مر النوم إذ يغشاك

و الليل عن جفونك يرتد

وامنع الشيب أن يلمّ بفوديك

و مر تلبث النضارة في الخد

أعليم ؟ فما الخيال الذي يطرق ليلا ؟

في أيّ دنيا يولد ؟

ما الحياة التي تبين و تخفى ؟

ما الزمان الذي يذمّ و يحمد ؟

أيّها الطين لست أنقى و أسمى

من تراب تدوس أو تتوسّد

سدت أو لم تسد فما أنت إلاّ

حيوان مسيّر مستعبد

إنّ قصرا سمكته سوف يندكّ ،

و ثوبا حبكته سوف ينقد

لايكن للخصام قلبك مأوى

إنّ قلبي للحبّ أصبح معبد

أنا أولى بالحب منك و أحرى

من كساء يبلى و مال ينفد

شكوى

نسيت عهدي ، فلمّا جئتها

زعمت أنّي تناسيت العهود

وادّعت أنّي خليّ زاهد

أنا لو كنت كذا كنت سعيد

رغبت في الصدى عنّي بعدما

بتّ لا يحزنني مثل الصدود

مثلما أنكر ثغري خدّها

أنكرت فاتنتي تلك الوعود

يا شهودي عندما كنّا معا

ذكّوها ...أين أنتم يا شهود ؟

سكت البدر الذي راقبنا

وذوت في الروض هاتيك الورود

و مشيت ريخ الصبا حائرة

في المغاني حيرة الصبّ العميد

يا هواها قل متى تتركني

قال أو تصفرّ هاتيك الخدود

أنا لا أدعو عليها بالضنى

أتّقي أن يشمت القالي الحسود ....

إلى صديق

يا من قربت من الفؤاد

و أنت عن عيني بعيد

شوقي إليك أشدّ من

شوق السليم إلى الهجود

أهوى لقاءك مثلما

يهوى أخو الظمإ الورود
و تصدّني عنك النوى
و أصدّ عن هذا الصدود
وردت نميقتك التي
جمعت من الدرّ النضيد
فكأنّ لفظك لؤلؤ
و كأنّما القرطاس جيد
أشكو إليك و لا يلام
إذا شكى العاني القيود
دهرا بليدا ما ينيل
وداده إلاّ بليد
و معاشرا ما فيهم
إن جئتهم غير الوعود
متفرّجين و ما التفرنج
عندهم غير الجحود
لا يعرفون من الشجاعة
غير ما عرف القرود
سيّان قالوا بالرضى
عنّي أو السخط الشديد
من ليس يصّدق في الوعود
فليس يصدّق في الوعيد
نفر إذا عدّ الرجال
عددتهم طيّ اللحود
تأبى السماح طباعهم
ما كلّ ذي مال يجود
أسخاهم بنضاره
أقسى من الحجر الصلود
جعد البنان بعرضه
يفدي اللجين من الوفود
و يخاف من أضيافه
خوف الصغير من اليهود
تعس امريء لا يستفيد
من الرجال و لا يفيد

و أرى عديم النفع ان
وجوده ضرر الوجود

1914

طوي العام كما يطوي الرقيم
و هوى في لجّة الماضي البعيد
*
لم يكن ... بل كان لكن ذهبا
وانقضى حتّى كأن لم يكن
لو درى حين أتى المنقلبا
لتمنّى أنّه لم يبن
أيّ نجم شارق ما غربا
أي قلب خافق لم يسكن
جاهل من حسب الآتي يدوم
أحمق من حسب الماضي يعود
*
ما لنا يأخذ منّا الطرب
كلّما عام تلاشى واضمحل
أفرحنا أنّنا نقترب
من غد ؟ إنّ غدا فيه الأجل
عجب هذا و منه أعجب
إنّنا نفنى و لا يفنى الأمل
فكأنّا ما سمعنا بالحتوم
أو كأنّا قد نعمنا بالوجود
*
يا رعاه الله من عام خلا
فلقد كان سلاما و أمان
صافح الجحفل فيه الجحفلا
واستراح السيف فيه و السنان
ما انجلى حتى رأى النقع انجلى
و خبت نار الوغى في " البلقان "
لست أنسى نهضة الشعب النؤوم
إنّ فيها عبرة للمستفيد
*

و التقى البحران فيه بعدما

مرّت الأجيال لا يلتقيان

أصبح السّدّ الذي بينهما

ترعة يزخر فيها الأزرقان

فلتندم " آميركا) ما التطما

ما لهذا الفتح في التاريخ ثان

و لتعيش رايتها ذات النجوم

أجمل الرايات أولى بالخلود !

*

واعتلى الناس به متن الهواء

فهم حول الدراري يمرحون

يمخر المنضاد فيهم في الفضاء

مثلما يمخر في البحر السفين

معجزات ما أتاها الأنبياء

لا ولم يطمح إليها الأقدمون

سخّر العلم لهم حتّى الغيوم

فهم ، مثلهم ، فوق الصعيد

*

حلّق الغربيّ فوق السموات

و لبثنا نندب الرسم المحيل

فاذا ما قال أهل المكرمات

ما وجدنا ، و أبيكم ، ما نقول

لو فقهنا مثلهم معنى الحياة

ما أضعناها بكاء في الطلول

ألفت أنفسنا الضيم المقيم

مثلما يستعذب الظبي الهبيد ! .

*

أدركت غايتها كلّ الشعوب

نهض الصيني و ما زلنا نيام

عبثت فينا الرزايا و الخطوب

مثلما يعبث بالحرّ اللئام

صودر الكاتب منّا و الخطيب

منعت ألسننا حتّى الكلام

نحن في الغفلة أصحاب الرقيم

نحن في الذّلة إخوان اليهود

*

ليت أنّا حين مات الشّمم

لحقت أرواحنا بالغابرين

ما تمرّدنا على من ظلموا

لا ولم نفكك وثاقا عن سجين

ليس يمحو عارنا إلاّ الدّم

فالى كم نذرف الدمع السخين ؟

قام فينا ألف جبّار غشوم

غير أنّا لم يمت منّا شهيد

*

يا لقومي بلغ السيل الزبى

واستطال البغي و استشرى الفساد

فاجعلوا أقلامكم بيض الظبى

و استعيروا من دم الباغي المداد

كتب السيف ...اقرأوا ما كتبا

لا ينال المجد إلاّ بالجهاد

أي رجال الشرق أبناء القروم

لا تناموا .آفة الماء الركود!!!

موميات

(عرج صاحب الديوان في احدى سفراته على فندق فخم ، فلم ير إلا عجائز ، فقال :)

ـــ

لمن يضوع العبير ؟

لمن تغنّي الطيور ؟

لمن تصفّ القناني ؟

لمن تصبّ الخمور ؟

و لا جمال أنيق

و لا شباب نضير

بل موميات عليها

أطالس و حرير

راحت تقعقع حولي

فكاد عقلي يطير

ولاذ قلبي بصدري

كأنّه عصفور

لاحت له في الأعالي

بواشق و صقور

و قال : ضويقت فاهرب !

قلت : الفرار عسير

ما لي جناح و لا لي

سيّارة أو بعير

صبرا ، فهذا بلاء

مقدّر مسطور

و رحت أسأل ربّي

و هو اللطيف الخبير

أين الحسان الصبايا

إن كان هذا النشور ؟

ليت الحضور غياب

و الغائبين حضور

بل ليت كلّ نسيج

براقع و ستور

فقد أضرّ و آذى

عينيّ هذا السفور

***

هذي العصور الخوالي

تطوف بي و تدور

من كلّ شمطاء ولّى

شبابها و الغرور

كأنّما الفم منها

مقطّب مزرور

كيس على غير شيء

من الحلى مصرور

مأنّما هو جرح

مرّت عليه شهور

يا طالب الشهد أقصر

لم يبق إلا القفير

كأنّما الوجه منها

قد عضّه الزمهرير

كالبدر حين تراه
يعينك " الناظور "
تبدو لعينيك فيه
برازخ و بحور
و أنجد ووهاد
لكنّه مهجور !
مثل المسنّ و لكن
لا ماء فيه يمور
ما للبعوضة فيه
قوت بل التضوير
و لا يؤثّر فيه
ناب و لا أظفور
و لليدين ارتعاش
و للعظام صرير
أما العيون فغارت
و لا تزال تغور
مغاور ، بل صحارى ،
بل أكهف ، بل قبور
و الخصر ؟ عفوا و صفحا !
كانت لهنّ خصور !

***

هنّ السعالى و لكن
سعالهنّ كثير
حديثهنّ انتفاض
و ضحكهنّ هرير
و مشيتهنّ ارتباك
و تارة تقدير
يغضبن إن مال ظلّ
و إن ضدا شحرور
و إن تهادت غصون
و إن تسارى عبير
و إن تمايل عشب
و إن تماوج نور
فكلّ شيء قبيح

و كلّ شيء حقير

و كيف يفرح قلب

رجاؤه مدحور ؟

ما للرماد لهيب

ما للجليد خرير

***

من حولهنّ الأقاحي

و الورد و المنثور

وهنّ مكتئبات

كأنّهنّ صخور

لا يبتسمن لشيء

أما لهنّ ثغور ؟

بلى ، لهنّ ثغور

و إنّما لا شعور

كأنّما الحسن في الأر

ض كلّه تزوير

***

في فندق أنا أم في

جهنّم محشور ؟

و هل أنا فيه ضيف

لساعة أم أسير

يا ليتني لم أزره

و ليته مهجور

فليس يهنأ فيه

إلاّ الأصمّ الضرير

الخطب الفادح

(رثى بها المغفور له الامام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)

- - -

هيهات بعدك ما يفيد تصبّر

و لئن أفاد فأيّ قلب يصبر ؟

إنّ البكاء من الرجال مذمّم

إلاّ عليك فتركه لا يشكر

لو كان لي قلب لقلت له ارعوي

إنّي بلا قلب فإنّي أزجر
لا زمت قبرك و البكاء ملازمي
و اللّيل داج و الكواكب سهّر
أبكي عليك بأدمع هطّالة
و لقد يقل لك النجيع الأحمر
وودت من شجوي عليك و حسرتي
لو أن لحدك في فؤادي يحفر
إنّي لأعجب كيف يعلوك و حسرتي
لو ان لحدك في فؤادي يحفر
أمسيت مستترا به لكنّما
آثار جودك فوقه لا تستر
مرض الندى لمّا مرضت و كاد أن
يقضي من اليأس الملمّ المعسر
يرجوط أنك جابر كسره
فإذا فقدت فكسره لا يجبر
و علت على تلك الوجوه سحابة
كدراء لا تصفو و لا تستمطر
كم حاولوا كتم الأسى لكنّه
قد كان يخترق الجسوم فيظهر
حامت حواليك الجموع كأنّما
تبغي وقاء الشرق مما يحذر
و الكلّ يسأل كيف حال إمامنا
ماذا رأى حكمائنا ، ما أخبروا ؟
و الداء يقوى ثم يضعف تارة
فكأنّه يبلو القلوب و يسبر
أوردته عذبا فأوردك الردى
تبّت يداه فذنبه لا يغفر
هيهات ما يثني المنيّة جحفل
عمّن تؤم و لا يفيد العسكر
رصد الردى أرواحنا حتى لقد
كدنا نعزّي المرء قبل يصور
نهوى الحياة كأنّما هي نعمة
و سوى الفواجع حبّها لا يثمر
و نظنّ ضحك الدهر فاتحة الرضى

و الدهر يهزأ بالأنام و يسخر

أفقيد أرض النيل أقسم لو درى

بالخطب أوشك ماؤه يتهسّر

و ضعوك في بطن التراب و ما عهد

ت البحر قلبك في الصفائح يذخر

ورأوا جلالك في الضريح فكلّهم

يهوى و يرجو لو مكانك يقبر

لم تخل من أسف عليك حشاشة

أبدا فيخلو من دموع محجر

آبو و ما آب العزاء إليهم

و الحزن ينظم و المدامع ينشر

و الكلّ كيف يكون حال بلادهم

من بعد ما مات الإمام يفكّر

لم يبلنا هذا الزمان بفقده

لو كان ممّن بالرزية يشعر

و قال معاتبا

إن كان ذنبي دفاعي عن حقوقكم

فلست أدري وربّي كيف أعتذر

أعيذكم أن يقول الناس قد مدحوا

فما أثابوا على قول و لا شكروا

التينة الحمقاء

و تينة غضة الأفنان باسقة

قالت لأترابها و الصيف يحتضر

" بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني

عندي الجمال و غيري عنده النظر "

" لأحبسنّ على نفسي عوارفها

فلا يبين لها في غيرها أثر "

" كم ذا أكلّف نفسي فوق طاقتها

و ليس لي بل لغيري الفيء و الثمر "

" لذي الجناح و ذي الأظفار بي وطر

و ليس في العيش لي فيما أرى وطر "

" إنّي مفصلة ظلّي على جسدي

فلا يكون به طول و لا قصر "

و لست مثمرة إلا على ثقة

إن ليس يطرقني طير و لا بشر "

....

عاد الربيع إلى الدنيا بموكبه

فازّينت واكتست بالسندس الشجر

و ظلّت اتينة الحمقاء عارية

كأنّها وتد في الأرض أو حجر

و لم يطق صاحب البستان رؤيتها ،

فاجتثّها ، فهوت في النار تستعر

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به

فإنّه أحمق بالحرص ينتحر

أيا نيل

وقفت ضحى في شاطيء النيل وقفة

يضنّ بها إلاّ على النيل شاعره

تهلّل حتى يبدو ضميره

و عبّس حتى كاد يشكل ظاهره

فثمّ جلال يملأ النفس هيبة

و ثمّ جلال يملأ العين باهره

فطورا أجيل الطرف في صفحاته

و طورا أجيل الطرف فيما يجاوره

و ألحظ شمس الأفق و هي مطله

تساير فيها ظلّها إذ تسايره

فأحسبها فيه تساهمني

و تحسبني فيها الغرام أشاطره

إذا هي ألقت في حواشيه نورها

رأى التبر يجري في حواشيه ناظره

أطالت به لاتحديق حتى كأنّما

تحاول منه أن تبين سرائره

فيا لهما إلفين باتا بعزل

يخامرها من حبّه ما يخامره

يروح النسيم الرّطب في جنباته

يداعبه طورا و طورا يحاوره

و تقبض من مبسوطه نفحاته

كما قبض الثوب المطرّز ناشره

فيصدف عنه و هو مقطب

كأنّ عدوّا بالنسيم يحاذرة

كأنّي به تدانت سطوره

أوائله قد شكّلت و أواخره

إذا ما جلا للناظرين رموزه

تجلّى لهم ماضي الزمان و حاضره

أيا نيل نبئني أحاديث من مضوا

لعلّ شفاء النفس ما أنت ذاكره

حيالك صبّ بالخطوب مهدّد

جوانحه رهن الهموم و خاطره

أطاع شجونا لو أطاع فؤاده

عليها لفاضت بالنجيع محاجره

يحثّ إليّ الدهر كلّ رزيئة

على عجل حتى كأنّي واتره

و ما أنا بالعبد الذي يرهب العصا

و لكنّني حرّ تروع بوادره

أيا نيل فامنحني على الحقّ قوّة

فما سوّد الضرغام إلاّ أظافره

و هبني بأسا يسكن الدهر عنده

فقد طالما جاشت عليّ مناخره

إذا لم تكن عون الشجيّ على الأسى

فخاذله فيه سواء و ناصره

قني البأس وامنع شعبك الضّعف يتّقي

و ينصفه من حسّاده من يناكره

هو الدهر من ضدّين ذلّ و عزّة

فمن ذلّ شاكيه و من عزّ شاكره

و للقادر الماضي العزيمة حلوة

و للعاجز الواهي الشكيمة حازره

و ما للناس إلا القادرون على العلى

و ليست صنوف الطير إلاّ كواسر

ألم تره منذ استلينت قناته

تمشّت

فأرهق حتى ما يبين كلامه

و قيّد حتى ليس تسري خواطره

و لو ملكوا الأقدار استغفر الذي

له الملك يؤتيه الذي هو آثره

لما تركوا شمس النهار يزوره

سناها ، و لا زهر النجوم تسامره

يريدون أن يبقى و يذهب مجده

و كيف بقاء الشعب بادت مآثره ؟

فغورست في مصر يسدّد سهمه

إليه و قنّاص الوحوش يضافره

يلجّون في إعناته فإذا شكا

يصيحون أنّ الشعب قد ثار ثائره

لقد هزأوا لما تنّبه بعضه

فلم ذعروا لما تنبّه سائره ؟

يقولون جان لا يحلّ فكاكه

و لو أنصفوه حمل الإثم أسره

عجبت لقوم ينكرون شعوره

و هاتا مجاليه و تلك مظاهره

ألم يك في يوم القناة ثباته

دليلا على أن ليس توهى مرائره ؟

يعزّ على المصريّ أن يحمل الأذى

و حاضره يأبى الهوان و غابره

لئن تك للتاريخ و الله زينة

فما زينة التاريخ إلاّ مفاخره

رعى الله من أبنائه من يذود عن

حماه ، و من أضيافه من يظاهره

هم بعثوا فيّ الحياة جديده

فشدت أواخيه و عزّت أواصره

و هم أسمعوا الأيّام صوتا كأنّما

هو الرعد تدوي في السماء زماجره

و هم أطلقوا أقلامهم حين أصبحت

مكبلة أقلامه و محابره

كذلك إن يعدم أخو الظلم ناصرا

فلن يعدم المظلوم حرا يناصره

مجاهد

قالوا قضى " موسى " فقلت قد انطوى

علم و أغمد صارم بتّار

فتوشّت صور المنى و تناثرت

كالزّهر بدّد شملها الإعصار

و كأنّما وتر الردى كلّ امريء

لمّا تولّى ذلك الجبّار

جزعت لمصرعه البلاد كأنّما

قد غاب عنها جحفل جرّار

و بكت " فلسطين " به قيدومها

إنّ الرزايا بالكبار كبار

لمّا نعوه نعوا إلينا سيّدا

شرفت خلائقه و طاب نجار

...

لبس الصّبا و نضاه غير مدنّس

كالنجم لم تعلق به الأوضار

و مشى المشيب برأسه فإذا به

كالحقل فيه الزهر و الأثمار

و تطاولت أعوامه ، فإذا به

كالطود فيه صلابة ووقار

ترتدّ عنه العاصفات كليلة

ويزلّ عنه العارض المدرارا

أوذي فلم يجزع ، وضيم فلم يهن

إنّ الكريم على الأذى صبّار

صقلت مكافحة الشدائد نفسه

و الروض تجلو حسنة الأمطار

فله من الشيخ الأصالة ، و الفتى

إقدامه ، إذ للفتى أوطار

يتهيّب الفجّار صدق يقينه

و برأيه يسترشد الأحرار

ما زال يزأر دون ذيّاك الحمى

كاللّيث ريع فما له استقرار

و يجشّم النفس المخاطر هادئا

كيلا تلمّ بقومه الأخطار

حتى استقرّ به الردى في حفرة
و خلا ، لغير جواده ، المضمار
فاعجب لمن ملأ المسامح ذكره
تطويه في عرض الثرى أشبار !

...

أيّار مذكور بحسن صنيعه
ولئن تولّى وانقضى أيّار
فاخدم بلادك مثل " موسى كاظم "
تسبغ عليك ثناءها الأمصار
إنّ السنين كقليلها
إن لم تزن صفحاتها الآثار
فاصرف عنانك في الشباب إلى العلى
برد الشبيبة كالجمال معار
لا تقعدنّ عن الجهاد إلى غد
فلقد يجيء غد و أنت غبار
ماذا يفيدك أن يكون لك الثرى
و لغيرك الآصال و الأسحار
من ليس يفتح للنهار جفونه
هيهات يكحل مقلتيه نهار

...

واحبب بلادك مثل " موسى كاظم "
حبّا به الإخلاص و الإيثار
تضفر لرأسك من أزاهرها الربى
تاجا ، و تهتف باسمك الأغوار
إيّاك ترمقها بمقلة تاجر
إن اتّجارك بالمواطن عار
ودع المنافق لا تثق بعهوده
وطن المنافق فضّة و نضار
مترجرج الأخلاق ، أصدق وعده
آل ، و خير هباته الأعذار
يدنو إليك بوجهه متودّدا
و فؤاده بك هازيء سخّار
هو حين يجري مع هواه خائن
و إذا سمت أخلاقه سمسار

كم معشر خلناهم أنصارنا

فإذا هم لعداتنا أنصار

رقد العدى فتحمّسوا ، حتى إذا

جدّ الوغى ركبوا العقاب و طاروا

شرّ لمن الخصم اللّدود على الفتى

ألصاحب المتذبذب الخوّار

وحذار أشراك السياسة إنّها

بنت أبوها الزئبق الفرّار

فيها من الرقطاء ناقع سمّها

و لها نيوب الذئب و الأظفار

ترد المناهل و هي ماء سائغ

و تعود عنها و المناهل نار

ألكذب و التمويه خير صفاتها

و شعارها أن لا يدوم شعار

لا تطلبنّ من السياسة رحمة

هي حيث طلّ دم و حلّ دمار

ألصيد غيرك إن سهرت ، فإن تنم

فالصيد أنت و لحمك المختار

يا قومنا !.. إنّ العدوّ ببابكم

بئس المغير على البلاد الجار

و له بأرضكم طماعة أشعب

و رواغه ، و لكيده استمرار

لا ترقدوا عنه فليس براقد

أفتهجعون و قد طمى التيّار ؟

إنّ الطيور تذود عن أوكارها

أتكون أعقل منكم الأطيار ؟

سيروا على آثار موسى و اعملوا

إن شئتم أن لا تضيع ديار

زوروا ثراه قوّة

منه فكم أحيا الهوى التذكار

قبر يفوح الطيب من جنباته

قبر الكريم خميلة معطار

فإذا تمرّ عليه يوما نسمة

أرجت كأنّ حجارة أزهار

فلنعش

لا تسل أين الهوى و الكوثر

سكت الشّادي وبحّ الوتر

فجأة ...وانقلب العرس إلى

مأتم ...ماذا جرى ؟ ...ما الخبر ؟

ماجت الدّار بمن فيها ، كما

ماج نهر ثائر منكدر

كلّهم مستفسر صاحبه

كلّهم يؤذيه من يستفسر

همس الموت بهم همسته

إنّ همس الموت ريح صرصر

فإذا الحيرة في أحداقهم

كيفما مالوا و أنّى نظروا

علموا ...يا ليتهم ما علموا

أنّ دنيا من رؤى تحتضر !

و الذي أطربهم عن قدرة

بات لا يقوى و لا يقتدر

يبس الضحك على أفواههم

فهو كالسخر و إن لم يسخروا

و إذا الآسي ...يد مخذوله

و محيّا ، اليأس فيه أصفر

شاع في الدّار الأسى حتّى شكت

أرضها و طأته و الجدر

فعلى الأضواء منه فتره

و على الألوان منه أثر

و القناني صور باهته

و الأغاني عالم مندثر

ألهنا أفلت من أيديهم

و الأماني .. ؟ .. إنّها تنتحر

ذبحت أفراح في لمحة

قوّة تجني و لا تعتذر

تقلع النّبت الذي تغرسه

و الشّذا فيه ، و فيه الثمر

إعبثي ما شئت يا دنيا بنا

و تحكّم ما تشاء يا قدر

إن نكن زهرا فما أمجدنا

أو نكن شوكا فهذا الخطر

فلنعش في الأرض زهرا و ليطل

أجل الشّوك الذي لا يزهر

...

رحل الشاعر عن دار الأذى

و انقضت معه الليالي الغرر

كم حوته و حواها ملكا

دولة الروح التي لا تقهر

عاش لا ينكر إلاّ ذاته

إنّ حبّ الذات شيء منكر

شاعر ، أعجب معنى صاغه

للبرايا ... موته المبتكر

الجمال الحقّ ما يعبده

و الجمال الزّور ما لا يبصر

و الحديث الصفو ما ينشره

و الحديث السوء ما يختصر

إنّه كان " ملاكا " بشرا

فمضى عنّا الملاك البشر

و نفوس الخلق إمّا طينة

لا سنا فيها و إمّا جوهر

...

يا رفيقي ! ما بلغت المنتهى

ليست الحدّ الأخير الحفر

فاعبر النهر إلى ذاك الحمى

حيث " جبران " العميد الأكبر

" و رشيد " نغمة شادية

" و نسيب" نغم مستبشر

" و جميلب " فكرة هائمة

" و أمين " أمل مخضوضر

قل لهم إنّا غدونا بعدهم

لا حديث طيّب ، لا سمر

كسماء ليس فيها أنجم

أو كروض ليس فيه زهر
كلّنا منتظر ساعته
و المصير الحقّ ما ننتظر

لم يهدم الموت الا هيكل الطين

لم يبرح الروض فيه الماء و الزهر
و لم يزل في السماء الشمس و القمر
لكنها الآن في أذهاننا صور
شوهاء لا القلب يهواها و لا النظر
قد انطوى حسنها لمّا انطوى الشاعر

*

قل للمغنّي الذي قد غصّ بالنغم
إنّي نظيرك قد خان الكلام فمي
و مثل ما بك بي من شدّة الألم
أما العزاء فشيء زال كالحلم
كيف السبيل إلى خمر و لا عاصر !

*

مضى الذي كان في البلوى يعزّينا
و كان يحيي ، إذا ماتت ، أمانينا
و يسكب السّحر أنغاما و يسقينا
مضى " نسيب " النبيّ المصطفى فينا
و صار جسما رميما في يد القابر

*

كم جاءنا في اللّيالي السود بالألق
و بالندى من حواشي القفر و العبق
و بالأغاني و ما من صادح لبق
و إنّما هو سحر الحبر و الورق
السحر باق و لكن قد مضى الساحر !

*

كالشمس يسترها عند المسا الغسق
و نورها في رحاب الأرض منطلق
تذوي الورود و يبقى بعدها العبق
حتى لمن قطفوا منها و من سرقوا
كم عالم غابر في عالم حاضر

*

إن كان مات " نسيب " كالملايين

من العبيد الموالي و السلاطين

فالحيّ في هذه الدنيا إلى حين

لكن نسيب إلى كلّ الأحايين

و إن نأى و سما للعالم الطاهر

*

لسوف يرجع عطرا في الرياحين

أو نسمة تتهادى في البساتين

أو بسمة في ثغور الخرّد العين

فالموت ما هدّ إلاّ هيكل الطين

لا تحزنوا فنسيب غائب حاضر

أنا و أخت المهاة و القمر

آه من الحبّ كلّه عبر

عندي منه الدموع و السهر

وويح صرعى الغرام إنّهم

موتى ، و ما كفّنوا و لا قبروا

يمشون في الأرض ليس يأخذهم

زهو و لا في خدودهم صعر

لو ولج الناس في سرائرهم

هانت ، و ربّي ، عليهم سقر

ما خفروا دمّة ، و لا نكثوا

عهدا ، و لا مالا و لا غدروا

قد حملوا الهون غير ما سأم

لولا الهوى للهوان ما صبروا

لم يبق منّي الضنّى سوى شبح

يكاد ، لولا الرجاء ، يندثر

أمسي و سادي مشابها كبدي

كلاهما النار فيه تستعر

أكل صبّ ، يا ليل ، مضجعة

مثلي فيه القتاد و الإبر

لعلّ طيفا من هند يطرقني

فعند هند عن شقوتي خبر

ما بال هند عليّ غاضبة
ما شاب فودي و ليس بي كبر
ما زلت غضّ الشباب لا وهن
يا هند في عزمتي و لا خور
لا درّ درّ الوشاة قد حلفوا
أن يفسدوا بيننا و قد قدروا
واها لأيّامنا ... أراجعة ؟
فانّهن الحجول و الغرر
أيّام لا الدهر قابض يده
عنّي ، و لا هند قلبها حجر
***
لم أنس ليلا سهرته معها
تحنو علينا الأفنان و الشجر
غفرت ذنب النّوى بزورتها
ذنب النوى باللقاء يغتفر
بتنا عن الراصدين يكتمنا
الأسودان : الظلام و الشعر
ثلاثة للسرور ما رقدوا
أنا و أخت المهاة و القمر
فما لهذي النجوم ساهية
ترنو إلينا كأنّها نذر ؟ ...
إن كان صبح الجبين روّعها
فإنّ ليل الشعور معتكر
أو انتظام العقود أغضبها
فإنّ درّ الكلام منتثر
و ما لتلك الغصون مطرقة
كأنّها للسلام تختصر
تبكي كأنّ الزمان أرهقها
عسرا ، و لكن دموعها الثمر
طورا على الأرض تنثني مرحا
و تارة في الفضاء تشتجر
فأجلفت هند عند رؤيتها
و قد تروع الجآذر الصور
هيفاء لو لم تلن معاطفها

عند التثنّي خشيت تنكسر

من اللّواتي – و لا شبيه لها –

يزينهنّ ادلال و الخفر

في كل عضو و كل جارحة

معنى جديد للحسن مبتكر

تبيت زهر النجوم طامعة

لو أنّها فوق نحرها درر

رخيمة الصوت إن شدت لفتت

لها الدّراري و أنصت السحر

أبثّها الوجد و هي لاهية

أذهلها الحبّ فهي تفتكر

يا هند كم ذا الأنام تعذلنا

و ما أثمنا و لا بنا وزر

فابتدرت هند و هي ضاحكة :

ماذا علينا و إن هم كثروا

فدتك نفسي لو أنّهم عقلوا

و استشعروا الحبّ مثلما عذروا

ما جحد الحبّ غير جاهله

أيجحد الشمس من له بصر ؟

ذرهم و إن أجلبوا و إن صخبوا

و لا تلمهم فما هم بشر !

سرنا الهويناء ما بنا تعب

و قد سكتنا و ما بنا حصر

لكنّ فرط الهيام أسكرنا

و قبلنا العاشقون كم سكروا

فقل لمن يكثر الظنون بنا

ما كان إلاّ الحديث و النظر

حتّى رأيت النجوم آفلة

و كاد قلب الظلام ينفطر

ودّعتها و الفؤاد مضطرب

أكفكف الدمع و هو ينهمر

وودّعتني و من محاجرها

فوق العقيق الجمان ينحدر

قد أضحك الدهر ما بكيت له

كأنّما البين عنده وطر

كانت ليالي ما بها كدر

و الآن أمست و كلّها كدر

إن نفد الدمع من تذكّرها

فجادها بعد أدمعي المطر

عسى اللّيالي تدري جنايتها

على قتيل الهوى فتعتذر

مرآة الغرب

سلام عليها طفلة و فتيّة

كزهر الربى البسّام باكره القطر

كعاب تلاقى الحسن و الفضل عندها

كما يلتقي في الصفحة السّطر و السطر

لها صولة الأبطال إن حمس الوغى

و فيها حياء البكر عمّا به وزر

و فيها من الشيخ الحكيم وقارة

و فيها من الخود الملاحة و الطهر

ألا إنّ حسنا لا يرافقه النّهى

و إن دام يوما لا يدوم له قدر

....

هي الروض فيه النبت و الندّ و الندى

و فيه الشوادي المطرباتك و الزهر

هي الشمس تبدو كل يوم جديدة

يروح بها ليل و يأتي بها فجر

لكلّ فتاة خدرها و سوارها

و لكنّ هذي كلّ قلب لها خدر

يريد سناها الطيّ و النشر رونقا

و يخلق حتّى المصحف الطيّ و النشر

أنيس الفتى إن غاب عنه أنيسه

و أنجمه إن غابت الأنجم الزهر

و سفر تلذّ المرء محتوياته

إذا لم يكن في البيت ناس و لا سفر

إذا رضيت فالنور في كلماتها

و إن غضبت فهي الأسنّة و الجمر

و في كلّ حرب يعقد الحقّ فوقها
أكاليل نصر يشتهي مثلها البدر
و لا غرو إن عزّت وهان خصومها
فللحقّ مهما جعجع الباطل ، النصر
فكم مرجف أغراه فيها سكوتها
فلمّا أهابت كاد يقتله الذعر
و كم كاشح غاو أراد بها الأذى
ثنى طرفه عنها و في نفسه الضرّ
لها في ربوع الشرق جيش عرمرم
و أعوانها في الغرب ليس لهم حصر
و لو كان في المرّيخ أرض و أمّة
لكان لها في أرضه عسكر مجر
لتسحب ذيول الفخر تيها فوحدها
يحقّ لها ما بين أترابها الفخر
و لا غرو إن أهدى لها الشعر وحيه
فيا طالما سارت و سار بها الشهر
و لا غرو إن صغنا لها النثر حلية
" ففي عنق الحسناء يستحسن الدرّ "
و إن يكن الأحرار من نصرائها
فكم نصر الأحرار صاحبها الحرّ
أديب عفيف قلبه و يراعه
بغيض إليه الطيش و الفيش و الهجر
ثمان و عشر و هو يخدم قومه
ألا حبّذا تلك الثمانيّ و العشر
ففي العسر لم يجهر بشكوى لسانه
و في اليسر لم يلعب بأعطافه الكبر
وشرّ المزايا أن يصيبك حادث
و تجهر بالشكوى و في وسعك الصّبر
أهذا كمن يمسي و يضحي معربدا
و قدّمه طبل و من خلفه زمر ؟
أهذا كمغتاب يروح و يغتدي
و في نطفة شرّ و في صمته شرّ ؟
أهذا كمفطور على الشرّ و الأذى
أحاديثه نكر و أعماله نكر ؟

أهذا كأفعى همّها نفث سمّها

و نهش الذي تلقى و لو أنّه صخر

أكمن إلى الوزر عامدا

و يضحك مختالا إذا مسّه الوزر ؟

أهذا الذي قد حارب المكر جهده

كمن شاب فوداه و ديدنه المكر ؟

إذا الدهر لم يعرف لكلّ مكانه

إذن قل لأهل الدهر قد فسد الدهر

الغدير الطموح

قال الغدير لنفسه

يا ليتني نهر كبير

مثل الفرات العذب أو

كالنيل ذي الفيض الغزير

تجري السفائن موقرات

فيه بالرزق الوفير

هيهات يرضى بالحقير

من المنى إلاّ الحقير

و انساب نحو النهر لا

يلوي على المرج النضير

حتى إذا ما جاءه

غلب الهدير على الخرير

الدمعة الخرساء

سمعت عول النائحات عشية

في الحيّ يبتعث الأسى و يثير

يبكين في جنح الظلام صبيّة

إنّ البكاء على الشباب مرير

فتجهّمت و تلفّتت مرتاعة

كالظبي أيقن أنّه مأسور

و تحيّرت في مقلتيها دمعة

خرساء لا تهمي و ليس تغور

فكأنّها بطل تكنّفه العدى

بسيوفهم و حسامه مكسور

و جمت ، فأمسى كلّ شيء واجما
ألنور ، و الأظلال ، و الديجور
ألكون أجمع ذاهل لذهولها
حتى كأنّ الأرض ليس تدور
لا شيء ممّا حولنا و أمامنا
حسن لديها و الجمال كثير
سكت الغدير كأنّما التحف الثرى
وسها النسيم كأنّه مذعور
و كأنّما الفلك المنوّر بلقع
و الأنجم الزهراء فيه قبور
كانت تمازحني و تضحك فانتهى
دور المزاح فضحكها تفكير

...

قالت وقد سلخ ابتسامتها الأسى :
صدق الذي قال
أكذا نومت و تنقضي أحلامنا
في لحظة ، و إلى التراب نصيره ؟
و تموج ديدان الثرى في أكبد
كانت تموج بها المنى و تمور
خير إذن منّا الألى لم يولدوا
و من الأنام جلامد و صخور
و من العيون مكاحل و مراود
و من الشفاه مساحيق و ذرور
و من القلوب الخافقات صبابة
قصب لوقع الريح فيه صفير !

...

و توقفت فشعرت بعد حديثها
أن الوجود مشوّش مبتور
ألصيف ينفث حرّه من حولنا
و أنا أحسّ كأنّني مقرور
ساقت إلى قلبي الشكوك فنغّصت
ليلي ، و ليس مع الشكوك سرور
و خشيت أن يغدو مع الرّيب الهوى
كالرسم لا عطر و فيه زهور

و كدميه المثّال حسن رائع

ملء العيون و ليس ثمّ شعور

فأحببتها : لتكن لديدان الثرى

أجسامنا إنّ اجسوم قشور

لا تجزعي فالموت ليس يضيرنا

فلنا إياب بعده و نشور

إنّا سنبقى بعد أن يمضي الورى

و يزول هذا العالم المنظور

فالحبذ نور خالد متجدد

لا ينطوي إلاّ ليسطع نور

و بنو الهوى أحلامحهم ورؤاهم

لا أعين و مراشف و نحور

فإذا طوتنا الأرض عن أزهارها

و خلا الدجى منّا و فيه بدور

فسترجعين خميلة معطارة

أنا في ذراها بلبل مسحور

يشدو لها و يطير في جنباتها

فتهشّ إذ يشدو و حين يطير

أو جدولا مترقرقا مترنّما

أنا فيه موج ضاحك و خرير

أو ترجعين فراشة خطّارة

أنا في جناحيها الضحى الموشور

أو نسمة أنا همسها و حفيفها

أبدا تطوّف في البرى و تدور

تغشى الخمائل في الصباح بلبلة

و تؤوب حين تؤوب و هي عبير

أو تلتقي الكئيب ، على رضى

و قناعة ، صفصافة و غدير

تمتدّ فيه و في ثراه عروقها

و يسيل تحت فروعها و يسير

و يغوص فيه خيالها فيلفه

و يشفّ فهو المنطوي المنشور

يأوي إذا اشتدّ الهجير إليها

ألناسكان : الظبي و العصفور

لهما سكينتها ووارف ظلّها
و الماء إن عطشا لديه و فير
أعجوبتان – زبرجد متهدل
نام تدفق تحته البلّور
لا الصبح بينهما يحول و لا الدجى
فكلاهما بكليهما مغمور
تتعاقب الأيّام و هي نضيره
مخضرّة الأوراق ، و هو نمير
فالدهر أجمعه لديهما غبطة
و الدهر أجمعه لديه حبور
...
فتبسّمت و بدا الرضى في وجهها
إذ راقها التمثيل و الصوير
عالجتها بالوهم فهي قريرة
و لكم أفاد الموجع التخدير
ثمّ افترقنا ضاحكين إلى غد
و الشهب تهمس فوقنا و تشير
هي كالمسافر آب بعد مشقة
و أنا كأنّي قائد منصور
لكنّني لمّا أويت لمضجعي
خشن الفراش عليّ و هو وثير
و إذا سراجي قد وهت و تلجلجت
أنفاسه فكأنّه المصدور
و أجلت طرفي في الكتاب فلاح لي
كالرسم مطموسا و فيه سطور
و شربت بنت الكرم أحسب راحتي
فيها : فطاش الظنّ و التقدير
فكأنّني فلك وهت أمراسها
و البحر يطغى حولها و يثور
سلب الفؤاد رواه و الجفن الكرى
همّ عرا ، فكلاهما موتور
حامت على روحي الشكوك كأنّها
و كأنّهن فريسة و صقور
و لقد لجأت إلى الرجاء فعقني

أما الخيال فخائب مدحور

يا ليل أين النور ؟ إنّي تائه

مر ينبثق ، أم ليس عندك نور ؟

...

" أكذا نموت و تنقضي أحلامنا

في لحظة و إلى التراب نصير ؟ "

" خير إذن منّا الألى لم يولدوا

و من الأنام جنادل و صخور "

حديث موجة

عندي لكم نبأ عجيب شيّق

سأقصّه و عليكم تفسيره

إنّي رأيت البحر أخرس ساهيا

كالشيخ طال بما مضى تفكيره

فسألت نفسي حائرا متلجلجا

يا ليت شعري أين ضاع هديره ؟

" بالأمس " قالت موجة ثرثارة

و مضت ، فأكملت الحديث صخوره :

بالأمس مرّ بنا فتى من قومكم

رقّت شمائله ودقّ شعوره

مترنّح من خمرة قدسيّة

فيها الهوى و فتونه و فتوره

مترقّق في مشيه يطأ الثرى

و كأنّما بين النجوم مسيره

يلهو بأوتار الكمنجة و الدجى

مرخيّة فوق العباب ستوره

يهدي إلى الوطن القديم سلامه

و يناشد الوطن الذي سيزوره

فشجا الخضمّ نشيده و هتافه

فسها ، فضاع هديره وزئيره

أعرفتموه ؟ ... إنّه هذا الفتى

هذا الذي سحر الخضمّ مروره

" داود " و المزمار في نغماته ،

و " الموصليّ " و معبد و سريره

يا ضيفنا / و الأنس أنت رسوله

و بشيره ، و الفنّ أنت أميره

لو شاع في الفردوس أنّك بيننا

لمشت إلينا سافرات حوره

ذهب الربيع و جئتنا فكأنّما

جاء الربيع زهوره و طيوره

ألفن هشّ إليك في أمرائه

و تفتّحت لك دوره و قصوره

إنّ الجواهر بالجواهر أنسها

أمّا التراب فبالتراب حبوره

يا شاعر الألحان إنّي شاعر

أمسي ضئيلا عند نورك نوره

أسمى الكلام الشعر إلاّ أنّه

أسماه ما أعيا الفتى تصويره

و أحبّ أزهار الحدائق وردها

و أحبّ من ورد الرياض عبيره

أنت الفتى لك في النسيم حفيفه

و لك الغدير صفاؤه و خريره

ألقوم صاغية إليك قلوبهم

و اللّيل منصته إليك بدوره

و بهذه الأوتار سحر جائل

متململ كالوحي حان ظهوره

إن كنت لا تهتاجه و تثيره

فمن الذي يهتاجه و يثيره ؟

دغدغ بريشتك الكمنجة ينطلق

و يدبّ في أرواحنا تأثيره

وامش بنا في كلّ لحن فاتن

كالماء يجري في الغصون طهوره

أدر على الجلّاس أكواب الهوى

في راحتيك سلافه و عصيره

فيخفّ في الرجل الحليم و قاره

و يراجع الشيخ المسنّ غروره

و تنام في صدر الشّجي همومه

و يفيق في قلب الحزين سروره

هذي الجموع الآن شخص واحد
لك حكمة و كما تشاء مصيره
إن شئت طال هتافه و نشيده
أو شئت دام نواحه وزفيره
إنّا و هبناك القلوب و لم نهب
إلّا الذي لك قبلنا تدبيره !

شاعر الشهور

" أيّار " ، يا شاعر الشهور
و بسمة الحبّ في الدهور
و خالق الزهر في الروابي
و خالق العطر في الزهور
و باعث الماء ذا خرير
و موجد السحر في الخرير
و غاسل الأفق و الدراري
و الأرض بالنور و العبير
لقد كسوت الثّرى لباسا
أجمل عندي من الحرير
ما فيك قرّ و لا هجير
ذهبت بالقرّ و الهجير
فلا ثلوج على الروابي
و لا غمام على البدور
أتيت فالكون مهرجان
من اللّذاذات و الحبور
أيقظت في الأنفس الأماني
و الابتسامات في الثغور
و كدت تحيي الموتى البوالي
و تنبت العشب في الصخور
و تجعل الشوك ذا أريج
و تجعل الصخر ذا شعور
فأينما سرت صوت بشرى
و كيفما ملت طيف نور
تشكو إليك الشتاء نفسي
و ما جناه من الشرور

كم لدّع الزّمهرير جلدي

و دبّ حتى إلى ضميري

فلذت بالصوف أتّقيه

فاخترق الصوف كالحرير

و كم ليال جلست وحدي

منقبض الصدر كالأسير

يهتزّ مع أنملي كتابي

و يرجف الحبر في السطور

تعول فيها الرياح حولي

كنائحات على أمير

و الغيث يهمي بلا انقطاع ،

و الرعد مستتبع الزئير

و اللّيل محلولك الحواشي

و صامت البدء و الأخير

و الشهب مرتاعة كطير

مختبئات من الصقور

في غرفتي موقد صغير

لله من موقدي الصغير !

يكاد ينقدّ جانباه

من شدّة الغيظ لا السعير

لولا لظاه رقصت فيها

بغير دفّ على سريري

و ساعة وجهها صفيق

كأنّه وجه مستعير

أبطأ في السير عقرباها

فأبطأ الوقت في المسير

حتّى كأنّ الزمان أعمى

يمشي على الشوك في الوعور

كنّا طوينا المنى و قلنا :

ما للأماني من نشور

فلو يزور الصدور حلم

عرّج منها على قبور

لقد تولّى الشتاء عنّا

فصفّقي ، يا منى و طيري !

قتل نفسه

تأمّل في أمسه الدابر

فكاد يجنّ من الحاضر

أهاج التذكّر أشجانه

و كم للسعادة من ذاكر .

فتى كان أنعم من جاهل

فأصبح أتعس من شاعر

أضاع الغنى و أضاع الصحاب

و ربّ مريض بلا زائر

و يا طالما أحدقوا بالفتى

كما تحدق الجند بالظافر

فلما انقضى مجده أعرضوا

و ما الناس إلا مع القادر

و ما الناس إلا عبيد القوي

فكن ذاك أو كن بلا شاكر

أشدّ من الدهر مكرا بنوه

فويل لمن ليس بالماكر

فكن بينهم خاتلا غادرا

و لا تشتك الغدر من غادر

تعيس تعانقه النائبات

عناق الحبائل للطائر

كثير الهموم بلا ناصر

كسير الفؤاد بلا جابر

قضى ليله ساهيا ساهرا

إلى كوكب مثله ساهر

يفتّش عن آفل في الثرى

و ما كان في الأفق بالسافر

و تالله يجدي فتى بائسا

كلام المنجّم و الساحر

و لمّا تولّت دراري السماء

و غاب الهلال عن الناظر

بكى ، ثمّ صاح أحتّى النجوم

تصدّ عن الرجل العاثر ؟

إلى م أعاند هذا الزمان

عناد السفينة للزاجر
و أدعو و ما ثمّ من سامع ،
و أشكو ، و لكن إلى ساخر
و أرجو الوفاء و تأبى النفوس
و أنّى الولادة للعاقر
سئمت الحياة فليت الحمام
يعيد إلى أصله سائري
فتنطلق النّفس من سجنها
و يسجن تحت الثرى ظاهري
وزاد سواد الدّجى يأسه
وقد كاد يسفر عن باهر
فشاء التخلّص من دهره
الخؤون ، و من عيشه الحازر
فأغمد في صدره مديه
أشدّ مضاء من الباتر
و كم مثله قد قضى نحبه
شهيد التأمل في الغابر

بنت الدوالي

هات اسقني بالقدح الكبير
صفراء لون الذهب المصهور
كأنّها في كؤوس البلّور
شعلة نار في بقايا نور
*
عجبت للكأس التي تحويها
كيف استقرّت و الحياة فيها
لو لم يدرها بيننا ساقيها
دارت على القوم بلا مدير
*
هات اسقنيها مثل عين الديك
صافية تنهض بالصّعلوك
حتّى يرى التّيه على الملوك
و لا يبالي سطوة الأمير
*

بنت الدّوالي ضرّة الرضاب
أخت التّصافي زوجة السحاب
أنت ، و إن لام الورى شرابي
في الخالدين : القرّ و الهجير
*
أشربها بل أشرب الإكسيرا
تخلق في شاربها السّرورا
فقل لمن يحسبها غرورا
ما العيش إلاّ ساعة الغرور

مسرح العشاق

من سحر من مجيري
يا ضرّة الرّشا الغرير
جسم كخصرك في النحو
ل ، و مثل جفنك في الفتور
أصبحت أضأل من هلا
ل الشكّ في عين البصير
محق الضّنى جسدي فيت
من الهلاك على شفير
و مشى الرّدى في مهجتي
الله في النفس الأخير
جهل النّطاسي علّتي
لله من جهل الخبير
كم سامني جرع الدّوا
ء و كم جرعت من المرير
دع ، أيّها الآسي ، يدي
الحبّ يدرك بالشعور
يدري الصّبابة و الهوى
من كان في البلوى نظيري !..
***
لو تنظرين إليّ كالمي
ت المسجّى في سريري
يتهامس العوّاد حو
لي كلّما سمعوا زفيري

و أظنّهم قد أدركوا

لا أدركوا ما في ضميري

فأبيت من قلقي عليك

كأنني فوق السّعير

و أدرت طرفي في الحضو

ر لعلّ شخصك في الحضور

فارتدّ يعثر بالدمو

ع تعثّر الشيخ الضرير

قد زارني من لا أحب (م)

و أنت أولى أن تزورني

صدّقت ما قال الحوا

سد فيّ من هجر و زور

و أطعت بي حتّى العدى

و ضننت حتّى باليسير

أمّا خيالك ، يا بخيلة ،

فهو مثلك في النفور

روحي فداؤك و هي لو

تدرين تفدي بالكثير

تيهي على العاني كما

تاه الغنيّ على الفقير

أنا لا أبالي بالمصير

و أنت أدرى بالمصير

أهواك رغم معنفي

و يلذّ نفسي أن تجوري

ليس المحبّ بصادق

حتّى يكون بلا غدير

***

كم ليلة ساهرت فيها النجم

أحسبه سميري

و الشّهب أقعدها الونى

و اللّيل يمشي كالأسير

أرعى البدور و ليس لي

من حاجة عند البدور

متذكّرا زمن الصّبى

زمن الغواية و الغرور
أيّام أخطر في المجا
مع و المعاهد كالأمير
أيّام في يدي
أيّام نجمي في ظهور
لمع الفتير بلمّتي
و يل الشباب من القتير
***
لا بالغوير و لا النّقا
كلفي و لا أهل الغوير
أرض (الجزيرة) كيف حا
لك بعد وقع الزمهرير
نزل الشّتاء فأنت ملعب
كلّ ساقيه دبور
و تبدّلت تلك العرا
ص من النّضارة بالدّثور
أمسيت كالطّلل المحيل
و كنت كالرّوض النّضير
آها عليك و آه كيف
نأتك ربّات الخدور
المائسات عن الغصو
ن السافرات عن البدور
الذّاهبات مع النّهو
د الذاهبات مع الصدور
الحاسرات عن السوا
عد و الترائب و النحور
القاسيات على القلو
ب الجانيات على الخصور
المالكات على اللآ
لىء في القلائد و الثغور
الضاحكات من الدّلا
ل اللّاعبات من الحبور
الآخذات قلوبنا
في زيّ طاقات الزهور

بيض نواعم كالدمى

يرفلن في حلل الحرير

مثل الحمائم في الودا

عه و الكواكب في السّفور

من كلّ ضاحكة

كأنّ بوجهها وجه البشير

أنّى أدرت الطّرف فيها

جال في قمر منير

***

يا مسرح العشّاق ، كم

لي فيك من يوم مطير

تنسى البريّة عنده

يوم الخورنق و السّدير

و لكم هبطتك و الحبيبة

فازعين من الهجير

في زورق بين الزّوا

رق كالحمامة في الطّيور

متمهّل في سيره

و الماء يسرع في المسير

و الشمس إبّان الضحى

و الجوّ صاف كالغدير

و لكم وثبنا في التلا

ل و كم ركضنا في الوعور

و لكم أصحنا للحفيف

و كم شجينا بالخرير

و لكم جلسنا في الرياض

و كم نشقنا من عبير

و لكم تبرّدنا بما

ء نهيرك الصافي النمير

طورا ننام على النبا

ت و تارة فوق الحصير

لا نتّقي عين الرّقي

ب و لا نبالي بالغيور

فكأنّها و كأنّني الأبوان

في ماضي العصور

حسدت عليّ من الإنا

ث كما حسدت من الذكور

ظنّ الأنام الظنو

ن و ما اجترحنا من نكير

قد صان بردتها الحيا

ء ، و صانني شرفي و خيري

***

و مطيّة رجراجة

لا كالمطيّة و البعير

ما تأتلي في سيرها

صخّابة لا من ثبور

تجري على أسلاكها

جرى الأراقم في الحدور

طورا ترى فوق الجسو

ر و تارة تحت الجسور

آنا على قمم و آ

نا في كهوف كالقبور

ترقى كما ترقى (المصا

عد) ثمّ تهبط كالصخور

فإذا علت حسب الورى

أنّا نصعّد في الأثير

و إذا هوت من حالق

هوت القلوب من الصدور

و الركب بين مصفّق

و مهلّل جذل قرير

أو خائف متطيّر

أو صارخ أو مستجير

هي في التّقلّب كالزّما

ن و إنّما هي للسرور

و مدارة في الجو

يحسبها الجهول بلا مدير

لو شئت نيل النجم منها

ما صبوت إلى عسير

مشدودة لكنّها
أجرى من الفرس المغير
زفّافة زفـّ الرئا
ل تسف إسفاف النسور
و لها حفيف كالرّيا
ح و هدرة لا كالهدير
كالأرض في دورانها
و لكالمظلّة في النشور
القوم فيها جالسو
ن على مقاعد من وثير
و الريح تخفق حولهم
و كأنّما هم في قصور
و الجمع يهتف كلّما
مرّت على الحشد الغفير
***
و لكم تأمّلنا الجمو
ع تموج كالبحر الزّخور
يمشي الخطير مع الحق
ير كأنّما هو مع خطير
و ترى المهاة كأنّها
ليث مع اللّيث الهصور
متوافقون على التبا
ين كالقبيل أو العشير
لا يرهبون يد الخطو
ب كأنّما هم خلف سور
يمضي النهار و نحن
نحسب ما برحنا في البكور
أبقيت يا زمن الحرو
ر بمهجتي مثل الحرور
ولّت شهور كنت أر
جو أن تخلّد كالدّهور
و أنت شهور بعدها
ساعاتها مثل الشهور
ليست حياة المرء في الد

نيا سوى حلم قصير

و أرى الشباب من الحيا

ة لكاللّباب من القشور

ذهب الربيع ذهابه

و أتى الشّتاء بلا نذير

و تبدّد العشّاق مثل

تبدّد الورق النثير

رضى المهيمن عنهم

و الله يعفو عن كثير

الأسرار

يا ليتني لصّ لأسرق في الضحى

سرّ اللطافة في النسيم الساري

و أجسّ مؤتلق الجمال بإصبعي

في رزقه الأفق الجميل العاري

و يبين لي كنه المهابة في الرّبى

و السر في جذل الغدير الجاري

و السحر في الألوان و الأنغام وا

لأنداء و الأشذاء و الأزهار

و بشاشة المرج الخصيب ، ووحشة

الوادي الكئيب ، وصولة التّيار

و إذا الدجى أرخى عليّ سدوله

أدركت ما في الليل من أسرار

فلكم نظرت إلى الجمال فخلته

أدنى إلى بصري من الأشفار

فطلبته غإذا المغالق دونه

و 'ذا هنالك ألف ألف ستار

باد و يعجز خاطري إدراكه

و فتنتي بالظاهر المتواري !

إذا

إذا جدّفت جوزيت على التجديف بالنار

و إن أحببت عيّرت من الجاره و الجار

و إن قامرت أو راهنت في النادي أو الدار

فأنت الرجل الآثم عند الناس و الباري

...

و إن تسكر لكي تنسى هموما ذات أوقار

خسرت الدين و الدنيا و لم تربح سوى العار

...

و إن قلت : إذن فالعيش أوزار بأوزار

و إنّ الموت أشهى لي إذا أقض أوطاري

و أسرعت إلى السيف أو السّمّ أو النار

لكي تخرج من دنيا ذووها غير أحرار

أم القرى

أبصرتها ، و الشمس عند شروقها

فرأيتها مغمورة بالنار

و رأيتها عند الغروب غريقه

في لجّة من سندس و نضار

و رأيتها تحت الدجى ، فرأيتها

في بردتين : سكينة ووقار

فتنبّهت في النفس أحلام الصبى

و غرقت في بحر من التّذكار

...

نفسي لها من جنّة خلّابة

نسجت غلائلها يد الأمطار

أنّى مشيت نشقت مسكا أزفرا

في أرضها و سمعت صوت هزار

...

ذات الجبال الشّامخات إلى العلا

يا ليت في أعلى جبالك داري

لأرى الغزالة قبل سكان الحمى

و أعانق النّسمات في الأسحار

لأرى رعاتك في المروج و في الربى

و الشّاء سارحة مع الأبقار

لأرى الطيور الواقعات على الثرى

و النحل حائمة على الأزهار

لأساجل الورقاء في تغريدها

و تهزّ روحي نفحة المزمار

لأسامر الأقمار في أفلاكها

تحت الظّلام إذا غفا سمّاري

لأراقب " الدلوار " في جريانه

و أرى خيال البدر في " الدلوار "

...

بئس المدينة إنّها سجن النّهى

و ذوي النّهى ، و جهنّم الأحرار

لا يملك الإنسان فيها نفسه

حتّى يروّعه ضجيج قطار

وجدت بها نفسي المفاسد و الأذى

في كلّ زاوية و كلّ جدار

لا يخدعنّ الناظرين برجها

تلك البروج مخابيء للعار

لو أنّ حاسد أهلها لاقى الذي

لاقيت لم يحسد سوى " بشّار "

غفرانك اللّهم ما أنا كافر

فلم تعذّب مهجتي بالنّار ؟

...

لله ما أشهى القرى و أحبّها

لفتى بعيد مطارح الأفكار

إن شئت تعرى من قيودك كلّها

فانظر إلى صدر السّماء العاري

و امش على ضوء الصّباح ، فإن خبا

فامش على ضوء الهلال السّاري

عش في الخلا تعش خليّا هانئا

كالطّير ... حرا ، كالغدير الجاري

عش في الخلاء كما تعيش طيوره

الحرّ يأبى العيش تحت ستار !

...

شلّال " ملفرد " لا يقرّ قراره

و أنا لشوقي لا يقرّ قراري

فيه من السيف الصقيل بريقه

و له ضجيج الجحفل الجرّار

أبدا يرش صخوره بدموعه
أتراه يغسلها من الأوزار ؟
فاذا تطاير ماؤه متناثرا
أبصرت حول السفح شبه غبار
كالبحر ذي التيار يدفع بعضه
و يصول كالضرغام ذي الأظفار
من قمّة كالنهد ، أيّ فتى رأى
نهدا يفيض بعارض مدرار ؟
فكأنّما هي منبر و كأنّه
" ميراب " بين عصائب الثوّار
من لم يشاهد ساعة و ثباته
لم يدر كيف تغطرس الجبّار
ما زلت أحسب كلّ صمت حكمة
حتّى بصرت بذلك الثرثار
أعددت ، قبل أراه ، وقفة عابر
لاه فكانت وقفة استعبار ! ..

...

يا أخت دار الخلد ؛ يا أم القرى ،
يا ربّة الغابات و الأنهار
لله يوم فيك قد قضّيته
مع عصبة من خيرة الأنصار
نمشي على تلك الهضاب ودوننا
بحر من الأغراس و الأشجار
تنساب فيه العين بين جداول
و خمائل و مسالك و ديار
آنا على جبل مكين راسخ
راس ، و آنا فوق جرف هار
تهوي الحجارة تحتنا من حالق
و نكاد أن نهوي مع الأحجار
لو كنت شاهدنا نهرول من عل
لضحكت منّا ضحكة استهتار
الريح ساكنة و نحن نظنّنا
للخوف مندفعين مع إعصار
و الأرض ثابتة و نحن نخالها

تهتزّ مع دفع النسيم السّاري

مازال يسند بعضنا بعضا كما

يتماسك الروّاد في الأسفار

ويشدّ هذا ذاك من أزراره

فيشدّني ذيّاك من أزراري

حتى رجعنا سالمين و لم نعد

لو لم يمدّ الله في الأعمار

و لقد وقفت حيال نهرك بكرة

و الطير في الركنات و الأوكار

متهيّبا فكأنّني في هيكل

و كأنّه سفر من الأسفار

ما كنت من يهوى السكوت و إنّما

عقلت لساني رهبة الأدهار

مرّ النسيم به فمرّت مقلتي

منه بأسطار على أسطار

فالقلب مشتغل بتذكاراته

و الطرف مندفع مع التيّار

حتى تجلّت فوق هاتيك الربى

شمس الصباح تلوح كالدّينار

فعلى جوانبه وشاح زبرجد

و على غراربه و شاح بهار

لو أبصرت عيناك فيه خيالها

لرأيت مرآة بغير إطار

يمّمته سحرا و أسراري معي

و رجعت في أعماقه أسراري ! ..

...

إنّي حسدت على القرى أهل القرى

و غبطت حتّى نافخ المزمار

ليل و صبح بين إخوان الصّفا

ما كان أجمل ليلتي و نهاري !

بنت القفر

أدرها قهوة كعصير بكر

تجلّت في الكؤوس بكفّ بكر

كأنّ المسك يغلي حين تغلي

و يجري في الأواني حين تجري

تعيد إلى الضعيف قوى و تهدي

إليه غبطة و صفاء فكر

تعشّقها الشعوب فكلّ شعب

أعدّ لها الثغور و كلّ قطر

تلوّح حبّها في كلّ كوخ

و لاح حبابها في كلّ قصر

يضوع عبيرها برمال نجد

و يعبق عطرها بقصور مصر

تمشّى عنبرا في كلّ أنف

و تنزل قرقفا في كلّ ثغر

و يزري طعمها حلوا و مرا

بما في الأرض من حلو و مر

***

و سمراء إذا زارت صباحا

أحبّ إليّ من بيض و سمر

يحوك لها البخار رداء ند

و يكسوها الحباب و شاح در

كسرت الدنّ من عهد بعيد

فأمست بعد خمر الدنّ خمري

فإن حلّت قواك جيوش ضعف

و هالك عبء همّ مسبطر

عليك بقهوة رقّت وراقت

كشعرك لا يجاري أو كشعري

(مسعود)

- - -

شربناها على سرّ القوافي

و سرّ الشاعر السمح الأبرّ

سقانا قهوتين " بغير من "

عصير شجيرة و عصير فكر
فنحن اثنان سكران لحين
على أمن ، و سكران لدهر
فمن أمسى يهيم ببنت قصر
فإنّا هائمون ببنت قفر
إذا حضرت فذلك يوم سعد
و إن غابت فذلك يوم قهر
لها من ذاتها ستر رقيق
كما صبغ الحياء جبين بكر
إذا دارت على الجلّاس هشّوا
كأنّ كؤوسها أخبار نصر
و نرشفها فنرشف ريق خود
و ننشقها فننشق ريح عطر
و لا نخشى من الحكام حدا
و عند الله لم نوصم بوزر
فما في شربها إثم و نكر
و شرب الخمر نكر أيّ نكر
و ليست تستخفّ أخا و قار
و بنت الدنّ بالأحلام تزري
و تحفظ سرّ صاحبها مصونا
و بنت الكرم تفضح كلّ سرّ
و للصهباء أوقات ، و هذي
شراب الناس في حرّ وقرّ
و تصلح أن يطاف بها مساء
و تحسن أن تكون شراب ظهر
فلو عرفت مزاياها الغواني
لعلّق حبّها في كلّ نحر
كأنّ حبوبها خضرا و صفرا
فصوص زمرد و شذور تبر
كأنّ الجنّ قد نفثت رؤاها
على أوراقها في ضوء فجر
ألست ترى إليها كيف تطغى
و كيف تثور إن مسّت بجمر
كأنّ نخيل مصر قد حساها

و إلاّ ما اهتزاز نخيل مصر ؟

جلوت بها من الأكدار ذهني

كما أنّي غسلت هموم صدري

و ما هي قهوة تطهى و تحسى

و لكن نفحة من روح حرّ

حوى في شعره عبث ابن هاني

وزاد عليه فلسفة المعرّي

فيا لك شاعرا لبقا لعوبا

كأنّ يراعه أنبوب سحر

يفيض سلاسة في كلّ لفظ

و يجري رقة في كلّ سطر

حوت دار " السمير " هديّتيه

و تحوي هذه الأوراق شكري

العاشق المخدوع

أبصرتها في الخمس و العشر

فرأيت أخت الرئم و البدر

عذراء ليس الفجر والدها

و كأنّها مولودة الفجر

بسّامة في ثغرها درر

يهفو إليها الشاعر العصري

و لها قوام لو أشبّهه

بالغصن باء الغصن بالفخر

مثل الحمامة في وداعتها

و كزهرة انّسرين في الطهر

مثل الحمامة غير أنّ لها

صوت الهزار و لفتة الصقر

...

شاهدتها يوما وقد جلست

في الرّوض بين الماء و الزهر

ويد الفتى " هنري " تطوّقها

فحسدت ذاك الطّوق في الخصر

و حسدت مقلته و مسمعه

لجمالها و كلامها الدرّي

أغمضت أجفاني على مضض

و طويت أحشائي على الجمر

و خشيت أنّ الوجد يسلبني

حلمي ، و يغلبني على أمري

فرجعت أدراجي أغالبه

باليأس آونة و بالصّبر

ثمّ انقضى عام و أعقبه

ثان و ذاك السرّ في صدري

فعجبت ، منّي كيف أذكرها

و قد انقضى حولان من عمري

خلت اللّيالي في تتابعها

تزري بها عندي فلم تزر

زادت ملاحتها فزدت بها

كلفا ، و موجدة على " هنري "

...

و سئمت داري و هي واسعة

فتركتها و خرجت في أمر

فرأيت فتيان الحمى انتظموا

كالعقد ، أو كالعسكر المجر

يتفكّهون بكلّ نادرة

و على الوجوه علائم البشر

ساروا فأعجبني تدفقهم

فتبعتهم أدري و لا أدري

ما بالهم ؟ و لأية وقفوا ؟

لمن البناء يلوح كالقصر

أوّاه ! هذي دار فاتنتي

من قال ما للشمس من خدر

و عرفت من " فرجين " جارتها

ما زادني ضرّا على ضرّ

قد كان هذا يوم خطبتها

يا أرض ميدي ! يا سما خرّي

و رأيت ساعدها بساعده

فوددت لو غيّبت في قبر

و شعرت أن الأرض واجفة

تحتى ، و أنّ النار في صدري
و خشيت أنّ الوجد يسلبني
حلمي و يغلبني على أمري
فرجعت أدراجي أغالبه
اليأس آونة و بالصّبر

...

قالوا : الكنيسة خير تعزية
لمن ابتلي في الحبّ بالهجر
فنذرت أن أقضي الحياة بها
و قصدتها كيما أفي نذري
لازمتها بدرين ما التفتت
عيني إلى شمس و لا بدر
أتلو أناشيد النبيّ ضحى
و أطالع الإنجيل في العصر
حينا مع الرهبان ، آونة
وحدي ، و أحيانا مع الحبر
في الغاب فوق العشب مضطجعا
في السّفح مستندا إلى الصّخر
في غرفتي ، و الريح راكدة
بين المغارس ، و الصّبا تسري
حتى إذا ما القلب زايلة
تبريحه ، و صحوت من سكري
و سلوتها و سلوت خاطبها
و ألفت عيش الضنك و العسر
عاد القضاء إلى محاربتي
ورجعت للشكوى من الدهر

...

في ضحوة وقف النسيم بها
متردّدا في صفحة النهر
كالشاعر الباكي على طلل
أو قاريء حيران في سفر
و الشمس ساطعة و لامعة
تكسو حواشي النهر بالتبر
و الأرض حالية جوانبها

بالزّهر من قان و مصفرّ
فكأنّها بالعشب كاسية
حسناء في أثوابها الخضر
و علا هتاف الطير إذ أمنت
بأس العقاب و صوله النسر
تتلو على أهل الهوى سورا
ليست بمنظوم و لا نثر
يحنو الهزار على أليفته
و يداعب القمريّة القمري
و انساب كلّ مصفّق عذب
و اهتزّ كلّ مهفهف نضر
فتذكّرت نفسي صبابتها
ما أولع المهجور بالذّكر
أرسلت طرفي رائد فجرى
و جرى على آثاره فكري
حتى دوى صوت الرئيس بنا
فهرعت و الرهبان في إثري
و إذا بنا نلقى كنيستنا
بالوافدين تموج كالبحر
و إذا " بها " و إذا الفتى هنري
في حلّة بيضاء كالفجر
تمشي بين ذي أدب
حلو ، و بين مليحة بكر
رفع الرئيس عليها يده
و أنا أرى و يدي على صدري
يا قلب ذب ! يا مهجتي انفطري
يا طرف فض بالأدمع الحمر
أغمضت أجفاني على مضض
و طويت أحشائي على الجمر
و خشيت أنّ الوجد يسلبني
حلمي ، و يغلبني على أمري
فرجعت أدراجي أغالبه
باليأس آونة و بالصبر
و خرجت لا ألوي على أحد

و رضيت بعد الزّهد بالكفر

...

أشفقت من همّي على كبدي

و خشيت من دمعي على نحري

فكلفت بالصهباء أشربها

في منزلي ، في الحان ، في القفر

أبغي الشفاء من الهموم بها

فتزيدني وقرا على وقر

و تزيدني و لعا بها و هوى

و تزيدني حقدا على هنري

قال الطبيب و قد رأى سقمي :

لله من فعل الهوى العذري

ما لي بدائك يا فتى قبل

السحر محتاج إلى سحر

و مضى يقلّب كفّه أسفا

و لبثت كالمقتول في الوكر

ما أبصرت عيناي غانية

إلاّ ذكرت إلى الدمى فقري

...

و سئمت داري و هي واسعة

فتركتها و خرجت في أمر

فرأيتها في السوق واقفة

و دموعها تنهلّ كالقطر

في بردة كالليل حالكة

لهفي على أثوابها الحمر

فدنوت أسألها وقد جزعت

نفسي ، وزلزل حزنها ظهري

قالت : قضى هنري ! فقلت : قضى

من كاد لي كيدا و لم يدر

لا تكرهوا شرّا يصيبكم

فلربّ خير جاء من شرّ

رهفا هواها بي فقلت لها :

قد حلّ هذا الموت من أسري

قالت : و من أسري ! فقلت : إذن

لي أنت ؟ قالت : أنت ذو الأمر
فأدرت زندي حول منكبها
و لثمتها في النحر و الثّغر
و شفيت نفسي من لواعجها
و تأرت بالتصريح من سرّي
ثمّ انثنيت بها على عجل
باب الكنيسة جاعلا شطري
و هناك باركني و هنّأني
من هنّأوا قبلي الفتى هنري

...

من بعد شهر مرّ لي معها
أبصرت وضح الشيب في شعري
ما كنت أدري قبل صحبتها
أنّ المشيب يكون في شهر
فكرت في هنري و كيف قضى
فوجدت هنري واضح العذر
يا طالما قد كنت أحسده
و اليوم أحسده على القبر

أنا هو

كانت قبيل العصر مركبة
تجري بمن فيها من السّفر
ما بين منخفض و مرتفع
عال ، و بين السّهل و الوعر
و تخطّ بالعجلات سائرة
في الأرض إسطارا و لا تدري
كتبت بلا حبر و عزّ على
الأقلام حرف دون ما حبر
سيّارة في الأرض ما فتئت
كالطّير من وكر إلى وكر
تأبى و تأنف أن يلمّ بها
تعب ، و أن تشكو سوى الزّجر
حملت من الركاب كلّ فتى
حسن الرّواء و كلّ ذي قدر

يتحدّثون فذاك عن أمل
آن ، و ذا عن سالف العمر
يتحدّثون و تلك سائرة
بالقوم لا تلوي على أمر
فكأنّما ضربت لها أجلا
أن تلتقي و الشمس في خدر
حتى إذا صارت بداحية
ممدودة أطرافها صفر
سقطت من العجلات واحدة
فتحطّمت إربا على الصّخر
فتشاءم الركّاب و اضطربوا
مما ألمّ بهم من الضّر
و تفرّقوا بعد انتظامهم
بددا و كم نظم إلى نثر
و الشّمس قد سالت أشعّتها
تكسو أديم الأرض بالتّبر
و الأفق محمرّ كأنّ به
حنقا على الأيّام و الدّهر
قد كان بين الجمع ناهدة
الثديين ذات ملاحة تغري
تبكي بكاء القانطين و ما
أسخى دموع الغادة البكر
و قفت و شمس الأفق غاربة
تذري على كالورد ، كالقطر
شمسان لو لا أنّ بينهما
صلة لما بكتا من الهجر
و تدير عينيها على جزع
كالظّبي ملتفتا من الذّعر
و إذا فتى كالفجر طلعته
بل ربما أربى على الفجر
وافى إليها قائلا عجبا
ممّ البكاء شقيقة البدر ؟
قالت أخاف اللّيل يدهمني
ما أوحش اظلماء في القفر !

و أشدّ ما أخشاه سفك دمي

بيد الأثيم اللّصّ ذي الغدر

" هنري " اللّعين و ما الفتى هنري

إلاّ لبن أمّ الموت لو تدري

رصد السبيل فما تمرّ به

قدم و لا النسمات إذ تسري

وا شقوتي إنّ الطريق إلى

سكني على مستحسن النكر

إنّي لأعلم إنّما قدمي

تسعى حثيثا بي " القبر

قال الفتى هيهات خوفك لن

يجديك شيئا ربّة الطهر

فتشجهي و عليّ فاتّكلي

فأنا الذي يحميك من هنري

قالت أخاف من الخؤون على

هذا الشباب الناعم النّضر

فأجابها لا تجزعي و ثقي

أنّي على ثقة من النّصر

عادت كأن لم يعرها خلل

تخد القفار سفينة البرّ

و اللّيل معتكر يجيش كما

جاشت هموم النّفس في الصدر

فكأنّه الآمال واسعة

و البحر في مدّ و في جزر

و كأنّ أنجمه و قد سقطت

دمع الدّلال و ناصع الدّر

و البدر أسفر رغم شامخة

قد حاولت تطويه كالسّر

ألقى أشعّته فكان لها

لون اللّجين و لؤلؤ الثّغر

فكأنّه الحسناء طالعة

من خدرها أو دمية القصر

و كأنّما جنح الظّلام جنى

ذنبا فجاء البدر كالغدر

و ضحت مسالك للمطيّة قد
كانت شبيه غوامض البحر
فغدت تحاكي السّهم منطلقا
في جريها و الطيف إذ يسري
و القوم في لهو و في طرب
يتناشدون أطايب الشّعر
حتى إذا صارت بمنعرج
و قفت كمنتبه من السّكر
فترجّلت " ليزا " و صاحبها
و مشت و أعقبها على الأثر
و استأنفت تلك المطيّة ما
قد كان من كرّ و من فر
مشت المليحة و هي مطرقة
ما ثمّ من تيه و لا كبر
أنّى تتيه و قد أناخ بها
همّ و بعض الهمّ كالوقر
لم تحتسي خمرا و تحسبها
ممّا بها نشوى من الخمر
في غابة تحكي ذوائبها
في لونها و اللّف و النّشر
ضاقت ذوائبها فما انفجرت
إلاّ لسير الذّئب و النمر
كاللّيلة الليلاء ساجية
و لربّ ليل ساطع غرّ
قد حاول القمر المنير بها
ما حاول الإيمان في الكفر
تحنو على ظبي و قسورة
أرأيتم سرين في صدر ؟
صقر وورقاء ، و من عجب
أن تحتمي الورقاء بالصّقر
هذا و أعجب أنّها سلمت
منه على ما فيه من غدر
ظلّت تسير و ظلّ يتبعها
ما نمّ من إثم و لا وزر

طال الطريق و طال سيرها

لكنّ عمر اللّيل في قصر

حتّى إذا سفر الصّباح و قد

رفع الظّلام و كان كالسّتر

و الغاب أوشك أن يبوح بها

و به ، بلا حذر ، إلى النّهر

نظرت إليه بمقلة طفحت

سحرا ووجه فاض بالبشر

قالت له لم يبق من خطر

جمّ نحاذره و لا نذر

أنظر فإنّ الصّبح أوشك أن

يمحو ضياء الأنجم الزّهر

و أراه دبّ إلى الظّلام فهل

هذا دبيب الشّيب في الشّعر

و أسمع ، فأصوات الطيور علت

بين النّقا و الضال و السّدر ؟

قال الفتى أو كنت في خطر ؟

قالت له عجبا ألم تدر ؟

فأجابها ما كان في خطر

من كان صاحبه الفتى هنري

فتقهقرت فزعا فقال لها

لا تهلعي واصغي إلى حرّ

ما كنت بالشّرير قطّ و لا

الرّجل الذي يرتاح للشّرّ

لكنّني دهر يجوز على

دهر يجوز على بني الدّهر

بل إنّني خطر على فئة

منها على خطر ذوي الضّر

قتلوا أبي ظلما فقتلهم

عدل و حسبي العدل أن يجري

لا سلم ما بيني و بينهم

لا سلم بين الهرّ و الفأر

سيرون في الموت منتقما

لا شافع في الأخذ بالثّأر

تالله ما أنساك يا أبتي

أبدا و لا أغضي على وتر

قالت لقد هيّجت لي شجنا

فإليك ما قد كان أمري

بعث المليك إلى أبي فمضى

و أخي معا توّا إلى القصر

فإذا أبي في القبر مرتهن

و إذا أخي في ربقة الأسر

يا ساعديّ بترتما ويد

الدهر الخؤون أحق بالبتر

نابي و ظفري بتّ بعدكما

وحدي بلا ناب و لا ظفر

و يلاه من جور الزّمان بنا

و الويل منه لكلّ مغترّ

و كأنّنا و الموت يرتع في

أرواحنا مرعى و مستمري

لما انتهت و إذا به دهش

حيران كالمأخوذ بالسّحر

شاء الكلام فناله خرس

كلّ البلاغة تحت ذا الحصر

و كذلك الغيداء أذهلها

ميل إلى هذا الفتى الغرّ

قالت أخي و الله

و اقتربت

و إذا به ألقى عباءته

برح الخفاء بها عن الجهر

صاحت أخي فيكتور وا طربي

روحي ، شقيقي ، مهجتي ، ذخري

و تعانقا ، فبكى فرحا

إنّ البخار نتيجة الحرّ

و تساقطت في الخدّ أدمعها

كالقطر فوق نواضر الزّهر

...

قل للألي يشكون دهرهم

لا بدّ من حلو و من مرّ
صبرا إذا جلل أصابكم
فالعسر آخره إلى اليسر

فنون الوصف

كأنّي في روض أرى الماء جاريا
أمامي ، و فوقي الغيم يجهد بالنشر
توهّمته هما فقلت له انجلي
فإنّ همومي ضاق عن وسعها صدري
بربّك سر حيث الخلي فإنّني
فتى لا أرى غير المصائب في دهري
فأقشع حتّى لم أشكّ بأنّه
أصاخ إلى قولي و ما شكّ في أمري
رعى الله ذيّاك الغمام الذي رعى
عهودي و أولاني الجميل ولم يدر
تظلّلت بالأشجار عند اختفائه
و يا ربّ ظلّ كان أجمل من قطر
جلست أبثّ الزّهر سرّا كتمته
عن الناس حتّى صرت أخفى من السّرّ
و لمّا شكوت الوجد تمايلت
كأنّ الذي أشكوه ضرب من الخمر
و أدهشها صبري فأدهشني الهوى
دهشت لأنّ الزّهر أدهشها صبري
و لمّا درت أنّي محبّ متيّم
بكت و بكائي كلّ ضاحك مفتر
عجبت لها تبكي لمّا بي و لم يكن
عجيبا على مثلي البكاء من الصخر
كأنّي بدر ، و الزهور كواكب ،
و ذا الروض أفق ضاء بالبدر و الزهر
كأنّي و قد أطلقت نفسي من العنا
مليك لي الأغصان كالعسكر المجر
فما أسعد الإنسان في ساعة المنى
و ما أجمل الأحلام في أوّل العمر ؟
و هاتفه قد أقلقتني بنوحها

فكنت كمخمور أفاق من السّكر

ترى روّعت مثلي من الدّهر بالفرا

ق ، أم بدّلت مثلي من اليسر بالعسر

بكيت و لو لم أبك مما بكت له

بكيت لمّا بي من سقام و من ضرّ

و نهر إذا والى التجعّد ماؤه

ذكرت الأفاعي إذ تلوي على الجمر

تحيط به الأشجار من كلّ جانب

كما دار حول الجيد عقد من الدّر

و قد رقمت أغصانها في أديمه

كتابا من الأوراق ، سطرا على سطر

كأنّ دنانير تساقط فوقه

و ليس دنانير سوى الورق النّضر

كأنّي به المرآة عند صفائها

تمثّل ما يدنو إليها و لا تدري

فما كان أدرى الغصن بالنظم و النثر ؟

و ما كان أدرى الماء بالطّيّ و النّشر

ذر المدح و التشبيب بالخمر و المهى

فإنّي رأيت الوصف أليق بالشعر

و ما كان نظم الشّعر دأبي و إنّما

دعاني إليه الحبّ و الحبّ ذو أمر

و لي قلم كالرّمح يهتزّ في يدي

إلى الخير يسعى و الرّماح إلى الشّر

و تفتك هاتيك الأسنّة في الحشى

و يحيي الحشى إن راح بفتك بالخير

إذا ما شدا بالطرس أذهب شدوه

هموم ذوي الشّكوى ووقر ذوي الوقر

تبختر فوق الطرس يسحب ذيله

فقالوا به كبر ، فقلت عن الكبر

لكلّ من الدنيا حبيب و ذا الذي

أشدّ به أزري و يعلو به قدري

و يبقى به ذكرى إذا غالني الرّدى

حسب الفتى ذكر يدوم إلى الحشر

غرامية

عيناك و السّحر الذي فيهما

صيرتاني شاعرا ساحرا

علّمتني الحبّ و علّمته

بدر الدّجى ، و الغصن ، و الطّائرا

إن غبت عم عيني و جنّ الدّجى

سألت عنك القمر الزاهرا

و أطرق الروضة عند الضحى

كما أناجي البلبل الشاعرا

و أنشق الوردة في كمّها

لأنّ فيها أرجا عاطرا

يذكّر الصبّ بذاك الشذا

هل تذكرين العاشق الذاكرا ؟

كم نائم في وكره هانيء

نبّهته من وكره باكرا ؟

أصبح مثلي تائها حائرا

لمّا رآني في الرّبى حائرا

وراح يشكو لي و أشكو له

بطش الهوى ، و الهجر ، و الهاجرا

و كوكب أسمعته زفرتي

فبات مثلي ساهيا ساهرا

زجرت حتى النوم عن مقلتي

و لم أبال اللائم الزاجرا

يا ليت أنّي مثل ثائر

كيما تقول المثل السائرا

عيناك

عيناك و السّحر الذي فيهما

صيّرتاني شاعراً ساحرا

علّمتني الحبّ و علّمته

بدر الدّجى و الغصن و الطّائرا

إن غبت عم عيني و جنّ الدّجى

سألت عنك القمر الزاهرا

و أطرق الروضة عند الضحى

كيما أناجي البلبل الشاعرا

و أنشق الوردة في كمّها

لأنّ فيها أرجا عاطرا

يذكّر الصبّ بذاك الشذا

هل تذكرين العاشق الذاكرا ؟

كم نائم في وكره هانيء

نبّهته من وكره باكرا ؟

أصبح مثلي تائها حائرا

لمّا رآني في الرّبى حائرا

وراح يشكو لي و أشكو له

بطش الهوى و الهجر و الهاجرا

و كوكب أسمعته زفرتي

فبات مثلي ساهيا ساهرا

زجرت حتى النوم عن مقلتي

و لم أبال اللائم الزاجرا

يا ليت أنّي مثل ثائر

كيما تقول المثل السائرا

الشاعر

قالت وصفت لنا الرحيق و كوكبها

و صريعها و مديرها و العاصرا

و الحقل و الفلّاح فيه سائرا

عند المسا يرعى القطيع السائرا

ووقفت عند البحر يهدر موجه

فرجعت بالألفاظ بحرا هادرا

صوّرت في القرطاس حتى الخاطرا

فخلبتنا و سحرت حتى الساحرا

و أريتنا في كلّ قفر روضة

و أريتنا في كلّ روض طائرا

لكن إذا سأل امروء عنك امرءا

أبصرت محتارا يخاطب حائرا

من أنت يا هذا ؟ فقلت لها : أنا

كالكهرباء أرى خفيّا ظاهرا

قالت : لعمرك زدت نفسي ضلّة

ما كان ضرّك لو وصفت الشاعرا ؟

...

فأجبتها : هو من يسئل نفسه

عن نفسه في صبحه و مسائه

و العين سرّ سهادها و رقادها

و القلب سرّ قنوطه و رجائه

فيحار بين مجيئه و ذهابه

و يحار بين أمامه وورائه

و يرى أفول النجم قبل أفوله

و يرى فناء الشيء قبل فنائه

و يسير في الرّوض الأغنّ فلا ترى

عيناه غير الشوك في أرجائه

إن نام لم ترقد هواجس روحه

و إذا استفاق رأيته كالتائه

ما إن يبالي ضحكنا و بكاءنا

و يخيفنا في ضحكه و بكائه

كالنار يلتهم العواطف عقله

فيميتها و يموت في صحرائه

...

قالت : أتعرف من وصفت ؟ فقلت : من ؟

قالت : وصفت الفيلسوف الكافرا

يا شاعر الدنيا و فيك حصافة

ما كان ضرّك لو وصفت الشاعرا ؟

...

فقلت : هو امروء يهوى العقارا

كما يهوى مغازلة العذارى

إذا فرغت من الرّاح الدنان

توهّم أنمّا فرغ الزّمان

يعاقرها على ضوء الدّراري

فإن غربت ، على ضوء النّهار

و يحسب مهرجان النّاس مأتم

بلا خمر ، و جنّتهم جهنّم

ملول لا يدوم على ولاء

و لكن لا يدوم على عداء

أخو لبّ و لكن لا إرادة
وذو زهد و لكن بالزهاده
يميل إلى الدّعابة و المزاح
و لو بين الأسنّة و الصّفاح
و يوشك أن يقهقه في الجنازة
و يرقص كالعواصف في المفازه
إذا بصرت به عين الأديب
فقد وقعت على رجل مريب
يعنّفه الصّحاب فلا ينيب
و يزجره المشيب فلا يتوب
فقالت : جئت بالكم البديع
و لكن ما وصفت سوى " الخليع "

...

و خفت إعراضها عنّي فقلت : إذن
هو الذي أبدا يبكي من الزمن
كأنّما ليس في الدنيا سواه فتى
معرّض لخطوب الدّهر و المحن
يشكو السّقام و ما في جسمه مرض
و السّهد و هو قريب العهد بالوسن
و الهجر ، و هو بمرأى من أحبّته
و الأسر ، و هو طليق الروح و البدن
و لا يرى حسنا في الأرض يألفه
أو يشتهيه و كم في الأرض من حسن
ينوح في الرّوض و الأشجار مورقه
كما ينوح على الأطلال و الدمن
فقاطعتني : و قالت : قد بعدت بنا
ما ذي الصفات الشاعر الفطن

...

قلت : مهلا إذا ضللت و عذرا
ربّما أخطأ الحكيم و ضلّا
هو من ترسم الجمال يداه
فنراه في الطرس أشهى و أحلى
لوذعيّ الفؤاد يلعب بالأل
باب لعبا إن شاء أن يتسلى

و يرينا ما ليس يبقى سيبقى

و يرينا ما ليس يبلى سيبلي

يطبع الشّهب للأنام نقودا

و هو يشكو الإملاق كيف تولّى

أفما ذا من تبتغين و أبغي

و صفه ؟ قالت المليحة : كلا ! ..

...

يا هذه إنّي عييت بوصفه

و عجزت عن إدراك مكنوناته

لا تستطيع الخمر سر صفاتها

و الروض وصف زهوره و بناته

هو من نراه سائرا فوق الثرى

و كأنّ فوق فؤاده خطواته

إن ناح فالأرواح في عبراته

و إذا شذا فالحبّ في نغماته

يبكي مع النائي على أوطانه

و يشارك المحزون في عبراته

و تغيّر الأيام قلب فتاته

و يظلّ ذا كلف بقلب فتاته

هو من يعيش لغيره و يظنّه

من ليس يفهمه يعيش لذاته !!!

في القطار

سرى يطوي بنا الأميال طيّا

كما تطوي السّجلّ أو الإزارا

فلم ندر وجنح اللّيل داج

أبرقا ما ركبنا أم قطارا

بنا و به حنين و اشتياق

و لولا ذان ما سرنا و سارا

و لكنّا و سعنا الشّوق ذرعا

و ضاق به فصعّده بخارا

و سمّينا الذي يخفيه وجدا

و سمّينا الذي يخفيه نارا

غفا صحبي و بعضهم تغافى

و لم أذق الكرى إلاّ غرارا

جلست أراقب الجوزاء وحدي

كما قد يرقب السّاري المنارا

يسير بنا القطار و نحن نرجو

لو اختصر الطّريق بنا اختصارا

و أقسم لو أحدّثه بما بي

لحلّق في الفضاء بنا و طارا

إلى البلد الأمين إلى كرام

يراعون المودّة و الجوارا

إلى المزداد ودّهم لدينا

إذا زدنا صفاتهم اختبارا

إذا سترت نحبّتها قلوب

فحبّي لا أطيق له استتارا

فيا إخواننا في كلّ أمر

أصيخوا كي أخاطبكم جهارا

طويناها سباسب شاسعات

تسير الواخدات بها حيارى

و لولا أن تسير بنا إليكم

و كائبنا مشيناها اختيارا

لننقل من " نويورك " لكم تحايا

تحاكي في لطافتها العقارا

و ننقل عنكم أخبار صدق

تحاكي النّدّ في الرّوض انتشارا

سمعنا بالهزار و نحن قوم

كما نهوى الغنا نهوى الهزار

لديكم كوكب و بنا ظلام

و أنتم تكرهون لنا العثارا

جعلنا رسمه في كلّ ناد

و صيّرنا القلوب له إطارا

أجل ، هذا الذي نبغيه منكم

و نرجو لا اللّجين و لا النّضار

أتيناكم على ظمأ لأنّا

عرفنا فيكم السّحب الغزارا

و أنتم معشر طابوا نفوسا

و أخلاقا كما كرموا نجارا
بفيتم في سلام و اغتباط
تضيء وجوهكم هذي الدّيارا

معركة شمولبو

دبّت و قد أرخى الظّلام ستارا
و لطالما كتم الدّجى الأسرارا
سفن هي الأطواد لولا سيرها
أعهدتم جبلا مشى أو سارا ؟
كالطّير أسرابا و لكن إن عدت
تنت الرّياح و تسبق الأطيارا
مثل الكواكب في النّظام و إنّها
لكما الكواكب تبعث الأنوارا
هي كالمدائن غير أنّ نزيلها
أبدا بها يتوقع الأخطارا
و أظنّها فقدت حبيبا أو أخا
و لذلك ارتدّت السواد شعارا
تغشى المياه لعلّ ما في قلبها
يطفى ، فتزداد الضّلوع أوارا
و تميد حتّى لا يشكّ بأنّها
سكرى و لم تذق السّفين عقارا
و تسرّ إن رأت الثغور كأنّها
المقرور أبصر بعد جهد نارا
و بوارج قد سيّرت كالجحفل
الجرّار تحمل جحفلا جرّارا
حملت أناسا كالقرود ، و جوههم
صفراء يحكي لونها الدّينارا
فطس الأنوف ، قصيرة قاماتهم
هيهات لا تتجاوز الأشبارا
قد قادها (طوغو) فقاد ذلولة
تهوى الصّعاب و تعشق الأسفارا
في قبله نار و في أحشائها
مثل الذي في نفسه قد ثارا
ما زال يدفعها البخار فترتمي

كالسّهم أطلق في الفضاء فسارا

طورا ترها في السّحاب و تارة

في القاع يوشك جرمها يتوارى

حتى دنت من ثغر شمولبو الذي

جمع الألى لم يعرفوا ما صارا

نفر من الرّوس الذين سمعت عن

أفعالهم فيما مضى الأخبارا

من كلّ مغوار إذا زار الوغى

زار الحمام الفارس المغوارا

ما كان غير (الفارياج) لديهم

و سفينة أخرى أخفّ دثارا

قال العدوّ لهم ، و قد داناهم ،

و كفى بما وافى به إنذارا

" أمّا القتال فتلحقون بمن مضوا

أو تحسنون فتؤخذون أسارى "

كان الجواب قذائفا نارية

تهوى الورود و تكره الإصدارا

مثل الرّجوم إذا هوت لكنّها

لا تعرف الأخيار و الأشرارا

و أقلّها خطبا فكيف أشدّها

لو نالت الجبل الأشمّ انهارا

حفّت بهم سفن العداوة و أحدقت

حتى لدكت إخالها أسوارا

ما بين بارجة و طرّاد إلى

نسّافة و الكلّ يقذف نارا

ملأ دخانها و ذكاء

احتجبت ، و ما برح النّهار نهارا

و الجوّ أظلم و اكفهرّ أديمه

حتى على السّماء ستارا

و البحر خضّب بالدّماء و أصبحت

أمواجه و هي اللّجين نضارا

ذا و القنابل لم تزل منهلّة

منها تحاكي الصّيّب المدرارا

و المركبان " الفارياج " و أختها

في هبوة لا يعرفان قرارا

’حداهما ظفرت بها مقذوفة

فكأنّ صاعقة أصابت دارا

فهوت بمن فيها ، و قد فتحت لها

الأمواج صدرا يكتم الأسرارا

هبطت وزاد هبوطها المتقاتل

ين على مداومة الوغى إصرارا

لكنّما الأخرى أصيب بالأذى

حتى غدت لا تملك التسيارا

فرأى الفتى ربّانها أن يفتدي

الجند الكرام من الممات فرارا

قد فرّ بعضهم و لكن جلّهم

طلبوا الفرار من الفرار خيارا

أودوا بها نسفا ، و ماتوا عندها

غرقا ، و يأبى الباسلون العارا

هذي حكايتهم أسطرها لكم

لا درهما أبغى و لا دينارا

فلئن أفادتكم فخير جاء من

شرّ ، و إلاّ فلتكن تذكارا

الذئاب الخاطفة

ما بالهم نقضوا العهود جهارا

و تعمّدوا الإيذاء و الإضرارا ؟

و استأسدوا لمّا رأوا ليث الشّرى

عاف الزئير و قلّم الأظفارا

داروا به و الشّر في أحداقهم

ذا يدّعي حقّا و ذلك ثارا

لؤم لعمر أبيك لم ير مثله

التاريخ منذ استقرأ الأخبارا

و خيانة ما جاءها القوم الألى

تخذوا مع الوحش القفار ديارا

أمسى يحرّض عاهل الألمان عن

أمسى يحرّض في الخفا البلغارا

أمعاشر الإفرنج ليس شهامة

ما تفعلون إذا أمنتم عارا

أمن المروءة أن يساء جوارنا

في حين أنّا لا نسيء جوارا ؟

أمن المروءة أن يطأطيء تاجه

ملك ليملك في الثرى أشبارا ؟

ألبغي مرتعه وخيم فاعلموا

و الظلم يعقب للظلوم دمارا

إن تحرجوا الرئبال في عرينه

يذر السّكوت و يركب الأخطارا

و كما علّمتم ذلك الجيش الذي

يأبى و يأنف أن يرى خوّارا

فالويل للدنيا إذا نفض الكرى

و الويل للأيّام إمّا ثارا

إنّي أرى ليلا يخيّم فوقنا

لا ينجلي حتّى يشبّ النارا

فحذار ثمّ حذار من يوم به

يجري النجيع على الثرى أنهارا

يوم تباع به النفوس رخيصة

يوم يقصّر هوله الأعمارا

يوم يكون به الجميع عساكرا

و الكلّ يدخل في الوغى مختارا

باخرة الإغاثة

سيري تراعيك النّجوم السّاهرة

ليلا ، و عين الشّمس عند الهاجره

فلأنت عند الشّرق أجمل باخره

تجري إليه بها المياه الزّجرة

يا ليت أنّي فيك أو إيّاك

سيري تداعب فوقك الرّيح العلم

و الطف البحر الخضمّ إذا احتدم

بوركت باخرة و بورك من علم

فيك الخلاص لساكني تلك الأكم

يا ليت أنّي فيك أو إيّاك

في الشرق أحباب على جمر الغضا

نقم الزّمان عليهم بعد الرضى

هجروا الكرى و تطلّعوا نحو الفضا

يتوقعونك كلّما بوق أضا

سيري فإنّ الحرب في مسراك

بيروت ... يا بنت البخار الجارية

فإذا سئلت من البقايا الباقية

قولي إنّ الحياة الهانية

لم تنسا سكّان تلك النّاحية

أمّا الدّليل ، فحسبنا إيّاك ! .

الشاعر و الأمة

خير ما يكتبه ذو مرقم

قصة فيها لقوم تذكره

...

كان في ماضي اللّيالي أمّة

خلع العزّ عليها حبره

يجد النّازل في أكفانها

أوجها ضاحكة مستبشرة

و يسير الطرف من أرباضها

في مغان حاليات نضره

لم يقس شعب إلى أمجادها

مجده الباذج إلاّ استصغره

همّها في العلم تعلي شأنه

بينها ، و الجهل تمحو أثره

ما تغيب الشمس إلاّ أطلعت

للورى محمده أو مأثره

فتمنّى الصّبح تغدو شمسه

و تمنّى اللّيل تغدو قمره

و مشى الدّهر إليها طائعا

فمشت تائهة مفتخره

...

كان فيها ملك ذو فطنة

حازم يصفح عند المقدره

بعشق الأمر الذي تعشقه

فاذا ما استنكرته استنكره
بلغت في عهده مرتبة
لم تنلها أمّة أو جمهرة
فاذا أعطت ضعيفا موثقا
أشفقت أعداؤه أن تخفره
و إذا حاربها طاغية
كانت الظّافرة المنتصره
مات عنها ، فأقامت ملكا
طائش الرأي كثير الثّرثره
حوله عصبة سوء ، كلّما
جاء إدّا أقبلت معتذره
حسّنت في عينيه آثامه
و إليه نفسه المستكبره
و تمادى القوم في غفلتهم
فتمادى في الملاهي المنكره
زحزح الأمّة عن مركزها
و طوى رايتها المنتشره
و رأت فيها اللّيالي مقتلا
فرمتها فأصابت مدبره
فهوت عن عرشها منعفره
مثلما ترمي بسهم قبّره

...

كان فيها شاعر مشتهر
ذو قواف بينها مشتهره
كلّما هزّت يداه وترا
هزّ من كلّ فؤاد وتره
تعس الحظّ ، و هل من
شاعر في أمّة محتضره ؟
يقرأ النّاظر في مقلته
ثورة طاهرة مستتره
ما يراه النّاس إلاّ واقفا
في مغاني قومه المندثر
حائرا كالريّح في أطلالها
باكيا و السّحب المنهمره

و هي في أهوائها لاهية
و كذلك الأمة المستهتره
ما رأت مهجته المنفطره
لا ولا أدمعه المنحدرة
فشكاه الشّعر مما سامه
و شكاه اللّيل ممّا سهره
ثمّ لمّا عبث اليأس
مزّق الطّرس وشجّ المحبره
...
مرّ يوما فرأى أشباحا
جلسوا يبكون عند المقبرة
قال ما لكم ؟ ... ما خطبكم
أيّ كنز في الثرى أو جوهره ؟
و من الثاوي الذي تبكونه
قيصر أم تبّه ، أم عنترة ؟
قال شيخ منهم محدوب
و دموع اليأس تغشى بصره
إنّ من نبكيه لو أبصره
قيصر أبصر فيه قيصره
كيف يا جاهل لا تعرفه
وحداة العيس تروي خبره ؟
هو ملك كان فينا و مضى
فمضت أيّامنا المزدهرة
و لبثنا بعده في ظلم
داجيات فوقنا معتكره
و الذي كان بنا " معرفة "
لصروف الدّهر أمسى " نكره "
فانتهى التّاج إلى معتسف
لم يزل بالتّاج حتى نثّره
كلّ ما تصبو إليه نفسه
معصر أو خمرة معتصره
مستهين باللّيالي و بنا
مستعين بالطّغام الفجره
كلّما جاء إليه خائن

واشيا قرّبه و استوزره

فإذا جاء إليه ناصح

شكّ في نيّته فانتهره

مستبد باذل في لحظة

ما ادّخرناه له و ادّخره

يهب المرء و ما يملكه

و على الموهوب أن يستغفره

هزأ الشّاعر منهم قائلا :

بلّغ السّوس أصول الشّجره

رحمة الله على أسلافكم

إنّهم كانوا تقاة بررة

رحمة الله عليهم إنّهم

لم يكونوا أمّة منشطره

إنّ من تبكون يا سادتي

كالذي تشكون فيكم بطره

إنّما بأس الألى قد سلفوا

قتل النّهمة فيه و الشّرة

فاحبسوا الأدمع في آماقكم

و اتركوا هذي العظام النّخره

لو فعلتم فعل أجدادكم

ما قضى الظالم منكم وطره

ما لكم تشكون من محنتكم

رضتم ألسنكم أن تشكره ؟

و جعلتم منكم عسكره

و حلفتم أن تطيعوا عسكره ؟

كيف لا يبغى و يطغى آمر

يتّقي أشجعكم أن ينظره ؟

ما استحال الهرّ ليثا إنّما

أسد الآجام صارت هرره

و إذا اللّيث وهت أظفاره

أنشب السّنور فيه ظفره !!

أيلول الشاعر

ألحسن حولك في الوهاد و في الذرى
فانظر ، ألست ترى الجمال كما أرى ؟
" أيلول " يمشي في الحقول و في الربى
و الأرض في أيلول أحسن منظرا
شهر يوزّع في الطبيعة فنّه
شجرا يصفّق أو سنا متفجّرا
فالنور سحر دافق ، و الماء شعر
رائق ، و العطر أنفاس الثرى
لا تحسب الأنهار ماء راقصا
هذي أغانيه استحالت أنهرا
وانظر إلى الأشجار تخلع أخضرا
عنها ، و تلبس أحمرا أو أصفرا
تعرى و تكسى في أوان واحد
و الفنّ في ما ترتديه و في العرا
فكأنّما نار هناك خفيّة
تنحلّ حين تهمّ أن تستشعرا
و تذوب أصباغا كألوان الضحى
و تموج ألحانا و تسرى عنبرا
صور و أطياف تلوح خفيفة
و كأنّها صور نراها في الكرى
لله من " أيلول " شهر ساحر
سبق الشّهور و إن أتى متأخّرا
من ذا يدبّج أو يحوك كوشيه
أو من يصوّر مثلما قد صوّرا ؟
لمست أصابعه السّماء فوجهها
ضاح ، و مرّ على التراب فنوّرا
ردّ الجلال إلى الحياة وردّني
من أرض نيويورك إلى أمّ القرى

لوس انجيلوس

أنا لست في دنيا الخال و لا الكرى
و كأنّني فيها لروعة ما أرى
يا قوم هل هذي حقائق أم رؤى

و أنا ؟ أصاح أم شربت مخدّرا ؟

لا تعجبوا من دهشتي و تحيّري

و تعجّبوا إن لم أكن متحيرا

كيف التفتّ رأيت آية شاعر

لبق تعمّد أن يجيد ليبهرا

مسحت بإصبعها الحياة جفونه

فرأى المحاسن ، فانتقى و تخيّرا

ما " لوس انجلوس " سوى أنشودة

الله غنّاها فجنّ لها الورى

خلع الزّمان شبابه في أرضها

فهو اخضرار في السفوح و في الذرى

أخذت من المدن العواصم مجدها

و جلالها ، و حوت حلاوات القرى

هي واحة للمتعبين ، و جنّة

للعاشقين ، و ملعب لذوي الثرى

كفّنت في نيويورك أحلام الصبا

و طويتها ، و حسبتها لن تنشرا

لكنّني لمّا لمحت زهورها

شاهدت أحلامي تطلّ من الثرى

تتنفّس الهضبات في رأد الضّحى

تبرا ، و في الآصال مسكا أذفرا

فالسّحر في ضحك النّدى مترقرقا

كالسّحر في رقص الضّياء معطّرا

قل للألى و صفوا الجنان و أطنبوا

ليست جنان الخلد أعجب منظرا

كلّ الفصول هنا ربيع ضاحك

فإذا ترى شهرا رأيت الأشهرا

إن كنت تجهل ما حكايات الهوى

فاتنصت لوشوشة النّسيم إذا سرى

وانظر إلى الغبراء تنبت سندسا

و تأمّل الغدران تجري كوثرا

و اشرب بعينيك الجمال فإنّه

خمر بغير يد الهوى لن تعصرا

حاولت وصف جمالها فكأنّني

ولد بأنمله يحوش الأبحرا

و استنجدت روحي الخيال فخانني ،

و كبا جواد فصاحتي و تعثّرا

أدركت تقصيري وضعفي عندما

أبصرت ما صنع الإله وصورا

إنّي شهدت الحسن غير مزيّف

بئس الجمال مزيفا و مزوّرا

أحببت حتّى الشوك في صحرائها

و عشقت حتى نخلها المتكبّرا

أللابس الورق اليبيس تنسكا

و المشخرّ إلى السماء تجبّرا

هو آدم الأشجار أدركه الحيا

لمّا تبدّى عرية فتسترا

إبن الصحارى قد تحضّر و ارتقى

يا حسنة متبديا متحضرا

و قفت ترقبه ليلة

مثل حظّ الأدباء الشّعرا

تكتم الظّلماء من لألأها

أيّ بدر في الظلام استترا ؟

أرسلت نحو لفتة

أذكرت تلك الدّراري القمرا

و إذا بالبدر قد مزّق عن

وجهه برقعه ثمّ انبرى

فأضاء الجوّ و الأرض معا

نوره الفضّيّ لمّا ظهرا

فرنت عن فاتر و ابتسمت

عن نظيم قد أكنّ الدّررا

ثمّ يا حبيبي مرحبا

لا رآك الطّرف إلاّ نيّرا

قف قليلا أو كثيرا معسى

نورك الباهر يجلو البصرا

إن تغب فالصّبح عندي كالدّجى

و الدّجى إن جئت بالصّبح ازدرى

لم تحبّ السّير ليلا فإذا

ذرّ قرن الشّمس عانقت الكرى ؟

أتخاف الشمس أم أنت كذا

تعشق اللّيل و تهوى السهرا ؟

ثمّ ناجت نفسها قائلة

أترى أبلغ منه وطرا ؟

ليت لي أجنحة بل ليتني

نجمة أتبعه أنّى سرى

و همّ البعض فقالوا درهم

ما أرى الدّرهم إلاّ حجرا

و لقد أضحكتي زعمهم

أنّه يشبه في الحجم الثّرى

زعموا ما زعموا لكنّما

هو عندي لعبة لا تشترى

و بدت غياض البرتقال فأشبهت

جلباب خوذ بالنضار مزرّرا

من فوقها انتشر الضذياء ملاءه

من فوقه جوّ صفا و تبلورا

و كأنّما تلك القصور على الربى

عقد لغانية هوى و تبعثرا

لمّا تراءت من بعيد خلتها

سفنا ، و خلت الأرض بحرا أخضرا

نفض الصّباح سناه في جدرانها

و أتى الدّجى فرأى مناثر للسرى

متألّقات كابتسامات الرّضى

تنسيك رؤيتها الزّمان الأعسرا

أنا شاعر ما لاح طيف ملاحة

إلاّ و هلّل للجمال و كبّرا

وزعت نفسي في النفوس محبّة

لا شاكيا ألما و لا متضجّرا

و مشيت في الدنيا بقلب يابس

حتّى لقيت أحبّتي فاخضوضرا

قد كنت أحسبني كيابا ضائعا

فإذا أنا شخص يعيش مكرّرا

فكأنّي ماء الغمام إذا انطوى

في الأرض ردّته نباتا مثمرا

ما أكرم الأشجار في هذا الحمى

فيها لقاصدها البشاشة و القرى

تقري الفقير على خصاصة حالة

كرما ، كما تقري الغنيّ لموسرا

ألبذل ديدنها سواء جئتها

متقدّما أم جئتها متأخّرا

فكأنّها منكم تعلّمت الندى

كما تغيث الناس إن خطب عرا

طبيبي الخاص

بتّ أرعى في الظلام الأنجما

ليس للعشّاق حظّ في الكرى

صرعتني نظرة حتى لقد

كدت أن أحسد من لا يبصر

نظرة قد أورثت قلبي الكمد

ما بلاء القلب إلاّ النّظر

لا رعاك الله يا يوم الأحد

لا ولا حيّاك عنّي المطر

أنت من أطلعت هاتيك الدّمى

سافرات فتنة للشّعرا

همت فيمن حسنت صورتها

مثلما قد حسنت منها الخصال

أخجلت شمس الضحى طلعتها

و استحى من لحظها لحظ الغزال

كلّ ما فيها جميل يشتهى

ما بها عيب سوى فرط الجمال

لو رآها لائمي فيها لمّا

لامني في حبّها بل عذارا

ذات حسن خدّها كالورد في

لونه و الطيّب في نكهته

زهرة لكنّها لم تقطف

و جمال الزّهر في روضتيه

درّة ما خرجت من صدف

ترخص الدّرّ على قيمته

بضّة الخدّين و النّهدين ما

سفرت إلاّ رأيت القمرا

ذات شعر مسبل كالأفعوان

يتهادى فوق ردف كالكثيب

و قوام لو رآه الغصن بان

خجلا من ذلك الغصن الرّطيب

كاد لولا ما به من عنفوان

يقف الورق به و العندليب

و جفون أشبهتني سقما

كمن السّحر بها و استترا

تبعث الحبّ إلى الخليّ

و هو لا يدري و لا يستشعر

و الهوى في بدئه عذب شهيّ

كلّ شيء بعده محتقر

كلّ من لا يعرف الحبّ شقيّ

لا يرى في دهره ما يشكر

يصرف العمر و لكن سأما

عبثا يطلب أن لا يضجرا

لم أكن أعرف ما معنى الهنا

قبل أن أعرف ما معنى الغرام

يضحك النّاس سرورا و أنا

عابس حتى كأنّي في خصام

عجبوا منّي و قالوا علنا

قد رأينا الصّخر في زيّ الأنام

أوشكوا أن يحسبوني صنما

لو رأوا الأصنام تخفي كدرا

لم أزل في ربقة اليأس إلى

أن أعاد الحبّ لي بعض الرّجا

كنت قبل الحبّ أسري في ظلا

م و لا ألقى لنفسي مخرجا

فجلاه الحبّ عنّي فانجلى

مثلما يجلو سنا الشمس الدّجى

بات قلبي بالأماني مفعما

و هو قبلا كان منها مقفرا

روّعتني بالنّوى بعد اللّقاء

و كذا الدّنيا دنو و افتراق

غضب الدّهر على كأس الصّفاء

مذ رآها فأبى ألاّ تراق

و لو أنّ الدّهر يدري بالشّقاء

ساعد الصبّ على نيل التلاق

لم أجد لي مشبها تحت السما

في شقائي ، لا ولا فوق الثرى

و أبي لو أن ما بي بالجبال

أصبحت تهتزّ من مرّ النسيم

فاعذروني إن أكن مثل الخيال

و اعذلوني إن أكن غير سقيم

إنّ دائي جاء من صاد ودال

و دواء القلب في ضاد و ميم

بات صبري مثل جسمي عدما

إنّما يصبر من قد قدرا

ربّ ليل عادني فيه السّهاد

و نأى عن مقلتي طيب الكرى

هاجت الذّكرى شجونا في الفؤاد

فبكى طرفي عقيقا أحمرا

نبّه الأهل بكائي و العباد

فأتوا يستطلعون الخبرا

قلت داء في الفؤاد استحكما

كاد قلبي منه أن ينفطرا

صدّقوا ما قلته ثمّ مضى

واحد منهم يستدعي الطبيب

سار و الكلّ على جمر الغضا

و أنا بين أنين و نجيب

لم يكن إلاّ كبرق و مضا

و إذا (الدكتور) من مهدي قريب

قال للجمهور ماذا الاجتماع

أخرجوا أو زدتموه خطرا

خرج الكلّ فأمست غرفتي

مثل قلب الطفل أو جيب الأديب

فدنا يسألني عن علّتي

و أنا أسمع لكن لا أجيب

فنضا الثوب فأبصرت التي

كاد جسمي في هواها أن يغيب

خلعت عنها لباس الحكما

فرأت عيناي بدرا نيّرا

و اعترتني دهشة لكنّها

دهشة ممزوجة بالفرح

كدت أن أخرج عن طزر النّهى

ربّ سكر لم يكن من قدح

يا لها من ساعة لو أنّها

بقيت كالدّهر لم تستقبح

عانقتني و أنا أبكي دما

و هي تبكي لبكائي دررا

و جعلنا بعد أن طال العناق

تتناجى بأحاديث القلوب

بينما نحن على هذا الوفاق

قرع الباب فأوشكنا نذوب

فأشارت لي قد حان الفراق

فاقطعنا وارتدّت ثوب الطبيب

أقبل القوم فقالت كلّ ما

كان يشكو منه عنه قد سرى

بائعة الورد

من الفرنسيس قيد العين صورتها

عذراء قد ملئت أجفانها حورا

كأنّما و هبتها الشّمس صفحتها

وجها و حاكت لها أسلاكها شعرا

يد المنيّة طاحت غبّ مولدها

بأمّها ، و أبوها مات منتحرا

في قرية من قرى باريس ما صغرت

عن الفتاة و لكن همّها كبرا

و النّفس تعشق في الأهلين موطنها

و ليس تعشقه يحويهم حفرا

و تعظم الأرض في عينيك محترما

و ليس تعظم في عينيك محتقرا

فغادرتها و ما في نفسها أثر

منها و لا تركت في أهلها أثرا

إلى التي تفتن الدّنيا محاسنها

و حسن من سكنوها يفتن البشرا

إلى التي تجمع الأضداد دارتها

و يحرس الأمن في أرجائها الخطرا

إذا رآها تقيّ ظنّها " عدنا "

و إن رآها شقيّ ظنّها " سقرا "

تودّ شمس الضّحى لو أنّها فلك

و الأفق لو طلعت في أوجه قمرا

و الغرب لو كان عودا في منابرها

و الشّرق لو كان في جدرانها حجرا

في كلّ قلب هوى كأنّ له

في أهلها صاحبا ، في أرضها وطرا

(باريس) أعجوبة الدّنيا و جنّتها

وربّة الحسن مطروقا و مبتكرا

...

حلّت عليها فلم تنكر زخارفها

فطالما أبصرت أشباهها صورا

و لا خلائق أهليها وزيّهم

فطالما قرأت أخلاقهم سيرا

و إنّما أنكرت في الأرض وحدها

كذلك الطّير إما فارق الوكرا

يتيمة مالها أم تلوذ بها

و لا أب إن دعته نحوها حضرا

غريبة يقتفيها البؤس كيف مشت

ما عزّ في أرض " باريس " من افتقرا

مرّت عليها ليال و هي في شغل

عن سالف الهمّ بالهمّ الذي ظهرا

حتّى إذا عضّها ناب الطّوى نفرت

تستنزل الرّزق فيها الفرد و النّفرا

تجني اللّجين الباذلوه لها

من كفّها الرود منظوما و منتثرا

لا تتّقي الله فيه و هو في يدها

و تتّقي فيه فوق الوجنة النّظرا

تغار حتّى من الأرواح سارية

فلو تمرّ قبول أطرقت خفرا

أذالت الورد قانية و أصفره

كيما تصون الذي في خدّها نضرا

حمته عن كلّ طرف فاسق غزل

لو استطاعت حمته الوهم و الفكرا

تضاحك لا زهرا و لا لعبا

و تجحد الفقر لا كبرا و لا أشرا

فإن خلت هاجت الذكرى لواعجها

فاستنفدت طرفها الدمع الذي ادّخرا

...

تعلّقته فتى كالغصن قامته

حلو اللّسان أغرّ الوجه مزدهرا

وهام فيها تريه الشمس غرّتها

و الفجر مرتصفا في ثغرها دررا

إذا دنا رغبت لا يفارقها

و إن نأى أصبحت تشتاق لو ذكرا

تغالب الوجد فيه و هو مقترب

و تهجر الغمض فيه كلّما هجرا

كانت توقّى الهوى إذ لا يخامرها

فأصبحت تتوقّى في الهوى الحذرا

قد عرّضت نفسها للحبّ واهية

فنال الهوى الجبّار مقتدرا

و الحبّ كاللّص لا يدريك موعده

لكنّه قلّما ، كالسّارق ، استترا

...

و ليلة من ليالي الصّيف مقمرة

لا تسأم العين فيها الأنجم الزهرا

تلاقيا فشكاها الوجد فاضطربت

ثمّ استمرّ فباتت كالذي سحرا

شكا فحرّك بالشّكوى عواطفها
كما تحرّك كفّ العازف الوترا
وزاد حتّى تمنّت كلّ جارحة
لو أصبحت مسمعا أو أصبحت بصرا
ران الهيام على الصّبّين فاعتنقا
لا يملكان النّهى وردا و لا صدرا
" كان ما كان ممّا لست أذكره "
تكفي الإشارة أهل الفطنة الخبرا

...

هامت به و هي لا تدري لشقوتها
بأنّها قد أحبّت أرقما ذكرا
رأته خشفا فأدنته فراء بها
شاة فأنشب فيها نابه نمرا
ما زال يؤمن فيها غير مكترث
بالعاذلين فلمّا آمنت كفرا
جنى عليها الذي تخشى ، و قاطعها
كأنّما قد جنت ما ليس مغتفرا
كانت و كان يرى في خدّها صعرا
عنه فباتت ترى في خدّه صعرا
فكلّما استعطفته ازور محتدما
و كلّما ابتسمت في وجهه كشرا
قال النّفار و " فرجيني " على مضض
تجرّع الأنقعين : الصّاب و الصّبرا

...

قالت ، و قد زارها يوما ، معرّضة
متى ، لعمرك ، يجني الغارس الثّمرا ؟
كم ذا الصّدود ، و لا ذنب جنته يدي
أرجو بك الصّفو لا أرجو بك الكدرا
تركتني لا أذوق الماء من ولهي
كما تركت جفوني لا تذوق كرى
أشفق عليّ و لا تنس وعودك لي
فإنّ ما بي لو بالصّخر لانفطرا
أطالت العتب ترجو أن يرقّ لها
فؤاده فأطال الصّمت مختصرا

و أحرجته لأنّ الهمّ أحرجها

و كلّما أحرجته راغ معتذرا

و ضاق ذرعا بما يخفى لها

إلى م ألزم فيك العيّ و الحصرا

أهواك صاحبة ... أمّا اقترانك بي

فليس يخطر في بالي و لا خطرا

أهوى رضاك و لكن إن سعيت له

أغضبت نفسي و الدّيّان و البشرا

عنيت مالي من قلبين في جسدي

و ليس قلبي إلى قسمين منشطرا

تطالبني فؤادي و هو مرتهن

في كفّ غيرك ، رمت المطلب العسرا

يكفيك أنّي فيك خنت إمرأتي !

و لم يخن قلبها عهدي و لا خفرا

قد كان طيشا هيامي فيك بل نزفا

و كان حبّك ضعفا بل خورا

قالت متى صرت بعلا ؟ قال من أمد

لا أحسب العمر إلاّه و إن قصرا

يا هول ما أبصرت يا هول ما سمعت

كادت تكذّب فيه السّمع و البصرا

لولا بقيّة صبر في جوانبها

طارت له نفسها من وقعة شذرا

يا للخيانة ! صاحت و هي هائجة

كما تهيّج ليث بابنه و ترا

الآن أيقنت أنّي كنت واهمة

و أنّ ما كلّ برق يصحب المطرا

و هبت قلبك غيري و هو ملك يدي

ما خفت شرعا و لا باليت مزدجرا

ليست شرائع هذي الأرض عادلة

كان الضّعيف و لا ينفكّ محتقرا

قد كنت أخشى يد الأقدار تصدعنا

و كان أجدر أن أخشاك لا القدرا

و صلتني مثل الشمس الأفق ناصعة

و عفتني مثل جنح اللّيل معتكرا

كما تعاف السّراة الثوب قد بليت

خيوطه و الرّواة المورد القذرا

خفت الأقاويل بي قد نام قائلها

هلّا خشيت انتقامي و هو قد سهرا

يا سالبي عفّتي من قبل تهجرني

أردد عليّ عفافي واردد الطّهرا

هيهات ما من عفّتي عوض

لاح الرّشاد و بان الغيّ وانحسرا ...

...

و أقبلت نحوه تغلي مراجلها

كأنّها بركان ثار و انفجرا

في صدرها النّار ، نار الحقد ، مضرمة

لكنّما مقلتاها تقذف الشّررا

و أبصر النّصل تخفيه أناملها

فراح يركض نحو الباب منذعرا

لكنّها عاجلته غير وانية

بطعنة فجّرت في صدره نهرا

فخرّ في الأرض جسما لا حراك به

لكنّ " فرجين " ماتت قبلما احتضرا

جنّت من الرّعب و الأحزان فانتحرت

ما حبّت الموت لكن خافت الوضرا

...

كانت قبيل الرّدى منسيّة فغدت

بعد الحمام حديث القوم و السّمرا

تتلو الفتاة عظات في حكايتها

كما يطالع فيها النّاشيء العبرا

قطرة الطلّ

إن تر زهرة ورد فوقها للطلّ قطره

فتأمّلها كلغز غامض تجهل سرّه

و لتكن عينك كفا و ليكن لمسك نظره

ليست الحمراء جمره ، لا و لا البيضاء درّه

***

ربّ روح مثل روحي عافت الدنيا المضرّه

فارتقت في الجوّ تبغي منزلا فوق المجرّه
علّها تحيا قليلا في الفضاء الحرّ حرّه
ذرفتها مقلة الظلماء عند الفجر قطره

الكنار الصامت

نسي الكنار نشيده
فتعال كي ننسى الكنار
و ليقذفنّ به الملال
من القصور إلى القفار
و لترمينّ بريشه
للأرض عاصفة النفار
و لنستعض عنه بطير
من لجين أو نضار
لا ، لا ، فإن سكت الكنا
ر فلم يزل ذاك الكنار
أو كان فارقه الصدا
ح فلم يفارقه الوقار
صمت الكنار ، و إن قسا ،
خير من النغم المعار
صبرا فسوف يعود لل
تغريد إن عاد النهار

إليك عنّي

كم تستثير بي الصبابة و الهوى
عنّي إليك ، فإنّ قلبي من حجر
مالي و للحسناء أغري مهجتي
بوصلها ، و الشيب قد و خط الشعر ؟
كم " بالجزيرة " لو يتاح لي الهوى
من غادة تحكي بطلعتها القمر ؟
و لكم بها من جدول و حديقة
من صنعه الرحمن لا صنع البشر
فيها اللّواتي إن رمت ألحاظها
شلّت يد الرامي و قطّعت الوتر
قد كان لي في كلّ خوذ مطمع

و لكلّ رائعة المحاسن بي وتر

أيّام شعري كالدّجى محلولك ،

أيّام عيشي لا يخالطه كدر

***

ذرني و أشجاني و جسمي ، و الضّنى ،

و يدي ، و أقلامي ، و طرفي ، و السهر

أأبيت ألهو و الهموم تحيط بي

و أنام عن قومي ، و قومي في خطر

صوت المصفّق موعد ما بيننا

ماذا أقول لهم إذا الديك استحر ؟

ما زال في الأرض حبّا

أيّ خطب دها فبات المهجر

مثل حقل مرّت عليه صرصر

ضربت عقد زهرة فتبعثر

و مشت فوق عشبه فتنكر

بعد أن كان عبهريا نديّا

*

قد سمعنا ، يا ليتنا لم نسمع

نبأ زعزع القلوب و ضعضع

فجزعنا ، و حقنا أن نجزع

لفراق الفتى الأديب الألمع

وذرفنا دمعا سخينا سخيّا

*

قد بكينا كما بكى لبنان

و حنّتنا كأرزه الأحزان

ليس بعد الأمين ثمّ مكان

غير مستوحش و لا إنسان

ذو وفاء لم يبك ذاك الوفيّا

*

ألمهيّ قد غاب تحت الرغام

إنّما لم يغب عن الأفهام

فهو باق فينا مدى الأيّام

فعليه تحيتي و سلامي

عاش حرّا ، و مات حرّا أبيّا

*

لم يعفّر جبينه في التراب

لم يوارب في موقف ، لم يحارب

لم يبع قومه من الأغراب

لم يسر في سوى طريق الصواب

لم يكن خائنا و لا إمعيّا

*

عاش في الأرض مثل زهر البنفسج

كلّما زاد فركه يتأرّج

و كنجم في برجه يتوهّج

لا يبالي أحبّه من أدلج

أم أحبّ اللّيل البهيم الدجيّا

*

فابسمي فوق قبره ، يا نجوم

و ترنّم من حوله ، يا نسيم

فالدّفين الذي هناك يقيم

بطل مصلح وروح كريم

و لسان تخاله نبويّا

*

و تنصّت إذا رأيت الأقاحي

جاثيات في هيكل الأرواح

قائلات بلهجة النصّاح

أيّها النّاس ، بعض هذا النذواح

" فأمين " ما زال في الأرض حيّا

التمثال

من المرمر المسنون صاغوا مثاله

و طافوا به من كلّ ناحية زمر

و قالوا – صنعناه لتخليد رسمه ،

فقلت – ألا يفنى كما فنى الأثر ؟

و قالوا – نصبناه اعترافا بفضله ،

فقلت إذن من يعرف الفضل للحجر ؟

و قالوا – غنيّ كان يسخو بماله

فقلت لهم هل كان أسخى من المطر ؟

و قالوا – قويّ عاش يحمي ذمارنا

فقلت لهم كان أقوى من القدر ؟

أكان غنيّا أو قويّا فإنّه

بمالكم استغنى و قوتكم ظفر

فلم يتعشّقكم و لا همتم به

كما خلتم لكنه النّفع و الضرر

و لم ترفعوا التّمثال للبأس و النّدى

و لكن لضعف في نفوسكم استتر

فلستم تحبّون الغنيّ إذا افتقر

و لستم تحبّون القويّ إذا اندحر

رأيتكم لا تعرجون بروضة

إذا لم يكن في الروض فيء و لا ثمر

و لا تعقلون الشاة إلاّ لتسمنوا ،

و لا تقتنون الخيل إلاّ على السفر

إذا كان حبّ الفضل للفضل شأنكم

و لم تخطئوا في الحسن و السّمع و البصر

فما بالكم تكرموا اللّيل و الضّحى

و لم تنصبوا التّمثال للشمس و لاقمر ؟

بلاء أم نعمة

أحبّ معانقة النّرجس

لعينيك يا ابنة كولمبس

و أهوى الشّقيق و لثم العقيق

لخدّك و الثغر الألعس

أعندك إن غبت عن ناظري

مشيت من الصّبح في حندس

و أنّ الظّلام على هوله

إذا جئت حال إلى مشمس

و في الصدر قلبا و لا كالقلوب

متى شئت يسعد أو يتعس

وددت الإفاضة قبل اللّقاء

فلمّا لقيتك لم أنبس

وبتّ و إيّاك في معزل

كأنّي و إيّاك في مجلس

و لو أنّ ما بي بالطّود دكّ

و بالأسد الورد لم يفرس

هممت فأنكرني مقولي

و شاء الغرام فلم أهجس

كأنّي لست أمير الكلام

و لا صاحب المنطق الأنفس

جلالك ؛ و لاليل في صمته

فلا غرو أن رحت كالأخرس

...

و مرّت بنا ساعة خلتنا

خلعنا الجسوم عن الأنفس

و أنّا من الرّوض في جنّة

و أنا من العشب في سندس

كذاك الهوى في النفوس

كفعل المدامة في الأرؤس

تنبّه فيها و فيّ الهوى

فلو نعس النجم لم ننعس

و كلّ فؤاد شديد العرام

إذا رضته بالهوى يسلس

فمالت فطوّقها ساعدي

منعّمة بضّة الملمس

و إنّ العفاف لفي بردها

و إنّ الإباء لفي معطسي

و قلت و كفّي في كفّها

ألا صرّحي لي أو فاهمسي

بلاء هو الحبّ أم نعمة

أجابت : تجلّد و لا تيأس

أما أنا ...

لا تنثني في الرّوض أغصان الشّجر

حتّى تدغدغها النّسائم في السّحر

و أنا كذلك لا يفارقني الضّجر

حتّى تداعب لمّتي بيديها

***

الشّمس تلقى في الصّباح حبالها

و تبيت تنظر في الغدير خيالها

أمّا أنا فإذا وقفت حيالها

أبصرت نور الشمس في خدّيها

***

الطّود يقرأ في السّماء الصّافيه

سفرا ، جميل متنه و الحاشيه

أمّا أنا فإذا فقدت كتابيه

أتلو كتاب الحبّ في عينيها

***

الطّير إن عطشت ولجّ بها الظّما

هبطت إلى الأنهار من علو السّما

أمّا أنا فإذا ظمئت فإنّما

ظمأي الشديد إلى لمى شفتيها

***

الندّ يطلبه الخلائق في الرّبى

بين الورود و في نسيمات الصّبا

أمّا أنا فألذّ من نشر الكبا

عندي ، الذي قد فاح من نهديها

***

الرّاح تصرف ذا العناء عن العنا

و تطير بالصّعلوك في جوّ المنى

فيرى الكوكب تحته ، أمّا أنا

فتظلّ أفكاري تحوم عليها

***

فيها و منها ذلّتي و سقامي

و بها غرامي ، القاتلي ؛ و هيامي

أشتاقها في يقظتي و منامي

و أطول شوق المستهام إليها

الحاجة إلى الخرس

ما كان أحوجني يوما إلى أذن
صمّاء إلاّ عن المحبوب ذي الأنس
كي لا يصدّع رأسي صوت نائحة
و لا تقطّع قلبي أنّه التّعس
و لا يمرّر نفسي الأدعياء و لا
ذمّ الأفاضل من ذي خسّة شرس
أقول هذا عسى حرّ يقول معي
ما كان أحوج بعض النّاس للخرس

سبيل التوحيد

ما كان أحوج سوريّا إلى بطل
يردّ بالسّيف عنها كلّ مفترس
و لا يزال بها و السّيف في يده
حتّى يطهّرها من كلّ ذي دنس
و يجعل الحبّ دين القاطنين بها
دين يقرّب بين " البنت " و القدس
حتى أرى ضارب النّاقوس يطربه
صوت الأذين ، و هذا رنّة الجرس

لو أستطيع

لو أستطيع سكبت رو
حي خمرة في كاسها
حتى إذا حال النوى
بيني و بين كناسها
و تجاهلت أو أنكرت
أمري لدى دلّاسها
أطللت من أجفانها
و جريت مع أنفاسها !

الاشباح الثلاثة

روأني النوم وما برحا
حتى طأطأت له رأسي
أطبقت جفوني فانفتحا
باب الرؤيا والوسواس

أبصرت كأني في موضع
ما فيه غير الأرواح
فوقفت بعيدا أتطلع
فلمحت ثلاثة أشباح
ولد يتهادى في العشر
وفتّى في برد العشرينا
والثالث شيخ في طمر
ذو جسم يحكي العرجونا
وإذا بالأول يقترب
مني كالطائر في الوثب
فشعرت كأني أضطرب
وكأن خطاه على قلبي
يا نفسي ما هذا الفرق؟
لا رمح معه ولا نبل
ولماذا الخشية والقلق
والخلق أحبهم الطفل
وإذا بالطفل يخاطبني
بكلام لا يتكلفه
ويمازحني، ويداعبني،
فكأني شخص يعرفه
((ما بالك منكمشا كمدا؟
قم نلعب في فيّ الشجر
ونهزّ الأغصن والعمدا
ونذود الطير عن الثمر
أو نصنع خيلا من قصب
أو طيّارات من ورق
ومدّى وسوفا من خشب
ونجول ونركض في الطرق
أو نأتي بالفحم القاتم
ونصوّر فوق الأبواب
تنّينا في بحر عائم
أو ليثا يخطر في غاب
أو كلبا يعدو ، أو حملا
يرعى ، أو نهرا، أو هضبه

أو ديكا ينقد، أو رجلا

يمشي ، أو مهرا، أو عربه

أو نجبل ماء وترابا

ونشيد بيوتا وقبابا

أو نجعل منه أنصابا

أو نصنع حلوى وكبابا))

مثّلت الطفل ودنياه

فأحبّت نفسي دنياه

ووددت لو أني إيّاه

بل خلت كأني إيّاه

فضحكت ولجّ بي الضحك

حتى استلقيت على ظهري

فاستيقظ في الولد الشك

فتوقف يعجب من أمري

ويقول: أيا هذا قدكا

فوحقك ذا الطيش الأكبر

ما تضحك مني بل منكا

إيّاك أنا لو تتذكر!

وتوارى عني واحتجبا

كالموجة في عرض النهر

فتضايق قلبي واضطربا

وارتجّت روحي في صدري

2

وإذا الشبح الثاني أقبل

يترّنح مثل المخمور

أالليل على الدنيا مسدل

وعليه وشاح من نور

معصوب المقلة والدرب

وعر وكثير الآفات

كسفين ليس لها ربّ

تجري في بحر الظلمات

ماذا في الأفق ؟فقد وقفا

يتأمل فيه ويبتسم

هل لاح له وجه عرفا

أم هزّ جوارحه نغم؟
أم أبصر آلهة الحب
تدعوه إليها إيماء
لا شيء في الأفق الرحب
وكأن هناك أشياء
ألطير تغني للزهر
ويظنّ الطير تساجله
والزهر ترحّب بالفجر
ويظنّ الزهر تغازله
ونظرت إليه في البّر
يتمنّى لو خاض البحرا
ونظرت إليه في البحر
يتمنى لو بلغ البرّا
يتأفّف من بطء الدهر
والدهر يسير به وثبا
وينام ليحلم بالفجر
والفجر يضيء له الدربا
ويسائل عن كأس الخمر
ويائله عنها الناس
في الليل ، وفي وضح الفجر
والخمرة فيه والكأس
فصيرت ولازمت الصمتا
حتى دانى الظلّ الظلّ
فأشرت إليه: من أنتا ؟
فأجاب: أنا ذاك الطفل
ومضى كالظلّ إذا انتقلا
وأنا أرجو لو لم يمض
فأعدت لنفسي ما ارتجلا
متعجّب بعضي من بعضي

3

ألشمس تزلّ عن الأفق
كالروح المحتضر الساجي
غمرتها أمواج الغسق
فتوارت خلف الأمواج

والغيم الأسود يحتشد

طبقا في الجوّ على طبق

والليل يطول ويطّرد

والأرض كسار في نفق

وإذا شيخ في صحراء

كالزورق في عرض البحر

إعياه الصلح مع الماء

وأضاع الدرب إلى البّر

يمشي في الأرض على مهل

وعلى حذر، لكن يمشي

كالشاة تساق إلى القتل

بعصا جبّار ذي بطش

يا شيخ... لماذا لا تقف؟

دميت رجلاك من الركض

فأجاب بصوت يرتجف

ألأرض تسير على الأرض!

يا شيخ... رويدا فالبد

سيضيء الدرب فتستهدي

فأجاب: ويتلوه الفجر

لكن سيضيء لمن بعدي

أيلذّ لغصن منكسر

عرّته الريح من الورق

أن يبصر في ضوء القمر

ما كان عليه على الطرق؟

ما لذّة ميت في الرمس

بالزّهر الفوّاح العطر

نور لا يشرق في النفس

كغباء في إذن الحجر

ما استخفت عني الأفلاك

والشهب، بل استخفى حبّي

لم تملأ دربي الأشواك

إنّ الأشواك لفي قلبي

يا شيخ: شجاني ما قلتا

وزرعت بنفسي آلامك

من أنت؟ أجاب: أنا أنتا
أنا ذاتك تمشي قدّامك
كم أبحث بين الأجرام
عني وأنقب في الأرض
أحلامي تطمر أحلامي
بعضي مدفون في بعضي
لم أبصر ذاتي بالأمس
في لوح زجاج أو ماء
بل لاحت نفسي في نفسي
فهي الورئيّة والرائي

يا نفس

يا نفس لو كنت ترين الشؤون
كما يراها سائر الناس
لما رماني بعضهم بالجنون
ولم أجد في الناس من باس
بالأمس مرّ الوكب الأكبر
فيه الفتى الراكب والناعل
وأقبلت غيد الحمى تخطر
يهتفن: عاد البطل الباسل
ما لك يا هذه لا تهتفين
لصاحب الدولة والباس؟
فقلت لي ضاحكة تسخرين:
ويلك ! هذا قاتل الناس!
ومجلس دارت به الأكؤس
فشرب القوم ولم تشربي
وامتلأت بالطرب الأنفس
وأنت في صمتك لم تطربي
كأنّما غيّبك الحندس
أو تاهت اللذّات في سبسب
ما لك يا هذه لا تضحكين
للحبب الضاحك في الكاس؟
قالت : نهاني أنّ موج السنين
سيغمر الأقداح والحاسي!

وسرت في الروضة شاع الجمال
فيها، وشاع الحبّ بين الطيور
ألطلّ فيها كدموع الدلال
والشوك فيها كحديث الغرور
مشيت في أرجائها كالخيال
يطوف في الظلماء بين القبور
كأنّما لا ورد في الياسمين
كأنّما لا عطر في الآس
ويحك! لا في عزلتي تطربين
ولا إذا كنت مع الناس
كان زمان كنت تستأنسين
بكلّ وهم خادع كالسراب
حتى إذا أسفر وجه اليقين
رأيته كالوهم شيئا كذاب
دنيا الورى ليل وصبح مبين
وليس في دنياك إلاّ الضباب
ما لاحت الأشجار للناظرين
إلاّ رأيت شبح الفاس!
ولا سمعت الكاس ذات الرنين
إلا سمعت حطمة الكاس!
مسخت في عينّي لوت النهار
لّما لمحت الليل بالمرصد
ومات في إذنّي لحن الهزار
لّما سبقت الصمت للمنشد
فررت باللّذات قبل الفرار
فضاع يومي حائرا في غدي
خالفت مقياس الورى أجمعين
فكيف يرضون بمقياسي؟
ما برح الناس كما تعلمين
ولم أزل فردا من الناس

لم يبق غير الكأس

لم يبق ما يسليك غير الكأس

فاشرب، ودع للناس ما للناس!

ذهب الشباب على الشجون تبثّها

لأخ مؤاس أو لغير مؤاس

وعلى الحياة تحار في أطوارها

وتحار في تعليل كلّ نطاسي

ثم استفقت وليس في روض المنى

إلاّ الصباب وغير شوك الياس

وجلراح نفس ينظر الآسي لها

فيعود محتاجا لآخر آس

ألحسّ مجلبة الكآبة والأسى

قم ننطلق من عالم الإحساس

وأرى السعادة لا وصول لعرشها

إلاّ بأجنحة من الوسواس

فكأنّما هي صورة زيتيّة

للشط فيه مراكب ومراسي

تبدو لعينيك السفائن عوّما

وتكاد تسمع رعشة الأمراس

لكن إذا أدنتها ولمستها

لم تلق غير الصبغ والقرطاس

دنيا مزّيفة ودهر ماذق

ما في انفلاتك منهما من باس

إنّ اللذاذات التي ضيّعتها

رجعت إليك عصارة في الكاس

فاصبغ رؤاك بها تعد ذهبيّة

عطريّة الألوان والأنفاس

واخلق لنفسك بالمدامة جنّة

في الأربع المجورة الأدراس

ألحبّ فيها بلبل وخميلة

وندّى وأضواء على الأغراس

للقصر يخلقه خيالك روعة

كالقصر من جذور ومن آساس

يا أيها الساقي أدر كاساتها

كمشاعل الرهبان في الأغلاس

وانس الهموم فليس يسعد ذاكر

واسق النجوم فإنها جلاّسي

واصرع بها عقل النديم ولبّه

ما نغّص الحاسي كعقل الحاسي

واهجر أحاديث السياسة والألى

يتعلّقون بحبل كلّ سياسي

إني نبذت ثمارها مذ ذقتها

ووجدت طعم الغدر في أضراسي

وغسلت منها راحتي فغسلتها

من سائر الأوضار والأدناس

وتركتها لاثنين: غرّ ساذج

ومشعوذ كذبذب دّساس

يرضى لوطنه يصير مواطنا

وتصير أمتّه إلى أجناس

ويبيعها بدراهم معدودة

ولو انها جاءت من الخنّاس

ما للمنافق من ضمير رادع

أيّ الضمير لحيّة الأجراس؟

ولربّ قائلة تعاتبني على

صمتي وبعض القول حزّ مواسي:

إثنان ما لاقيت أقسى منهما

صمت الدجى والشاعر الحسّاس

فأحبتها: أقسى وأهول منهما

في مسمعي هذا التعاب القاسي

لم تعلمي، والخير أن لا تعلمي،

كم في السكوت فواجعا ومآسي

قالت: أظنك قد نسيت ـ فقلت: لا

ما كنت بالناسي ولا المتناسي

لكنّ جرحا كلّما عالجته

غمر القنوط جوارحي وحواسي

ولو انه في الرأس كنت ضمدته

لكنّه في القلب لا في الراس

إنّ الألى قد كنت أرمى دونهم

غلّوا يديّ وحطّموا أقواسي
واستبدلوا سيفي الجراز بأسيف
خشب وباعوا عسجدي بنحاس
والطلّ غير الماس ، إلا أنهم
خدعوا برقرقة النّدى عن ماسي
وإذا حسبت الروض تغني صورة
عنه فذلك منتهى اللإفلاس
أسد الرّخام وإن حكى في شكله
شكل الغضنفر ليس بالفرّاس
قد كان لي حلم جميل مونق
فأضعته لّما أضعت نعاسي
فكّرت في ما نحن فيه كأمّة
وضربت أخماسي إللى أسداسي
فرجعت أخيب ما يكون مؤمّل
راج وأخسر ما يكون الخاسي
نرجو الخلاص بغاشم من غاشم
لا ينقذ النخّاس من نخّاس
ونقيس ما بين الثريا والثرى
وأمورنا تجري بغير قياس
نغشى بلاد الناس في طلب العلى
وبلادنا متروكة للناس
نكاد نفترش الثرى وبأرضنا
للأجنبّي موائد وكراسي
وتلوح هاجرها على نسيانه
واللائم الناسين أوّل ناسي
ونبيت نفخر بالصورام والقنا
ورقابنا ممدودة للفاس
كم صيحة للدهر في آذاننا
مرّت كما مرّت على أرماس
تفنيك أوجههم وحسن خلاقهم
عن كلّ ورد في الروض وآس
أنا بينهم أسد وجدت عرينتي
أنا بينهم ظبي وجدت كناسي
وطني أحبّ إلّي من كلّ الدّنى

وأعزّ ناس في البرية ناسي

فلتحي سوريا التي نحيا لها

وليحي لبنان الأشم الراس

الخمر والدنيا

يشرب بنت الكرم بعض الناس

لكربة في النفس أو وسواس

وبعضهم لأنه قد ظفرا

وبعضهم لأنه قد خسرا

وبعضهم لأنهفي فرح

وبعضهم لأنه في ترح

وبعضهم كي يتردّ الأمسا

وبعضهم يجرعها كي ينسى

وبعضهم ليستفيد قوّة

وبعضهم لسورة الفتوّة

وبعضهم كيما يحلّ مشكله

وبعضهم لأنه لا شغل له

وبعضهم عن رغبة وعن هوى

وبعضهم لعلّه يرضي السّوى

وبعضهم من حبّه للبائع

وبعضهم نكاية للمانع

وبعضهم يشربها أحيانا

وبعضهم في أيّ وقت كانا

وبعضهم مع صحبة في الدار

وبعضهم في حانة الخمّار

وبعضهم مع زمرة الندمان

وبعضهم في وحدة الرهبان

وبعضهم في الصيف ذي الرمضاء

وبعضهم في زنم الشتاء

وبعضهم عند انجياب الظلمه

وبعضهم عند طلوع النجمه

وبعضهم يذمّها استهجانا

وبعضهم يمدّحها استحسانا

لكنّهم كلّهم يحسوها

ألمادحوها والمقبّحوها
فما وجدت في زماني رجلا
وقلت: هل تحبّها ؟ فقال: لا
وسرّ هذا أنها كالدنيا
تؤذي ولكت مع أذاها تهوى

ضيف ثقيل

أقصّ عليكم ما جرى لي بالأمس
فلي قصص تجلو الهموم عن النفس
إذا قلت قال الدهر أحسنت يا فتى
ولو كان ذا حس لغاب عن الحسّ
فدونكم هذا الحديث فإنّه
ألذّ وأشهى من معاقرة الكأس
جلست إلى طرسي وقد عسعس الدّجى
أسطّر ما توحيه نفسي في طرسي
وليس سوى نور ضئيل بجانبي
يلوح ويخفى كالرّجاء لدى اليأس
وكالنّقع في جوف الدواة أو الدّجى
وكالهندواني بين أنملي الخمس
فصاحة قس أودعت في لسانه
وحكة لقمان ، ويحسب في الخرس
ضعيف الخطى،بادي التحول كأنما
يشدّ إلى قيد، يشدّ إلى حبس
أقلّبه فوق الطروس وإنما
أقلّب فوق الطرس سعدي أو نحسي
فنّبهني طرق على باب غرفتي
وصوت ضعيف وهو أقرب للهمس
نهضت ولكن مثلما ينهض الذي
به نشوة ، أو من يفيق من المسّ
ولما فتحت الباب أبصرت راهبا
ولو كنت طفلا قلت غول من الإنس
فأزعجني مرآة حتى كأنما
رسول الرّدى قد جاء ينعى لي نفسي
فقلت وقاني اللّه شرّك ما الذي

أتى بك، يا مشؤوم ، في ساعة الأنس

أجاب كفيت السوء جئتك طالبا

مديحك لي بين الأعارب والفرس

فقلت وحقّ الشعر مدحك واجب

ومثلي يقضيه على العين والرأس

خبرت بني الدنيا وفتّشت فيهم

فلم تر عيني قطّ أثقل من قسّ

ذكرى وعبدة

عاطيتهافي الكأس مثل رضابها

تسري إلى القلب الجبان فيشجع

يطفو الحباب على أديم كؤوسها

فكأنّ تبرأ باللّجين يرصّع

وكأنما تلك الكؤوس نواظر

تبكي، وهاتيك الفواقع أدمع

مشمولة تغري بصفرتها البخيل

بها فيطمع بالنّضار وتطمع

شمطاء إلاّ أنها محجوبة ،

عذراء إلاّ أنها لا تمنع

ما زلت أسقيها إلى أن أخضعت

منها فؤادا للهوى لا يخضع

فعلت بها مثل الذي فعلت بنا

ألحاظها ، إنّ اللّحاظ لتصرع

لما انتشت ومضى الخفاء لشأنه

باحت إلّي بما تكنّ الأضلع

برح الحياء وأعلنت أسرارها

إنّ الحياء لكلّ خود برقع

فعلت أني قد خدعت بحبّها

زمنا، وكنت أظنني لا أخدع

ما كنت أعلم قبل أن أسكرتها

أنّ الفؤاد بحبّ غيري مولع

فتركتها نشوى تغالب أمرها

والأمر بعد وقوعه لا يدفع

ورجعت عنها واثقا من أنّ ما

قد كان حبّي لها لا يرجع
لبكيت لو أن البكاء أفادني
وندمت لو أنّ الندامة تنفع

من أنا

أنا ، من أنا يا ترى في الوجود؟
وما هو شأني، وما موضعي؟
أنا قطرة لمعت في الضحى
قليلا على ضفة المشرع
سيأتي عليها المساء فتغدو
كأن لم ترقرق ولم تلمع
أنا نغمة وقّعتها الحياة
لمن قد يعي ولمن لا يعي
سيمشي عليها السكوت فتمسي
كأن لم تمرّ على مسمع
أنا شيخ راكض مسرع
مع الزمن الراكض المسرع
سيرخى عليه الستار ويخفي
كأن لم يجدّ ولم يهطع
أنا موجة دفعتها الحياة
إلى أوسع فإلى أوسع
ستنحلّ في الشطّ عمّا قليل
كأن لم تدّفع ولم تدفع
فيا قلب لا تغترر بالشباب ،
ويا نفس بالخلد لا تطمعي
فإنّ الكهولة تمضي كما
تولّى الشباب ولم يرجع
ولكنّ فيها جمالا بديعا
وفيها حنين إلى الأبدع
ومن لا يرى الحسن في ما يراه
فما هو بالرجل الألمعي
بني وطني من أنا في الوجود
وما هو شأني وما موضعي؟
أنا أنتم إن ضحكتم لأمر

ضحكت ، وأدمعكم أدمعي

ومطرب أرواحكم مطربي

وموجع أكبادكم موجعي

أما نحن من مصدر واحد؟

ألسنا جميعا إلى موجع؟

رفعتم مقامي وأعليتموه

لما قد صنعت ولم أصنع

أحقّ بإكرامكم طائر

يغرّد في الرّوض والبلقع

وأولى به كوكب طالع

على سهّد وعلى هجّع

أنا واحد منكم ، يا نجوم

بلادي ، متى تسطعوا أسطع

فمن قام يمدحني بينكم

فقد تمدح الكفّ بالإصبع

وما الغيث غير الخضمّ، وليس

الغدير سوى السحب الهمّع

فلولاكم لم أكن بالخطيب

ولا الشاعر الساحر المبدع

أنا الآن في سكرة لا أعي

فيا ليتني دائما لا أعي

فذي ليلة بجميع الزمان

إذا كان في الدهر من أجمع

فيا أيّها الليل باللّه قف ،

ويا لأيّها الصبح لا تطلع

إذا كنت قد بنت عن مربعي

فإنّي وجدت بكم مربعي

يمينا سأحمل في أضلعي

هواكم ما بقيت أضلعي

وأشكركم بلسان النسائم

والروض والجدول المترع

فلا عذر للطير إمّا رلأى

جمال الربيع ولم يسجع

إذا لم أكن معكم في غد

فإنّي سأمضي وأنتم معي

لو

لو أنني، يا هند، بدر السما

نزلت من أفقي إلى مخدعك

وصرت عقدا لك أو خاتما

في جيدك النصع أو إصبعك

أو بلبل الروض، ما لذّ لي

الانشاد إن لم يكن في مسمعك

ولو أكون الأرج الذاكي

لما هجرت الروض لولاك

وما حواني غير مغناك

ولم أفح حتى تكوني معي

فيك وفي الورد سرّ الصبا

وفي الصبا سرّ الهوى والجمال

فإن تريني واجما باهتا

حيالها أخشى عليها الزّوال

فإنني شاهدت طيف الردى

ينسلّ كالسارق بين الظلال

ولاح لي في الورق النامي

منطرحا في الأرض قدّامي

أشباح آمالي وأحلامي

أحلام من؟ أحلام مضناك

ليتهم عرفوه!

رثى بها صديقه يعقوب روفائيل صاحب مجلة الأخلاق.

- - -

يا نفس قد ذهب الرفيق الألمعي

فتجلّدي لفراقه أو فاجزعي

هذي النهاية ، لا نهاية غيرها،

للحي إن يسرع وإن لم يسرع

للموت من ملك البسيطة كلّها

أو حاز من دنياه بضعة أذرع

فازرع طريقك بالورود وبالسنا

لا يحصد الإنسان إن لم يزرع

واعمل لكي تمضي وتبقى رقة

في مبسم ، أو نغمة في مسمع

أو صورة مثل الربيع جميلة

في خاطر أو ناظر مستمتع

يا صحب يعقوب ، ويا عشراءه

من منكمو أبكي ولا يبكي معي

إنّا تساوينا فبين ضلوعكم

نار ومثل سعيرها في أضلعي

لبنان، هذا من روضك زهرة

ذهبت كأن في الأرض لم تتضوّع

لبنان هذا من سمائك كوكب

غرّبته حتى انطوى في بلقع

لبنان هذا من مروجك قطعة

فيه بشاشة كلّ مرج ممرع

قل للبنفسج في سفوحك والرّبى

ولّي شبيهك في الوداعة فاخشع

وأمر طيورك أن تنوح على فتى

قد كان يهواها وإن لم تسجع

قد عاش مثلك للمروءة والعلى

متعفّفا كالزاهد المتورّع

مترفّعا في قوله وفعاله

عمّن غوى وهوى ولم يترفّع

كم حرّضته النفس في نزواتها

ليكون صاحب حيلة أو مطمع

فأجابها: يا نفس لا تتورّطي

صدأ النفوس هي المطامع فاقتعي

ليس المحارب في الوغى بأشدّ بأسا

من محارب نفسه أو أشجع

يا صاحبي أضنيت جسمك فاسترح

وأطلت ، يا يعقوب، سهدك فاهجع

حدّثت قومك حقبة فتسمّعوا

والآن دور حديثهم فتسّع

هجروا الكلام إلى الدموع لأنّهم
وجدوا البلاغة كلّها في الأدمع
كيف التفتّ وسرت لا ألقى سوى
متوجع يشكو إلى متوجّع
حتى الألى نفشوا عليك سمومهم
حزّ الأسى أكبادهم كالمبضع
عرفوا مكانك بعد ما فارقتهم
يا ليتهم عرفوه قبل المصرع
ولكم تمنّوا لو تعود إليهم
أنت الشباب إذا مضى لم يرجع
حنّوا إلى أرج الأزاهر بعدما
عبثت بها أيدي الرياح الأربع
واستعذبوا الماء المسلسل بعدما
نضب الغدير وجفّ ماء المشرع
يا لوعة الأحباب حين تساءلوا
عنه وعادوا بالجواب الموجع
إن الذي قد كان معكم قد مضى
من موضع أدنى لأرفع موضع
من عالم متكلّف متصنّع
تشقى نفوس فيه لم تتصنّع
للعالم الأسمى الطهور ، ومن مجاورة
الأنام إلى جوار المبدع

ليالي بوسطن

إن أغب، يا صحب، عن ذاك الحمى
لم أزل معكم كما أنتم معي
فإذا الأنجم شعّت في السما
قلت هذي أنت في مجمع
وإذا الشادي بلحن رنّما
خلته أصواتكم في مسمعي
آه لو يغني خيال عن عيان
كان كالمنهل رسم المنهل
ولعاش المرء في دنيا الأماني .
يقطع الدنيا ولم ينتقل

وسلونا عن مكان بمكان

ولألغني آخر عن أوّل

ولنابت عن نجوم نيّرات

صور مطبوعة في الورق

واكتفينا بخرير الساقيات

في الدّجى عن مائها المندفق

يا ليالي ((بوسطن)) هل ترجعين

فأرى صحبي الكرام البرره؟

ويزول الهمّ عن قلبي الحزين

بالوجوه المشرقات النضره

إنه يسألني في كلّ حين

أين تلك الجنّة المحتضره؟

ذهبت، يا قلب ، إلا ذكريات

كبروق ضحكت في الغسق

تأنس العين بها في الظلمات

وهي تفنى في رحاب الأفق

يا ليالي بوسطن ليت الحياة

عدلت فينا فلم نتفرق

العنقاء

أنا ليست بالحسناء أول مولع

هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي

فاقصص علّي إذا عرفت حديثها

واسكن إذا حدّثت عنها واخشع

ألمحتها في صورة ؟أشهدتها

في حالة؟ أرايتها في موضع؟

إني لذو نفس تهيم وإنها

لجميلة فوق الجمال الأبدع

ويزيد في شوقي إليها أنها

كالصّوت لم يسفر ولم يتقنّع

فتّشت جيب الفجر عنها والدّجى

ومددت حتى للكواكب إصبعي

فاذا هما متحيران كالاهما

في عاشق متحير متضعضع

وإذا النجوم لعلمها أو جهلها

مترجرجات في الفضاء الأوسع

رقصت أشعتها على سطح الدجى

وعلى رجاء فيّ غير مشعشع

والبحر... كم سائلته فتضاحكت

أمواجه من صوتي المتقطّع

فرجعت مرتعش الخواطر والمنى

كحمامة محمولة في زعزع

وكأنّ أشباح الدهور تألبت

في الشطّ تضحك كلّها من مرجعي

ولكم دخلت إلى القصور مفتشا

عنها ، وعجت بدراسات الأربع

إن لاح طيف قلت: يا عين انظري،

أو رنّ صوت قلت: يا أذن اسمعي

فإذا الذي في القصر مثلي حائر

وإذا الذي في القفر مثلي لا يعي

قالوا: تورّع ، إنها محجوبة

إلاّ عن المتزهّد المتورّع

فوأدت أفراحي وطلّقت المنى

ونسخت آيات الهوى من أضلعي

وحطمت أقداحي ولما أرتو

وعففت عن زتدي ولما أشبع

وحسبتني أدنو إليها مسرعا

فوجدت أني قد دنوت لمصرعي

ما كان أجهل نصّحي وأضلّني

لما أطعتهم ولم أتمنّع

فكأنني البستان جرّد نفسه

من زهرة المتنوّع المتضوّع

ليحس نور الشمس في ذرّاته

ويقابل النسمات غير مقنّع

فمشى عليه من الخريف سرادق

كالليل خيّم في المكان البلقع

وكأنني العصفور عرّى جسمه

من ريشه المتناسق المتلمّع

ليخفّ محمله، فخرّ إلى الثرى

وسطا عليه النمل غير مروّع

وهجعت أحسب أنها بنت الروءى

فصحوت أسخر بالنيام الهجّع

ليست حبورا كلها دنيا الكرى

كم مؤلم فيها بجانب مفزع

تخفي أمانّي الفتى كهمومه

عنه ، وتحجب ذاته في برقع

ولربما التبست حوادث يومه

بالغابر الماضي وبالمتوقع

يا حبّذا شطط الخيال وإنما

تمحي مشاهده كأن لم تطبع

لما حلمت بها حلمت بزهرة

لا تجتنىء، وبنجمة لم تطلع

ثم انتبهت فلم أجد في مخدعي

إلا ضلالي والفراش ومخدعي

من كان يشرب من جداول وهمه

قطع الحياة بغلة لم تنقع

ذهب الربيع فلم تكن في الجدول

الشادي، ولا الروض الأغنّ الممرع

وأتى الشتاء فلم تكن في غيمه

الباكي، ولا في رعده المتفجع

ولمحت وامضة البروق فخلتها

فيها، فلم تك في البروق اللمّع

صفرت يدي منها وبي طيش الفتى

وأضلني عنها ذكاء الألمعي

حتى إذا نشر القنوط ضبابه

فوقي ، فغيّبني وغيّب موضعي

وتقطّعت أمراس آمالي بها

وهي التي من قبل لم تتقطّع

عصر الأسى روحي فسالت أدمعا

فلمحتها ولمستها في أدمعي

وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى

أنّ التي ضيّعتها كانت معي!

رسم سياسي

وقال يصف رسما سياسيا رآه في ((جريدة النيل)) الأسبوعية

- - -

رسم تعلّم منه ناظري الولعا

كأنّ طرفي قلبي فيه وضعا

يمثل البيض حول الصّين قد وقفوا

وذاك الدّب في (منشوريا)رتعا

مشى به نحوها في نفسه أمل

وراح يمشي إلى ما بعدها جشعا

كالنّار تأكل أكلا ما يصادفها

والسيل يجرف ما يلقاه مندفعا

فقام (بالصّفر) داع من حليفتهم

مليكة الهند أن هبّوا فقد طبعا

قالت أحذركم من يخادعكم

فطالما خدع الإنسان فانخدعا

إني محضتكم نصح الصّديق عسى

خيرا يفيدكم فالنّصح كم نفعا

وغير منتفع بالنصح غير فتى

إذا تحدّث ذو عقل صغى ووعى

سارت إليهم فتاة وانثنت رجلا

وما رأى أحد هذا ولا سمعا

حتّى إذا ما رأيت منشوريا اختنقت

بالقوم ضيقا وخرق الشّرّ متّسعا

كادت تطير سرورا بالنّجاح وقد

كادت على الهند تقضي قبل ذا جزعا

نبّئت أنّ الوغى في الصين دائرة

فما لها صادفت في النيل مرتبعا؟

تعالي

تعالي نتعاطاها كلون التبر أو أسطع

ونسقي النرجس الواشي بقايا الراح في الكاس

فلا يعرف من نحن ولا يبصر ما نصنع

ولا ينقل عند الصّبح نجوانا إلى الناس

تعالي نسرق اللذات ما ساعفنا الدهر

وما دمنا وما دامت لنا في العيش آمال

فإن مرّ بنا الفجر وما أوقظنا الفجر

فما يوقظنا علم، ولا يوقظنا مال

تعالي نطلق الروحين من سجن التقاليد

فهذي زهرة الوادي تذيع العطر في الوادي

وهذا الطير تياه فخور بالأغاريد

فمن ذا عنّف الزهرة أو من وبّخ الشادي؟

أراد الّه أن نعشق لما أوجد الحسنا

وألقى الحبّ في قلبك إذ ألقاه في قلبي

مشيئته... وما كانت مشيئته بلا معنى

فإن أحببت ما ذنبك أو أحببت ما ذنبي؟

دعي اللاحي وما صنّف والقالي وبهتانه

أللجدول أن يجري وللزهرة أن تعبق،

وللأطيار أن تشتاق أيارا وألوانه،

وما للقلب ، وهو القلب، أن يهوى وأن يعشق؟

تعالي ، إنّ ربّ الحب يدعونا إلى الغاب

لكي يمزجنا كالماء والخمرة في كاس

وبغدو النور جلبابك في الغاب وجلبابي

فكم نصغي إلى الناس ونعصي خالق الناس

يريد الحبّ أن نضحك فلنضحك مع الفجر

وأن نركض فلنركض مع الجدول والنهر

وأن نهتف فلنهتف مع البلبل والقمري

فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجري ؟

تعالي ، قبلما تسكت في الروض الشحارير

ويذوي الحور والصفصاف والنرجس والآس

تعالي ، قبلما تطمر أحلامي الأعاصير

فنستيقظ لا فجر، ولاخمر، ولا كاس

الابريق

ألا أيها الابريق ما لك والصلّف

فما أنت بلّور ولا أنت من صدف

وما أت إلاّ كالأباريق كلّها

تراب مهين قد ترقى إلى خزف

أرى لك أنفا شامخا غير أنه

تلقّع أثواب الغبار وما أنف

ومسّته لأيدي الأدنياء فما شكا

ومصّته أفواه الطّغام فما وجف

وفيك اعتزاز ليس للديك مثله

ولست بذي ريش تضاعف كالزغف

ولا لك صوت مثله يصدع الدجى

وتهتف فيه الذكريات إذا هتف

وأنصت أستوحيه شيئا يقوله

كما يسكت الزّوار في معرض التّحف

وبعد ثوان خلت أني سمعته

يثرثر مثل الشيخ أدركه الخرف

فقال:((سقيت الناس)) ، قلت له: أجل

سقيتهم ماء السحاب الذي وكف

ودمع السواقي والعيون الذي جرى،

وماء الينابيع الذي قد صفا وشف

فقال: ليذكر فضلي الماء وليشد

بمدحي، ألم حمله؟ قلت: لك الشرف!

فقال: ألم أحفظه؟ قلت: ظلمته

فلولاه لم تنقل، ولولاك ما وقف!

الكرنفال

أمست ثيابي وكلّها خرق

تشبه روضا ألوانه فرق

من أزرق كالسماء جاوره

أحمر قان كأنّه الشّفق

وأبيض ناصع، وأسود فاحم

، فذاك الضّحى وذا الغسق

كأنّ قوس السّحاب بات على

جسمي رداء، وما أنا الأفق

برد عجيب قد خاطه لبق

فليس بدعا إن حازه لبق

لما تنكرت لم يعد صحبي

يدرون أني الصديق إن رمقوا

لذاك لم يشفقوا على جسدي

من الرّمايا ولو دروا شفقوا

مررت بالحانقين فابتسموا

لما رأوني وكلّهم قلق

لو علموا أنني عدوّهم

أوشك يقضي عليهم الفرق

أرخى الدّجى ذيله ورحت أجرّ

الذيل عجبا وغيري النزق

والجمع حولي يضجّ مبتهجا

كأنّه السيل حين يندفق

تألّبوا كالغمام واتّصلوا

بعض ببعض كأنهم حلق

وانتشروا والدروب واسعة

كالأنجم الزّهر حين تنبثق

أطلقت نفسي من القيود إلى

أن صرت كالسّهم حين ينطلق

وبت والقوم كلّما اجتمعوا

رميتهم (بالبذور) فافترقوا

أسخر منهم لأنمهم سخروا

مني، اختلفا ونحن نتّفق

والحرب بيني وبينهم نشبت

حرب، ولكن سهامها الورق

فلا رماح هناك مشرعة،

ولا سيوف هناك تمتشق

لم أخش غير الحسان ناظرة

أشدّ فعلا من الظّبى الحدق

هذا هو الكرنفال فاستبقوا

إليه فهو السرور يختلق

ضرة جلق

ألقاها في حفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في مونتريال.

- - -

لا تقلقي يوم النوى أو فاقلقي

يا نفس كلّ تجمّع لتفرّق

ألله قدّر أن تمسّ يد الأسى

لأرواحنا كيما ترقّ وترتقي

أوفى على الشهب الدّجى فتألقت

لولا اعتكار الليل لم تتألق

والفحم ليس يضيء إن لم يضطرم

والد ليس يضوع إن لم يحرق

لا أضرب الأمثال مدحا للنوى

ليت الفراق ويومه لم يخلق

ما في الوداع سوى تعلثم ألسن

وذهول أرواح وهمّ مطبق

عنّفت قلبي حين طال خفوقه

فأجاب: بل لمني إذا لم أخفق

أنا طائر قد كان يمرح في الربى

وعلى ضفاف الجدول المترقرق

فطوى القضاء مروجه وفضاء

ليزجّ في قفص الحديد الضيّق

لا، بل أنا ملك صحوت فلم أجد

عرشي ، ولا تاجي، ولا إستبرقي

هانت معاذيري وضاعت حكمتي

لما سمعت حكاية القلب الشقي

لوّ تعدل الدنيا لم ينتثر

شمل نظمناه ولم نتفرّق

للّه مونتريالكم ذات الحلى

ومدينة الطود الأشمّ الأبلق

كم وقفة لي عند شاطىء نهرها

لا أستقي منه، وروحي تستقي

متعلما منه التواضع والنّدى

والصفح عن عبث الجهول الأحمق

أعطى الحقول حياتها ومضى كأن

لم يعطها شيئا ولم يتصدّق

من كان لا يدري فيقظة زرعها

من فضل هذا الهاجع المستغرق

ضيّعت عند الواعظين سعادتي

ووجدتها في واعظ لم ينطق

ملء المدائن والقرى آلاؤه

وهباته ، ويعيش عيش المملق

لولاه لم يخضرّ قاع مجدب

لولاكم شجر المنى لم يورق

عرضت محاسنها الحياة عليكم

فأخذتم بأحبّها والأليق

أنا منكم في روضة معطارة

من مونق فيها اللحاظ لونق

ألعطر يعبق من جميع ورودها

ما أن مررت بزهرة لم تعبق

لله مونتريالكم وجلالها

هي رومة الصغرى وضرّة جلّق

رقت علّي نجومها وتواضعت

حتى لكدت أحسّها في مفرقي

فكأنما هي أنتم وكأنما

أرواحكم من نورها المتدفق

رجع الشباب إلّي حين هبطتها

واليوم أخرج من شبابي الريق

سأطير عنها في غد بحشاشة

مكلومة ، ويناظر مغرورق

ويغيب عنّي طودها وقبابها

وقصورها خلف الفضاء الأزرق

وتظلّ صورتها تلوح لخاطري

بعض الرؤى سلوى وإن لم تصدق

لما ...

عجبا لمن أمسى وكلّ فخاره

بنضارة المخبوء في الصندوق

ماذا يقول إذا اللصوص مضوا به

وأقام بعد نضارة المسروق؟

إن يرفع المال الكريم فإنه

للنذل مثل الحبل للمشنوق

لما صديقي صار من أهل الغنى

أيقنت أني قد أضعت صديقي!..

وداع وشكوى

أزفَ الرّحيل وحان أن نتفرّقا
فإلى اللّقا يا صاحبّي إلى اللّقا
إن تبكيا فلقد بكيت من الأسى
حتى لكدت بأدمعي أن أغرقا
وتسعّرت عند الوداع أضالعي
نارا خشيت بحرّها أن أحرقا
ما زلت أخشى البين قبل وقوعه
حتى غدوت وليس لي أن أفرقا
يوم النوى ، للّه ما أقسى النّوى
لولا النّوى ما أبغضت نفسي البقا
رحنا حيارى صامتين كأنّما
للهول نحذر عنده أن ننطقا
أكبادنا خفّاقة وعيوننا
لا تستطيع ، من البكا، أن ترمقا
نتجاذب النظرات وهي ضعيفة
ونغالب الأنفاس كيلا تزهقا
لو لم نعلّل باللقاء نفوسنا
كادت مع العبرات أن تتدّفقا
يا صاحبي تصبّرا فلربّما
عدنا وعاد الشّمل أبهى رونقا
إن كانت الأيّام لم ترفق بنا
فمن النّهى بنفوسنا أن نرفقا
أنّ الذي قدر القطيعة والنّوى
في وسعه أن يجمع المتفرّقا!..
ولقد ركبت البحر يزأر هائجا
كالليث فارق شبله بل أحنقا
والنفس جازعة ولست ألومها
فالبحر أعظم ما يخاف ويتّقى
فلقد شهدت به حكيما عاقلا
ولقد رأيت به جهولا أخرقا
مستوفز ما شاء أن يلهو بنا
مترّفق ما شاء أن يتفرّقا
تتنازع الأمواج فيه بعضها

بعضا على جهل تنازعنا البقا

بينا يراها الطّرف سورا قائما

فاذا بها حالت فصارت خندقا

والفلك جارية تشقّ عبابه

شقّا، كما تفري رداء أخلقا

تعلو فنحسبها تؤمّ بنا النّسما

ونظنّ. أنّا راكبون محلّقا

حتّى إذا هبطت بنا في لجّة

أيقنت أنّ الموت فينا أحدقا

والأفق قد غطّى الضباب أديمه

فكأنّما غشي المداد المهرقا

لا الشّمس تسطع في الصّباح ، ولا نرى

إمّا استطال اللّيل؛ بدرا مشرقا

عشرون يوما أو تزيد قضيتها

كيف التفتّ رأيت ماء مغدقا

(نيويورك) يا بنت البخار، بنا اقصدي

فلعلّنا بالغرب ننسى المشرقا

وطن أردناه على حبّ العلى

فأبى سوى أن يستكين إلىالشّقا

كالعبد يخشى ، بعدما أفنى الصبى

يلهو به ساداته ، أن يعتقا

أو كلّما جاء الزمان بمصلح

في أهله قالوا. طغى وتزندقا؟

فكأنما لم يكنه ما قد جنوا

وكأنما لم يكفهم أن أخفقا

هذا جزاء ذوي النّهى في أمّة

أخذ الجمود على بينها موثقا

وطن يضيق الحرّ ذرعا عنده

وتراه بالأحرار ذرعا أضيقا

ما إن رأيت به أديبا موسرا

فيما رأيت، ولا جهولا مملقا

مشت الجهالة فيه تسحب ذيلها

تيها، وراح العلم يمشي مطرقا

أمسى وأمسى أهله في حالة

لو أنها تعرو الجماد لأشفقا

شعب كما شاء التخاذل والهوى

متفرّق ويكاد أن يتمزّقا

لا يرتضي دين الآله موفقا

بين القلوب ويرتضيه مفرقا

كلف بأصحاب التعبّد والتّقى

والشرّ ما بين التعبّد والتّقى

مستضعف، إن لم يصب متملقا

يوما تملّق أن يرى متملقا

لم يعتقد باللم وهو حقائق

لكنّه اعتقد التمائم والرّقى!

ولربما كره الجمود وإنما

صعب على الانسان أن يتخلّقا!..

وحكومة ما إن تزحزح أحمقا

عن رأسها حتّى تولّي أحنقا

راحت تناصبنا العداء كأنما

جئنا فريّا أو ركبنا موبقا

وأبت سوى إرهقنا فكأنما

كلّ العدالة عندها أن ترهقا

بينا الأحباب يعبثون بها كما

عبث الصّبا سحرا بأغصان النّقا

(بغداد) في خطر (ومصر) رهينة

وغدا تنال يد المطامع (جلّقا)

ضعفت قوائمها ولما ترعوي

عن غيّها حتى تزول وتمحقا

قيل اعشقوها قلت: لم يبق لنا

معها قلوب كي نحبّ ونعشقا

إن لم تكن ذات البنين شفيقة

هيهات تلقى من بينها مشفقا

أصبحت حيث النّفس لا تخشى أذى

أبدا وحيث الفكر يغدو مطلقا

نفسي اخلدي ودعي الحنين فإنما

جهل بعيد اليوم أن نتشوّقا

هذي هي ((الدّنيا الجديدة)) فانظري

فيها ضياء العلم كيف تألّقا

إني ضمنت لك الحياة شهيّة

في أهلها والعيش أزهر مونقا

عام 1910

أني سكتّ وما عدمت المنطقا

لولا أخوك سبقت فيك الأسبقا

وهززت أوتار القلوب بصامت

يشتاق كلّ مهذب أن ينطقا

فبعث في أفواههم مثل الطلى

ونفشت في أسماعهم شبة الرقى

وألنت قاسي الشعر حتى يبتغي

وشددت منه اللين حتى يتّقي

وجلوت للأبصار كلّ خريدة

عصماء تحسدها النجوم تألّقا

تبدو فتترك كلّ قلب شيّق

خلوا ، وتترك كلّ خال شيّقا

ولى أخوك فما أمضى النوى

ولقد قدمت فما هششت إلى اللقا

أقبلت والدنيا إلّي بغيضة

هلا سبقت إلّي أسباب الشّقا؟!

حنقت بلا سبب علّي وإنّه

سبب جدير عنده أن أحنقا

علقت أخي كفّ المنون وكدت أن

أسعى على آثاره لولا التّقى

ما أشفقت نفسي علّي وإنما

أشفقت أن أبكي الصديق المشفقا

ودّعته كالبدر عند تمامه

والبدر ليس بآمن أن يمحقا

ولقد رجوت له البقاء وإنما

يدنو الحمام لمن يحبّ له البقا

أصبحت مثل النسر قصّ جناحه

فهوى ، ولو سلم الجناح محلّقا

تائي الرجاء فلا أسير موثق

أرجو الفكاك ، ولست حرا مطلقا

ولقد لبست من السّواد شعائرا

حتى خضبت من الحداد المفرقا

وزجرت عيني أن تسرّ بمنظر

ومنعت قلبي بعده أن يخفقا

لا أظلم الأيام فيما قد جنت

لا تأمن الأيام أن تتفرّقا

كن كيف شئت فلست لأسكن للمنى

بعد الحبيب ، ولست أحذر موبقا

علم نسيت سعوده بنحوسه

قد يحجب الليل الهلال المشرقا

لم أنس طاغية الملوك وقد هوى

عن عرشه وأسيره لما ارتقى

والشاه منخلع الحشاشة واجف

أرأيت شاها قطّ أصبح بيدقا؟

ما زال يحتقر الظبى حتّى غدا

لا تذكر الأسياف حتى يصعقا

بتنا إذا التركي ضجّ مهللاً

عبث الهوى بالفارسيّ فصفّقا

ذكرى تحرّك كلّ قلب ساكن

حتّى ليعشق بعدما أن يعشقا

فيم على النيل النحوس ولم يكن

دون الخليج ولا الفرات تدفّقا

إن لم أذّذ عن أرض مصر موفقا

أودى بآمالي الزمان موفقا

ما بآلها تشكو زوال بهائها

وهي التي كانت تزين المشرقا

قد أخلقت كفّ السياسة عهدها

إنّ السياسة لا تراعي موثقا

كذبوا على مصر وصدّق قولهم

والشرّ إن يجد الكذوب مصدّقا

وأبو علينا أننا لا ننتهي

من مأزق حتى نصادف

سلكوا بنا في كلّ ضيّق

حتّى قنطا أن يصيبوا ضيّقا
منعوا الصحافة أن تبثّ شكاتنا
منعوا الكواكب تبين وتشرقا
لو أنصفوا رفعوا القيود فإنّما
يشكو الأسير إما أرهقا
وسعوا إلى سلب القناة فأخفقوا
سعيا، وشاء اللّه أن لا تخفقا
عرض الحساب المستشار ولم يكن
لولا السياسة حاسبا ومدّققا
أيكون غاضبنا ويزعم أنّه
أمسى علينا محسنا متصدّقا
أبني الكنانة لستم أبناءها
حتى تقوا مصر البلاء المطبقا
إن تحفظوها تحفظوا في نسلكم
ذكرا يخلّد في الليالي رونقا

الفراشة المحتضرة

لو كان لي غير قلبي عند مرآك
لما أضاف إلى بلواه بلواك
فيم ارتجاجم هل في الجوّ زلزلة
أم أنت هاربة من وجه فتّاك؟
وكم تدروين حول البيت حائرة
بنت الربى ليس مأوى الناس مأواك
قالوا فراشة حقل لا غناء بها
ما افقر الناس في عيني وأغناك!
سماء غاوية، أطوار شاعرة،
على زهادة عبّاد ونسّاك
طغراء مملكة وشّى حواشيها
من ذوّب الشمس ألوانا ووشّاك
رأيت أحلام أهل الحبّ كلّهم
لّما مثلت أمامي عند شبّاكي
من نائمين على ذلّ وتربة
ومن تجار وأشراف وأملاك
وقصّ شكواك قلبي قصة عجبا

من قبل أن سمعت أذناي شكواك

أليس فيك من العشّاق حيرتهم؟

فكيف لا يفهم العشّاق نجواك؟

حلمت أن زمان الصّيف منصرم

ويلاه! حققت الأيام رؤياك

فقد نعاه إليك الفجر ترتعشا

وليس منعاه إلاّ بعض منعاك

فالزهر في الحقل أشلاء مبعثرة

والطير؟.. لا طائر إلاّ جناحاك

مدّ النهار إليه كفّ مختلس

وفتّح الليل فيه سفّاك

شاء القضاء بأن يشقى فجرّده

من الحلّي وأن تشقي فأبقاك

لم يبق غيرك شيء من محاسنه

ولا من العابدين الحسن إلاّك

تزوّد الناس منه الأنس وانصرفوا

وما نزوّد إلاّ اليأس جفناك

يا روضة في سماء الروض طائرة

وطائرا كالأقاحي ذا شذّى ذاك

مضى مع الصّيف عهد كنت لاهية

على بساط من الأحلام ضحّاك

تمسين عند مجاري الماء نائمة

وللأزاهر والأعشاب مغداك

فكلّما سمعت أذناك ساقيه

حثثت للسفح من شوق مطاياك

وكلّما نوّرت في السفح زنبقة

صفّقت من طرب واهتّز عطفا

فما رشفت سوى عطر ولا انفتحت

إلا على الحسن المحبوب عيناك

وكم لثمت شفاه الورد هائمة

وكم مسحت دموع النرجس الباكي

وكم ترجّحت في مهد الضياء على

توقيع لحن الصبا أو رجعه الحاكي

وكم ركضت فأغريت الصغار ضحى

بالركض في الحقل ملهاهم وملهاك

منّوا بأسرهم إياك أنفسهم

فأصبحوا بتمنّيهم أساراك

جروا قصارهم حتى إذا تعبوا

وقفت ساخرة منهم قصاراك

لولا جناحاك لم تسلم طريدتهم ،

قد نجّياك، ولكن أين منجاك؟

ها أنت كالحقل في نزع وحشرجة

وهت قواك كما استرخى جناحاك

أصبحت للبؤس في مغناك تائهة

كأنه لم يكن بالأمس مغناك

فراشة الحقل ... في روحي كآبته

مما عراه ومما قد تولاّك

أحببته وهو دار تلعبين بها

وسوف تهواه نفسي وهو مثواك

قد بات قلبي في دنيا مشوّشة

منذ التفت إلى آثار دنياك

لا يستقرّ بها إلاّ على وجل

كالطير بين أحابيل وأشراك

خلت أرائك كانت أمس آهلة

غنّاء ، فاليوم لا شاد ولا شاك

أرض خلاء وجوّ غير ذي ألق

بلى، هناك ضباب فوق أشواك

كيف اعتذارك إن قال الآله غدا:

هل الفراشة كانت من ضحاياك؟

يا نغمة تتلاشى كلّما بعدت

إن غبت عن مسمعي ما غاب معناك

ما أقدر اللّه أن يحييك ثانية

مع الربيع كما من قبل سوّاك

فيرجع الحقل يزهو في غلائله

وترجعين وأغشاه فألقاك

روحي فداك

لما رأيت الورد في خدّيك
وشقائق النعمان في شفتيك
وعلى جبينك مثل قطرات النّدى
والنرجس الوسنان في عينيك
ونشقت من فوديك ندّا عاطرا
لما مشت كفّاك في فوديك
ورأيت رأسك بالأقاح متّوجا
والفلّ طاقات على نهديك
وسمعت حولك همس نسمات الصّبا
عند الصباح تهزّ من عطفيك
أيقنت أنك جنة خلابة
فحننت من بعد المشيب إليك
ولذاك قد صبّرت قلبي نحلة
يا جنّتي يحوم عليك
روحي فداؤك إنها لو لم تكن
في راحتك هوت على قدميك...

يا جنتي

ما رأيت الورد في خدّيك
وشقائق النعمان في شفتيك
ونشقت من فوديك ندّا عاطرا
لّما مشت كفّاك في فوديك
ورأيت رأسك بالأقاح متّوجا
والفلّ طاقات على نهديك
وسمعت حولك همس أرواح الصبا
عند الصباح تهنزّ من عطفيك
أيقنت أنّك جنة خلاّبة
فحننت من بعد المشيب إليك
ولذاك قد صبّرت قلبي نحلة
يا جنّتي كيما يحوم عليك

هدية العيد

أيّ شيء في العيد أهدي إليك

يا ملاكي، وكلّ شيء لديك؟

أسوار؟ أم دملجا من نضار؟

لا أحبّ القيود في معصميك

أم خمورا ؟ وليس في الأرض خمر

كالتي تسكبين من لحظيك

أم ورودا؟ والورد أجمله عندي

الذي قد نشقت من خدّيك

أم عقيقا كمهجتي يتلظى؟

والعقيق الثمين في شفتيك

ليس عندي شيء أعزّ من الروح

وروحي مرهونة في يديك

أخت البلجيك

يا لوعة حار النّطاسي فيك

كم يشتكي غيري وكم أخفيك

إن بحت بالشكوى فغاية مجهد

لم تبقى لي كبدا فأستبقيك

أجناية الطّرف الكحيل على الحشا

اللّه حسبي في الدّم المسفوك

ما في الشّرائع لا ولا في أهلها

من يستحلّ الأخذ من جانيك

يا هذه كم تشحدين غراره

أو ما خشيت حدّه يؤذيك

يا أخت ظبي القاع لو أعطيته

لحظيك صاد الصّاديه أخوك

روحي فدى عينيك مهما جارتا

في مهجتي وأبي فداء أبيك

رمتا فكلّ مصمّم ومقوّم

ناب وكلّ مسرّد وحبيك

اللّه في قتلى جفونك إنّهم

ظلموا نفوسهم وما ظلموك

إن تبصريني أتّقي فتكاتها

فلقد أصول على القنا المشبوك

كم تجحدين دمي وقد أبصرته

وردا على خدّيك غير مشوك

ردّي حياتي إنّها في نظرة

أو زورة أو رشفة من فيك

لو تنظرين إلى قتيلك في الدّجى

يرعى كواكبه ويسترعيك

واللّيل من همّ الصّباح وضوئه

حيران حيرة عاشق مهتوك

لعجبت من زور الوشاة وإفكهم

ومن الذي قاسيت في حبيك

حولي إذا أرخى الظّلام سجوفه

ليلان: ليل دجى وليل شكوك

تمتدّ فيه بي الكآبة والأسى

مثل امتداد الحرف بالتّحريك

مالي إذا شئت السّلوّ عن الهوى

وقدرت أن أسلوك لا أسلوك

فكّي إساري إنّ خلفي إمّة

مضنوكة في عالم مضنوك

وأحبّة سدّ القنوط عليهم

والخوف كلّ معبّد مسلوك

لا تسأليني كيف أصبح حالهم

إني أخاف حديثهم يشجيك

باتوا برغمهم كما شاء العدى

لا حزنهم واه ولا بركيك

لا يملكون سوى التّحسّر إنّه

جهد الضّعيف الواجد المفلوك

تترقرق العبرات فوق خدودهم

يا من رأى دررا بغير سلوك

أخذ العزيز الذّلّ من أطراقه

والجوع يأخذ مهجة الصّعلوك

قل للمبذّر في الملاهى ماله

ماذا تركت لذي الأسى المتروك

أيلبيت يشرب من معين دموعه

وتبيت تحسوها كعين الدّيك؟
ويروح في أطماره وتميس في
ثوب لأيام الهناء محوك
إن كنت تأبى تشاركه سوى
نعمى الحياة فأنت غير شريك
يا ضرة البلجيك في أحزانها
تبكيك حتّى أمّة البلجيك
حملت ما يعيي الشّواهق حمله
يا ليت ما حملت في شانيك
سلّ البغاة عليك حمر سيوفهم
لا أنت جانية ولا أهلوك
جنّ القضاء فغال حسنك قبحه
وأذلّ أبناء الطّغام بنيك
لا أشتكي الدّنيا ولا أحداثها
هذي مشيئة ذي المشيئة فيك
لو أملك الأقدار أو تصريفها
لأمرتها فجرت بما يرضيك
ولو انّها تدري وتعقل لانثنت
ترمي بأسهمها الّذي يرميك
إن يفتديك أخو الغنى بنضاره
فبدرهمي وبمهجتي أفديك
ومنازل البؤساء أولى بالنّدى
ولأنت أولاها بمال ذويك
يا أمّة في الغرب ينعم شطرها
رفقا بشطر بائس منهوك
جادت عليكم ، قلبما كنتم، بكم
جودا ببعض العسجد المسبوك!!!

سقوط ارضروم

أعد حديثك عندي أيّها الرّجل
وقل كما قالت الأنباء والرّسل
قد هاج ما نقل الرّاوون بي طربا
ما لأجمل الرّسل في عيني وما نقلوا
فاجمع رواياتهم واملأ بها أذني

حتى تراني كأنّي شارب ثمل

دع زخرف القول فيما أنت ناقله

إنّ المليحة لا يزري بها العطل

فكلّ سمع إذا قلت ((السّلاف)) فم

وكلّ قول، إليهم ينتهي ، عسل

لا تسقني الرّاح إلاّ عند ذكرهم

أو ذكر قائدهم أو ذكر ما فعلوا

هم المساميح يحي الأرض جودهم

إذا تنكّب عنها العراض الهطل

هم المصابيح تستهدي العيون بها

إذا كفهرّ الدّجى واحتارت المقل

هم الغزاة بنو الصّيد الغزاة، بهم

وبطشهم بالأعادي، يضرب المثل

قوم يبيت الضّعيف المستجير بهم

من حوله الجند والعسّالة الذّبل

فما يلم بمن صافاقهم ألم

ولا يدوم لمن عاداهم أمل

تدري العلوج إذا هزّوا صوارمهم

أيّ الدّماء بها في الأرض تنهمل

أيطلب التّرك أن تعلو

أهلّتهم... ... ...

((وللغرندق)) رأي مثل صارمه

يزلّ عن صفحتيه الحادث الجلل

المقبل الصّدر، والأبطال ناكصة

تحت العجاجة لا يبدو لها قبل

والباسم الثّغر ، والأشلاء طائرة

عن جانبيه وحرّ الطّعن متّصل

سعد السّعود على السّؤال طالعه

لكنّه في ميادين الوغى زحل

في كلّ سيف سوى بتّاره فلل

وكلّ رأي سوى آرائه زلل!

يا ابن الملوك الألى قد شاد واحدهم

ما لم تشيّده أملاك ولا دول

وقائد الجيش ما للريح منفرج

فيه ، ولكن لها من حولها زجل

موهّم الترك لّما حان حينهم

أن الألى وتروا آباءهم غفلوا

حتّى طلعت من ((القوقاس)) في لجب

تضيق عنه فجاج الأرض والسّبل

فأدركوا أنّهم ناموا على غرر

وأنّك البدر في الأفلاك تنتقل

يا يوم صبّحتهم والنّقع معتكر

كأنّه اللّيل فوق الأرض منسدل

ليل يسير على ضوء السّيوف به

ويهتدي بالصّليل الفارس البطل

بكلّ أروع ما في قلبه خور

عند الصّدام ، ولا في زنده شلل

وكلّ منجرد في سرجه أسد

في كفّه خذم، في حدّه الأجل

وكلّ راعفة بالموت هادرة

كأنّها الشّاعر المطبوع يرتحل

سوداء تقذف من فوهاتها حمما

هي الصّواعق إلاّ أنّها شعل

لا تحفظ الدّرع منها جسم لا بسها

ولا ينجي الحصون الصّخر والرّمل

فالبيض تأخذ منهم كيفما انفتلت

والذّعر يمعن فيهم كيفما انفتلوا

وكلّما وصلوا ما انبتّ باغتهم

ليث يقطع بالفصّال ما وصلوا

فأسلموا((أرضروما)) لا طواعية

لو كان في وسعهم إمساكها بخلوا

كم حوّطوها وكم شادوا الحصون بها

حتّى طلعت فلا حصن ولا رجل

وفرّ قائدهم لّما عرضت له

كما يفرّ أمام القشعم الحجل

ومن يشكّ بأنّ الوعل منهزم

إذا التقى الأسد الضّرغام والوعل؟

لم يقصر الزّمح عن إدراك مهجته

لكت حمى صدره وقع الظّبى ، الكفل

تعلّم الرّكض حتّى ليس تلحقه

هوج الرّياح ولا خيل ولا إبل

يخال من رعبة الأطواد راكضة

معه وما ركضت قدّامه القلل

ويحسب الأرض قد مادت مناكبها

كذاك يمسخ عبن الخائف الوجل

وبات((أنور)) في ((يلديز)) مختبئا

لأمّه وأبيه الثّكل والهبل

يطير، إن صرّت الأبواب ، طائره

ويصرخ ((الغوث))لا إمّا وسوس القفل

في جفنه أرق ، في نفسه فرق

في جسمه سقم، في عقله دخل

في وجهه صفرة حار الطّبيب بها

ما يصنع الطّبّ فيمن داؤه الخبل؟

لم يبق فيه دم كيما يجمعه

في وجهه ، عند ذكر الخيبة ، الخجل

يطوف في القصر لا يلوي على أحد

كأنّه ناسك في القفر معتزل

لا بهجة الملك تنسيه هواجسه

ولا تروح عنه الأعين النّجل

يزيد وحشته إعراض عوّده

وينكأ الجرح في أحشائه العذل

إذا تمثّل جيش التّرك مندحرا

ضاقت به، مثلما ضاقت بذاء، الحيل

يا كاشف الضّرّ عمن طال صبرهم

على النّوائب ، لا مرّت بك العلل

أطلقتهم من قيود الظّلم فانطلقوا

وكلّهم ألسن تدعو وتبتهل

لو كان ينشر ميتا غير بارئه

نشرت، بعد الرّدى ، أرواح من قتلوا

بغى عليهم علوج التّرك بغيهم

لم يشحذوا للوغى سيفا ولا صقلوا

خانوهم وأذاعوا أنّهم نفر

خانوا البلاد بما قالوا وما عملوا

يا للطّغام ! ويا بهتان ما زعموا

متى أساء إلى المخلب الحمل؟

أجدّكم ، كلّما جوّ خلا، ((أسد))

وجدّكم ، كلّما شبت، وغى، ((ثعل))؟

قد جاء من يمنع الضّعفى ويرغمكم

إن تحملوا عنهم النّير الذي حملوا

أمّنت ((أرمينيا)) مّما تحاذره

فلن تعيث بها الأوغاد والسّفل

ظنّوك في شغل حتّى دهتهم

فأصبحوا ولهم عن ظنّهم شغل

مزّقت جمعهم تمزيق مقتدر

على المهنّد ، بعد اللّه، يتّكلى

فهم شراذم حيرى لا نظام لها

كأنّهم نور الآفاق أو همل

ألسنتهم ثوب عار لا تطهّره

نار الجحيم ولو في حرّها اغتسلوا

((جاويد)) فوق فراش الذّلّ مضطجع

و((طلعت)) برداء الخوف مشتمل

أتستقر جنوب في مضاجعها

وفي مضاجعها الأرزاء والغيل؟

وتعرف الأمن أرواح تروّعها

ثلاثة : أنت والنّيران والأسل؟

لو لم تقاتلهم بالجيش قاتلهم

جيش بغير سلاح إسمه الوهل

أجريت خوف المنايا في عروقهم

فلن يعيش لهم نسل إذا نسلوا

قد مات كهلهم من قبل ميتته

وشاخ ناشئهم من قبل يكتهل

وقد ظفرت بهم والرّأس مشتعل

كما ظفرت بهم والعمر مقتبل

فتح تهلّت الدّنيا به فرحا

فكلّ ربع، خلا ((أستانة)) جذل

الشّعب مبتهج، والعرش مغتبط

وروح جدّك في الفردوس تحتفل!..

في يوبيل شكيب ارسلان

امنحيني، يا نجوم، الألقا

وهبيني، يا زهور ، العبقا

أبعث الشعر إلى الدنيا هوى

وضياء وغناء شيّقا

فإذا خامر نفسا طربت

وإذا يروى لباك صفقا

فمن الشعر لقوم حكمة

ومن الشعر لأقوام رقى

أنا لا أستعذب الشعر إذا

لم أجده روضة أو أفقا

حبّذا ليلتنا من ليلة

يكرم الأحرار حرّا لبقا

شاعر ما أن جرى في حلبة

أبدا إلاّ وكان الأسبقا

كاتب، لا بل سحاب هتن،

كم روى الأرواح خمرا وسقى

قل لمن حاول أن يلحقه

إنّ هذا عارض لن يلحقا

قلم يهمي على أمّته

رحمة إذ تمطر الدنيا شقا

وإذا ما أوذيت أو ظلمت

أمطر الدنيا شواظا محرقا

ودوت زعقاته كابن الشّرى

ريع في عرّيسه أو ضويقا

هو للحقّ إلى أن ينجلي

وعلى الباطل حتى يزهقا

أنفق العمر على خدمتها

آه ما أغلى الذي قد أنفقا

قل لمن أرجف كي يقلقه

في حماه 'نه لن يقلقا

ولمن حاول أن يغضبه

إنه أعلى وأسمى خلقا

أأمير تتقيه دولة

يتوقى كاشحا مختلفا؟

عبد الحميد بعد اعلان الدستور

أبا الشعب إطلع من حجابك يلتقي

بطرفك مثل العارض

جماهير لا يحصى اليراع عديدها

هي الرمل إلا أنه لم ينسق

هو الشعب قد وافاك كالبحر زاخرا

وكالجيش يقفو فيلق إثر فيلق

تطلّع تجده حول قصرك واقفا

يحدّق تحديق المحبّ لوقّق

لقد لبسته الأرض حليا كأنهما

أياديك فيه لم تزل ذات رونق

وألقت عليه الشمس نظرة عاشق

غيور تلقاها بنظرة مشفق

يهش لمرآك الوسيم وإنّما

يهش لمرآى الكوكب المتألّق

ويعشق منك البأس والحلم والنّدى

كذاك من ينظر إلى الحسن يعشق

يكاد به يرقى إليك اشتياقه

فيا عجبا بحر إلى البدر يرتقي

تفرّق عنك المفسدون وطالما

رموا الشعب بالتفريق خوف التفرّق

وكم أقلقوا في الأرض ثمّ تراجعوا

يقولون شعب مقلق أيّ مقلق

وكم زوّروا عنه الأراجيف وادّعوا

وأيّدهم ذيّاكم الزاهد التقي

لمن يرفع الشكوى؟ وقد وقفوا له

على الباب بالمرصاد فاسأله ينطق

وأما ولا واش ولا متجسس

فقد جاء يسعى سعي جذلان شيّق

يطارحك الحبّ الذي أنت أهله

وحسبك منه الحبّ غير مزوّق

وها جيشك الطامي يضجّ مكبرا

بما نال من عهد لديك وموثق

يطأطىء إجلالا لشخصك أرؤسا

يطأطىء إجلالا لها كلّ مفرق

لهام متى تنذر به الدهر يصعق

وإن يتعرّض للحوادث تفرّق

يفاخر بالسّلم الجيوش وإنّه

لأضربها بالسيف في كلّ مأزق

وأشجعها قلبا وأكرمها يدا

إذا قال لم يتّرك مجالا لأحمق

ألا أيها الجيش العظيم ترّفقا

ملكت قلوب الناس بالعرف فاعتق

ويا أيها الملك المقيم(بيلدز)

أرى كلّ قلب سدّة لك فارتق

ألا حبّذا الأجناد غوثا لخائف

ويا حبّذا الأحرار وردا لمستق

ويا حبّذا عيد الجلوس فإنّه

أجلّ الذي ولّى وأجمل ما بقي

الشعر والشعراء

بعيشك هل جزيت عن القوافي

بغير (أجدت) أو (لافضّ فوك)؟

جزاؤك من كريم أو بخيل

رقيقا كان شعرك أو ركيكا

كلام ليس يغني عنك شيئا

إذا لم يقتل الآمان فيكا

وربتما يمنّ عليك قوم

كأنك قد غدوت بهم مليكا

إذا أرسلت قافية شرودا

فقد أيقظت في الناس الشكوكا

وقد تبلى بأحمق يدعيها

فإن تغضب لذلك يدعيكا

حكمة المتنبي

جلست أناجي روح أحمد في الدجى

وللهّم حولي كالظلام سدول

أفكر في الدنيا وأبحث في الورى

وعيني ما بين النجوم تجول

طويلا ، إلى أن نال من خاطري الونى

وران على طرفي الكليل ذبول

فأطرقت أمشي كتابه

بطرفي ، فألفيت السطور تقول

((سوى وجع الحسّاد داو فإنه

إذا حلّ في قلب فليس يحول))

((فل تطمعن من حاسد في مودة

وأن كنت تبديها له وتنيل))

حكاية حال

هجرت القوافي ما بنفسي ملالة

سواي ، إذا اشتدّ الزّمان، ملول

ولكن عدتني أن لأقول حوادث

إذا نزلت بالطود كاد يزول

وبغّضني الأشعار أنّ دعاتها

كثير ، وأنّ الصّادقين قليل

وأنّ الفتى في ذي الرّبوع عقاره

وأمواله والباقيات فضول

سكتّ سكوت الطّير في الرّوض بعدما

ذوى الرّوض واجتاح النّبات ذبول

فما هزّني إلاّ حديث سمعته

عن الغيد كالغيد الحسان جميل

فما أنا في هذي الحكاية شاعر

ولكن كما قال الرّواة أقول

فتّى من سراة النّاس، كلّ جدوده

سريّ، كريم النّبعتين، نبيل

قضى في ابتناء المكرمات زمانه

ينال ويرجوه السّوى فينيل

فدكّ مباني غزّه الدّهر بغتة

وقلّم منه الظّفر فهو كليل
هوى مثلما يهوي إلى الأرض كوكب
كذاك اللّيالي بالأنام تدول
وكان له الدّهر بطش وصولة
فأعوزه، عند البلاء، خليل
تفرّق عنه صحبه فكأنّما
به مرض ، أعيا الأساة ، وبيل
وأنكره من كان يحلف باسمه
كما ينكر الدّين القديم عميل
فأصبح مثل الفلك في البحر ضائعا
يميل مع الأمواج حيث تميل
يكاد يمدّ الكفّ لولا بقيّة
من الصّبر في ذاك الرّداء تجول
زوى نفسه كي لا يرى النّاس ضرّه
فيشمت قال أو يسرّ عذول
بدار... أناخ البؤس فيها ركابه
وجرّت عليها للخراب ذبول
مهدّمة الجدران مثل ضلوعه
بها اليأس ضمت والسّقام يحول
إذ ما تجلّى البدر في الأفق طالعا
رعاه ، إلى أن يعتريه أفول
حبال الأماني عند قوم شعاعه
ولكنّه في مقلتيه نصول
فيا عجبا حتّى النّجوم تضلّه
وفي نورها للمدلجين دليل
وهل تهتدي بالبدر عين قريحة
عليها من الدّمع السّجين سدول؟
غفا الناس، واستولت عليهم سكينة،
فما باله استولى عليه ذهول؟
تأمّل في أحزانه وشقائه
فهان عليه العيش وهو جميل
فمدّ إلى السّكين كفا نقيّة
أبت أن يراها تستغيث بخيل
وقرّبها من صدره ثمّ هزّها

وكاد بها نحو الفؤاد يميل

وإذ شيح يستعجل الخطو نحوه

وصوت لطيف في الظّلام يقول:

رويدك، فالضّنك الذي أنت حامل

متى زال هذا اللّيل سوف يزول

نعم؛ هي إحدى محسنات نسائنا

ألا إنّ أجر المحسنات جزيل

أبت نفسها أن يكحل النّوم جفنها

وجفن المعنّى بالسّهاد كحيل

وأن تتولّى الابتسامات ثغرها

وفي الحي مكلوم الفؤاد عليل

فألقت إليه صرّة وتراجعت

وفي وجهها نور السّرور يجول

فلم تتناقل صنعها ألسن الورى

ولا قرعت في الخافقين طبول

لا أحسنت كي تعلن الصّحف إسمها

فتعلم جارات لها وقبيل

كذا فليواس البائسين ذوو الغنى

وإني لهم بالصّالحات كفيل

فإن القصور الشّاهقات إذا خلت

من البّر والإحسان فهي طلول

وخير دموع الباكيات هي التي

متى دمع البائسين تسيل!

ألا إن شعبا لا تعزّ نساؤه

وإن طار فوق الفرقدين ، ذليل

وكلّ نهار لا يكنّ شموسه

فذلك ليل حالك وطويل

وكلّ سرور غيرهنّ كآبة

وكلّ نشاط غيرهنّ خمول

رثاء

أوى فنور الفرقدين ضئيل

وعلى المنازل رهبة وذهول

خلق الأسى في قلب من جهل الأسى

قول المخبر:مات رافائيل

فمن الجوى بين الضّلوع صواعق

وعلى الخدود من الدّموع سيول

قال الذي وجد الأسى فوق البكا

وبكى الذي لا يستطيع يقول

يا مؤنس الأموات في أرماسها

في الأرض بعدك وحشة وخمول

لا الشّمس سافرة ولا وجه الثرى

حال، ولا ظلّ الحياة ظليل

ما زال هذا الكون بعدك مثله

لكنّ نور الباصرات كليل

نبراسّنا في ليل كلّ ملمّة

اللّيل بعدك حالك وطويل

هبني بيانك ، إنّ عقلي ذاهل

ساه وغرب براعتي مفلول

قدفتّ في عضد القريض وهدّه

هول المصاب، فعقده محلول

مالي أرى الدّنيا كأنّي لا أرى

أحدا كأن العالمين فضول

أبكي إذا مرّ الغناء بمسمعي

فكأنّ شدو الشّاديات عويل

نفسي التي عللّتني بلقائه

اليوم لا أمل ولا تعليل

ذوبي فإنّ العلم ماد عماده

والدّين أغمد سيفه المسلول

هذا مقام لا التّفجّع سبّة

فيه ولا الصّبر الجميل جميل

ما كنت أدري قبل طار نعيّه

أنّ النّفوس من العيون تسيل

ما أحمق الإنسان يسكن للمنى

والموت يخطر حوله ويجول

يهوى الحياة كأنّما هو خالد

أبدا ويعلم أنّه سيزول

ومن العجائب أن تحنّ إلى غد

وغد، وما يأتي به ، مجهول

لا تركننّ إلى الحياة فإنّها

دنيا هلوك للرّجال قتول

سكت الذي راض الكلام وقاده

حتى كأن لسانه مكبول

يا قائل الخطب الحسان كأنّها

لجمالها ، الإلهام والتّنزيل

إن كان ذ1اك الوجه حجّبه الثرى

للنّجم في كبد السّماء أقول

ليس الحمام بناقد لكنّما

قدر العظيم على العظيم دليل

نم تحرس الأملاك قبرك إنّه

فيه الوقار وحوله التّبجيل

فلكم قطعت اللّيل خاف نجمه

متهجّدا، والسّاهرون قليل

مستنزلا عفو الإله عن الورى

حتى كأنّك وحدك المسئول

تبغى اللّذاذات النّفوس وتشتهي

واللّه ما تبغيه والإنجيل

لولا مدارس شدتها وكنائس

ما كان إلاّ الجهل والتّعطيل

أنفقت عمرك في الإله مجاهدا

أجر المجاهد في الآله جزيل

المرأة والمرآة

أقامت لدى مرآتها تتأمّل

على غفلة مّمن يلوم ويعدل

وبين يديها كلّما ينبغي لمن

يصوّر أشباح الورى ويمثّل

من الغيد تقلي كلّ ذات ملاحة

كما بات يقلي صاحب المال مرمل

تغار إذا ما قيل تلك مليحة

يطيب بها للعاشقين التغزّل

فتحمرّ غيظا ثمّ تحمرّ غيرة

كأنّ بها حّمى تجيء وتقفل

وتضمر حقدا للمحدّث لو درى

به ذلك المسكين ما كاد يهزل

أثار عليه حقدها غير عامد

وحقد الغواني صارم لا يفلل

فلو وجدت يوما على الدّهر غادة

لأوشك من غلوائه يتحوّل

فتاة هي الطاووس عجبا وذيلها ،

ولم يك ذيلا ، شعرها المتهدّل

سعت لاحتكار الحسن فيها بأسره

وكم حاولت حسناء ما لا يؤمّل

وتجهل أنّ الحسن ليس بدائم

وإن هو إلاّ زهرة سوف تذبل

وأنّ حكيم القوم يأنف أن يرى

أسير طلاء بعد حين سينصل

وكلّ فتّى يرضى بوجه منمّق

من الناعمات البيض فهو مغفّل

إذا كان حسن الوجه يدعى فضيلة

فإنّ جمال النّفس أسمى وأفضل

ولكنّما أسماء بالغيد تقتدي

وكلّ الغواني فعل أسماء تفعل

فلو أمنت سخط الرّجال وأيقنت

بسخط الغواني أوشكت تترّجل

قد اتخذت مرآتها مرشدا لها

إذا عنّ أمر أو تعرّض مشكل

وما ثمّ من أمر عويص وإنّما

ضعيف النّهى في وهمه السهل معضل

تكتّم عمّن يعقل الأمر سرّها

ولكنّها تفشيه ما ليس يعقل

فلو كانت المرآة تحفظ ظلّها

رأيت بعينيك الذي كنت تجهل

وزاد بها حبّ التبّرج أنّه

حبيبٌ إلى فتيان ذا العصر أوّل

ألمّوا به حتى لقد أشبهوا الدّمى

فما فاتهم،واللّه ، إلا التكحّل

فتى العصر أضحى في تطّريه حجة

تقاتلنا فيها النساء فتقتل

إذا ابتذلت حسناء ثمّ عذلتها

تولّت وقالت كلّكم متبدّل

عصر الشبيبة

القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفلة

التكريمية التي أقامها له صديقه السيد مالك الدرماني في فندق

روزقلت بكالفورنيا.

- - -

يا ليتما رجع الزمان الأول

زمن الشباب الضاحك المتهلل

عهد ترحلت البشاشة إذ مضى

وأتى الأسى فأقام لا يترّحل

ولّى الصبا وتبددت أحلامه

أودى به وبها قضاء حوّل

حصدت أنامله المنى فتساقطت

صرعى ، كما حصد السنابل منجل

فالروح قيثار وهت وتقطعت

أوتاره، والقلب قفر ممحل

والشيب يضحك برقه في لّمتي

هذي الضواحك ، يا فؤادي، أنصل

أشتاق عصرك، يا شبيبة ، مثلما

يشتاق للماء النمير الأبل

إذ كانت الدنيا بعيني هيكلا

فيه إلاهات الجمال ترتل

من كلّ حسناء كأنّ حديثها

السلوى أو الوحي الطهور المزل

وأنا وصحي لا نفكر في غد

فكأنّ ليس غد ولا مستقبل

نلهو ونلعب لا نبالي ضمّنا

كوخ حقير أم حوانا منزل

نتوهّم الدنيا لفرط غرورنا

كملت بنا وبغيرنا لا تكمل

ونخال أن البدر يطلع في الدجى

كيما يسامرنا فلا نتململ

ونظنّ أنّ الروض ينشر عطره

من أجلنا ، ولنا يغنّي البلبل

فكأنّما الأزهار سرب كواعب

وكأنما هو شاعر يتغزّل

في كلّ منظور نراه ملاحة

وسعادة في كلّ ما نتخيّل

لا شيء يزعج في الحياة نفوسنا

لا طارىء ، لا عارض، لا مشكل

فكأننا في عالم غير الذي

تتزاحم الأيدي به والأرجل

وكأننا رهط الكواكب في الفضا

مهما جرى في الأرض لا تتزلزل

ألناس في طلب المعاش وهمّنا

كأس مشعشة وطرف أكحل

كم عنّفونا في الهوى واسترسلوا

لو انهم عزفوا الهوى لم يعذلوا

ولو انهم ذاقوا كما ذقنا الرؤى

شبعت نفوسهم وإن لم يأكلوا

زعموا تبذّلنا ولم يتبذلوا ،

إنّ الحقيقة كلّنا متبذّل

حرموا لذاذات الهيام وفاتنا

درك الحطام ، فأينا هو أجهل؟

إني تأملت الأنام فراعني

كيف الحياة بهم تجدّ وتهزل

لا يضبطون مع الصّروف قيادهم

إلا كما ضبط المياه المنخل

بينا الفتى ملء النواظر والنّهى

فإذا به رقم خفي مهمل

يا صاحبي، والعمر ظل زائل ،

إنّ كنت تأمل فيه أو لا تأمل

ألذكر أثمن ما اقتنيت وتقتني

ولحبّ أنفس ما بذلت وتبذل

قيل اغتنى زيد فليتك مثله

أنا مثله، إن لم أقل ، أنا أفضل

ألشمس لي وله ، ولألاء الضحى

والنّيرات، ومثلما المنسوّل

أما النّضار فإنه ، يا صاحبي

عرض يزول وسلعة تنقل

ما دمت في صحبي ودام وفاؤهم

فأنا الغنّي الحقّ لا المتموّل

أنا لست أعدل بالمناجم واحدا

وأبيع من عقلوا بما لا يعقل

ريح الشمال

سألت: وقد مرّت الشمأل

تنوح وآونه تعول

إلى أيما غاية تركضين ؟

ألا مستقر ؟ ألا موئل؟

وكم تعولين، وكم تصرخين،

كعصفورة راعها الأجدل؟

لقد طرح الغصن أوراقه

من الذعر ، واضطرب الجدول

وضلّ الطريق ألى عشه

فهام على وجهه البلبل

وغطى السّهى وجهه بالغمام

كما يتزوى الخائف الأعزل

وكادت تخرّ الهضاب

وتركض قدّامك الأجبل

أبنت الفضاء أضاق الفضاء

فأنت ألى غيره أميل؟

أغاظك أنّ الدجى لا يزول

وأن الكواكب لا تأفل؟

أتبكين آمالك الضائعات ؟

هل الريح مثل الورى تأمل؟

أيعدو وراءك جيش كثيف؟

أمثلك يرهبه الجحفل؟
وما فيك عضو ولا مفصل
فتقطع أوصلك الأنصل
فجاوبني عاتف في الظلام:
غلطت فما هذه الشمأل
ولكنها أنفس الغابرين
تجوس الديار ولا تنزل
فقلت: أينهض من القبور
وفوقهم الترب والجندل؟
أجاب الصدى ضاحكا ساخرا
إلى كم تحار، وكم تسال؟
وترفع عينيك نحو السماء
وليست تبالي ولا تحفل؟
من البحر تصعدي هذي الغيوث
وتهطل في البحر إذ تهطل
وفي الجوّ إن خفيت نسمة
وفي الأرض إن نضب المنهل
لقد كان في أمس ما قبله
وفي غده يومك المقبل
عجبت لباك على أوّل
وفي الآخر النائح الأول
هم في الشراب الذي نحستي
وهم في الطعام الذي نأكل
وهم في الهواء الذي حولنا
وفي ما نقول وما نفعل
فمن حسب العيش دنيا وأخرى
فذا رجل عقله أحول

هملت

يا نبأ سرّ به مسمعي
حتى تمنّى ؟أنّه النّاقل
أنعيش في المنى مثلما
يحيي الجديب الواكف الهاطل
عرفت منه أنّ ذاك الحمى

بالصيّد من فتياننا آهل

عصابة كالعقد في ((أكرن))

يعتزّ فيها الفضل والفاضل

من كلّ مقدام رجيح النّهى

كالسّيف إذ يصقله الصّاقل

البدر من أزراره طالع

والغيث من راحته هامل

وكلّ طلق الوجه موفوره

في بردتيه سيّد مائل

شيهة الشّرق ؛ انعمي واسلمي

كي تسلم الآمال والآمل

بكم وبالرّاقين أمثالكم

يفتخر العالم والعمل

بعثتم ((هملت)) من رمسه

((فهملت)) بينكم مائل

تمشي ويمشي الطّيف في إثره

كلاهما مّما به ذاهل

لا يضحك السّامع من هزله

كم عظة جاء بها الهازل

رواية يظهر فيها لكم

كيف يداجي الصّادق الخاتل

وتنكث المرآة ميثاقها

وكيف يجزي المجرم القاتل

وإنّما الانسان أخلاقه

لا يستوي النّاقص والكامل

والنّفس كالمرآة إن أهملت

يعلو عليها الصّدأ الآكل

والنّاس أدوار، فذا صاعد

يراود الشّهب وذا نازل

والدّهر حالات ، فيقوم به

نحس، ويوم سعده كامل

فمثلوا الجهل وأضراره

حتّى يعادي جهله الجاهل

ومثّلوا الفضل وآياته

كي يستزيد الرّجل الفاضل

وصوّروا المجد بلألائه

عسى يفيق الهاجع الغافل

ويرجع الشّرق إلى أوجه

كما يعود القمر الآفل

وانبوا إلى الآتين من بعدكم

يبن لمن يخلفه القابل

ما دمتم للحق أنصاره

هيهات أن ينتصر الباطل

لمن الديار؟

لمن الدّيار تنوح فيها الشمأل

ما مات أهلوها ولم يترّحلوا

ماذا عراها، ما دها سكّانها

يا ليت شعري كيلوا أم قتلوا؟

مثلتها فتمثلت في خاطري

دمنا لغير الفكر لا تتمثّل

تمشي الصّبا منها برسم دارس

لا ركز فيه كأنّما هي هوجل

وإذا تأمّل زائر آثارها

شخصت إليه كأنّها تتأمّل

أصبحت أندب أسدها وظباءها

ولطالما أبصرتني أتعزّل

أيّام أمطر في الحمى متهللا

وأرى الدّيار كأنّها تتهلّل

وأروح في ظلّ الشّباب وأغتدي

جذلان لا أشكو ولا أتعلّل

إذ كلّ طير صادح مترنم

إذ كلّ غصن يانع متهدّل

والأرض كاسية رداء أخضرا

فكأنّها ديباجة أو مخمل

يجري بها، فوق الجمان من الحصى

بين الزّبرجد والعقيق ، الجدول

والزّهر في الجنّات فيّاح الشّذا

بندى الصّباح متوّج ومكلّل
والشّمس مشرقة يلوح شعاعها
خلل الغصون، كما تلوح الأنصل
والظّلّ ممدود على جنباتها
والماء مغمور به المخضوضل
للّه كيف تبدّلت آياتها
من كان يحسب أنّها تتبدّل؟..
زحف الجراد بقضّه وقضيضه
سير الغمام إذا زفته الشمأل
حجب السّماء عن النّواظر والثّرى
فكأنّه اللّيل البهيم الأليل
من كلّ طيّار أرقّ جناحه
لفح الحرور وطول ما ينتقل
عجل إلى غاياته مستوفز
أبدا يشدّ العجز منه الكلكل
خشن الاهاب كأنّه في جوشن
وكأنّما في كلّ عضو منجل
وكأنّما حلق الدّروع عيونه
وكأنّهنّ شواخصا تتخيّل
مصقولة صقل الزّجاج يخالها
في معزل عن جسمه ، المستقيل
ومن العجائب مع صفاء أديمها
ما إن ترفّ كأنّما هي جندل
ضيف أخف على الهواء من الهوا
لكنّه في الأرض منها أثقل
ملأ المسارح والمطارح والرّبى
فإذا خطت فعليه تخطو الأرجل
حصد الّذي زرع الشّيوخ لنسلهم
وقضى على القطّان أن يتحوّلوا
ما ثمّ من فنن إلى اوراقه
يأوي ؛إذا اشتد الهجير ، البلبل
وإذا القضاء رمى البلاد ببؤسه
جف السّحاب بها رجف المنهل
وقع الّذي كنّا نخاف وقوعه

فعللى المنازل وحشة لا ترحل

أشتاق لو أدري بحالة أهلها

فإذا عرفت وددت أني أجهل

لم تبق أرجال الدّبى في أرضهم

ما يستظلّ به ولا ما يؤكل

أمست سماوهم بغير كواكب

ولقد تكون كأنّها لا تأفل

يمشون في نور الضّحى وكأنهم

في جنح ليل حالك لا ينصل

فإذا اضمحك النّور واعتكر الدّجى

فالخوف يعلو بالصّدور ويسفل

يتوسّلون إلى الظّلوم وطالما

كان الظّلوم إليهم يتوسّل

أمسى الدّخيل كأنّه ربّ الحمى

وابن البلاد كأنّه متطفّل

يفضي، فهذا في السّجون مغيب

رهن، وهذا بالحديد مكبّل

ويرى الجمال كأنّما هو لايرى

ويرى العيوب كأنّما هو أحول

حال أشدّ على النّفوس من الرّدى

الصّاب شهد عندها والحنظل

مالي أنوح على البلاد كأنّما

في كلّ أرض لي أخ أو منزل

يا ليت كفا أضرمت هذي الوغى

يبست أناملها وشلّ المفصل

تتحوّل الأفلاك عن دورانها

والشّرّ في الإنسان لا يتحوّل

ما زال حتّى هاجها من هاجها

حربا يشيب لها الرّضيع المحول

فالشّرق مر تعد الفرائض جازع

والغرب من وقعاتها متزلزل

والأرض بالجرد الصّواهل والقنا

ملأى تجيش كما تجيش المرجل

والطّود آفات تلوح وتختفي

والسّهل أرصاد تجيء وتقفل

والجوّ بالنّقع المثار ملثّم

والبحر بالسّفن الدّوارع مثقل

في كل منفرج الجوانب جحفل

لجبّ ينازعه عليه جحفل

مات الحنان فكلّ شيء قاتل

وهما القضاء فكلّ عضو مقتل

فمعقّر بثيابه متكفّن

ومجرح بدمائه متسربل

كم ناكص عن مأزق خوف الرّدى

طلع الرّدى من خلفه يتصلصل

شقي الجميع بها وعزّ ثلاثة

ذئب الفلاة ونسرها والأجدل

حامت على الأشلاء في ساخاتها

فرقا تعلّ من الدّماء وتنهل

لهفي على الآباء كيف تطوحوا

لهفي على الشّبان كيف تجندلوا

حرب جناها كلّ عات غاشم

وجنى مرارتها الضّعيف الأعزل

ما للضّعيف مع القوي مكانة

إنّ القويّ هو الأحبّ الأفضل

تتّنصل السّواس من تبعاتها

إنّ البريء الدّيل لا يتنصّل

قد كان قتل النّفس شرّ جريمة

واليوم يقتل كلّ من لا يقتل

والمالكون على الخلائق ، عدلهم

جور، فكيف إذا هم لم يعدلو

كتبوا بمسفوك النّجيع نعوتهم

قول الملوك لهم : جنود بسّل

يا شرّ آفات الزّمان المنقضي

لا جاءنا فيك الزّمان المقبل

الفتى الافضل

(معربة)

- - -

مضى زمن كان فيه الفتى

يباهي بما قومه أثّلوا

ويرفعه في عيون الأنام

ويخفض من قدره المنزل

فلا تقعدن عن طلاب العلى

وتعذل بلادك إذ تعذل

فإنّ الخلائق حتى عداك

متى ما سبقتهم هلّلوا

فثابر بجدّ على نيلها

فليس يخيب الذي يعمل

وكن رجلا ناهضا ينتمي

إلى نفسه عندما يسأل

فلست الثياب التي ترتدي

ولست الأسامي التي تحمل

ولست البلاد التي أنبتتك

ولكنّما أنت ما تفعل

إذا كنت من وطن خامل

وفزت فأنت الفتى الأفضل

1916

كم ، قبل هذا الجيل، ولّى جيل

هيهات ، ليس إلى البقاء سبيل

ضحك الشّباب من الكهول فإغرقوا

واستيقظوا، فإذا الشّباب كهول

نأتي ونمضي والزّمان مخلّد

الصّبح صبح والأصيل أصيل

حرّ وقرّ يبلسان جسومنا

ليت الزّمان ، كما نحول، يحول

إنّ التّحول في الجماد تقلّص

في الحي موت؛ في النّبات ذبول

قف بالمقابر صامتا متأملا

كم غاب فيها صامت وسؤول

وسل الكواكب كم رأت من قبلنا

أمما، وكم شهد النّجوم قبيل

تتبدّل الدّنيا تبدّل أهلها

والله ليس لأمره تبديل

يا طالعا لفت العيون طلوعه

بعد الطّلوع ، وإن جهلت ، أفول

عطفا ورفقا بالقلوب فإنما

حقد القلوب على أخيك طويل

أنظر فوجه الأرض أغير شاحب

واسمع ! فأصوات الرّياح عويل

ومن الحديد صواعق ، ومن العجاج

غمائم، ومن الدّماء سهول

ما كنت أعلم قبلما حمس الوغى

أنّ الضّواري والأنام شكول

يا أرض أوربّا ويا أبناءها

في عنق من هذا الدّم المطلول؟

في كلّ يوم منكم أو عنكم

نبأ تجيء به الرّواة مهول

مزّقتم أقسامكم وعهودكم

ولقد تكون كأنّها التّنزيل

وبعثتم الأطماع فهي جحافل

من خلفهن جحافل وخيول

ونشرتم الأحقاد فهي مدافع

وقذائف وأسنّة ونصول

لو لم تكن أضغانكم أسيافكم

أمسى بها، ممّا تسام، فلول

علّمتم((عزريل)) في هذي الوغى

ما كان يجهل علمه عزريل

إن كان هذا ما يسمى عندكم

علما، فأين الجهل والتّضليل

إن كان هذا ما يسمى عندكم

دنيا فأين الكفر والتّعطيل

عودا إلى عصر البداوة ، إنّه

عصر جميل أن يقال جميل

قابيل، يا جدّ الورى ، نم هانئا

كلّ امرىء في ثوبه قابيل

لا تفخروا بعقولكم ونتاجها

كانت لكم، قبل القتال ، عقول

لا أنتم أنتم ولا أرباضكم

تلك التي فيها الهناء يقيل

لا تطلبوا بالمرهفات ذحولكم

في نيلها بالمرهفات ذحول

إنّ الأنام على اختلاف لغاتهم

وصفاتهم ، لو تذكرون ، قبيل

يا عامنا! هل فيك ثمة مطمع

بالسّلم هذا الشقاء يطول

مرّت عليها حجتّان ولم تزل

تتلو الفصول مشاهد وفصول

لم يعشق النّاس الفناء وإنّما

فوق البصائر والعقول سدول

أنا إن بسمت ، وقد رأيتك مقبلا

فكما يهشّ لعائديه عليل

وإذا سكنت إلى الهموم فمثلما

رضي القيود الموثق المكبول

لا يستوي الرّجلان ، هذا قلبه

خال وهذا قلبه (لجهول)

لا يخدعنّ العارفون نفوسهم

إنّ المخادع نفسه لجهول

في الشّرق قوم لم يسلّوا صارما

والسّيف فوق رؤوسهم مسلول

جهلوا ولم تجهل نفوسهم الأسى

أشقى الأنام العارف المجهول

أكبادهم مقروحة كجفونهم

وزفيرهم بأنينهم موصول

أمّا الرّجاء، وطالما عاشوا به

فالدّمع يشهد أنّه مقتول

واليأس موت غير أن صريعه

يبقى، وأمّا نفسه فتزول
ربّاه، قد بلغ الشّقاء أشدّه
رحماك إنّ الرّاجعين قليل
في الله والوطن العزيز عصابة
نكبوا ، فذا عان وذاك قتيل
لو لم يمت شمم النّفوس بموتهم
ثار الشآم ، لموتهم ، والنّيل
يا نازحين عن الشآم تذكروا
من في الشّآم وما يليه نزول
همّ الممالك في الجهاد ، وهمّكم
قال تسير به الطّروس وقيل
هبّوا؛ اعملوا لبلادكم ولنسلكم
بئس الحياة سكينة وخمول
لا تقبطوا الأيدي فهذا يومكم
شرّ الورى جعد البنان بخيل
وعد الاله المحسنين ببرّه
وكما علمتم ، وعده تنويل

بنت سورية

ليس يدري الهم غير المبتلي
طال جنح اللّيل أو لم يطل
ما لهذا النّجم مثلي في الثّرى
طائر النّوم شديد الوجل
أتراه يتّقي طارئة
أم به أني غريب المنزل؟
كلما طالعت خطبا جللا
جاءني الدّهر بخطب جلل
أشتكى اللّيل ولو ودعتّه
بتّ من همّي بليل أليل
يا بنات الأفق ما للصّبّ من
مسعد في النّاس ؛ هل فيكنّ لي؟
لا عرفتنّ الرّزايا إنّها
شيّبت رأسي ولم أكتهل
سهدت سهدي الدّراري إنّما

شدّ ما بين المعنّى والخلي

ليت شعري ما الذي أعجبها

فهي لا تنفكّ ترنو من عل

أنا لا أغطبها خالدة

ولقد أحسدها لم تعقل

كلّما راجعت أحلام الصبى

قلت يا ليت الصبى لم يزل!..

أيّها القلب الذي في أضلعي

إنّما اللذّة جهلا فاجهل

تجمل((الرّقة)) في العضب فإن

كنت تهواها فكن كالمنصل

هي في الغيد الغواني قوة

وهي ضعف في الفؤادالرّجل

لا يغرّ الحسن ذا الحسن فقد

يصرع البلبل صوت البلبل

تقتل الشاة ولا ذنب لها

هي ، لولا ضعفها ، لم تقتل

إن نكن في الوحش كن الثّرى

أو تكن في الطّير كن كالأجدل

أو تكن في النّاس كن أفواهم

ليست العياء حظّ الوكّل!

ما لقومي لا وهى حبلهم

قنعوا من دوهرهم بالوشل

أنا من أمرهم في شغل

وهم عن أمرهم في شغل

كلّما فكرت في حاضرنا

عافني اليأس عن المستقبل

نحن في الجهل عبيد للهوى

ومع العلم عبيد الدّول

نعشق الشّمس ونخشى حرّها

ما صعدنا وهي لما تنزل

قد مشى الغرب على هام السّهى

ومشينا في الحضيض الأفسل

سجّل العار علينا معشر

سجّلوا المرأة بين الهمل

فهي إمّا سلعة حاملة

سلعا أو آلة في معمل

أرسلوا تزرع الأرض خطا

وتباري كلّ بيت مثل

تتهاداها الموامي والرّبى

فهي كالدّينار بين الأنمل

لا تبالي القيظ يشوي حرّه

لا، ولا تحذر برد الشّمأل

ولها في كلّ باب وقفة

كأمرىء القيس حيال الطلل

تتّقي قول ((اغربي)) خشيتها

قوله القائل ((يا هذي ادخلي))

فهي كالعصفور وافى صاديا

فرأى الصيّاد عند المنهل

كامنا ، فانصاع يدنيه الظّما

ثمّ يقصيه اتّقاء الأجل

ولكم طافت به آملة

وانثنت تقطع خيط الأمل

ولكم مدّت إلى الرفد يدا

خلقت في مثلها للقبل

ما بها ؟ لا كان شرا ما بها

ما لها من أمرها في خبل؟

سائلوها أو سلوا عن حالها،

إن جهلتم، كلّ طفل محول

في سبيل المال أو عشّاقه

تكدح المرأة كدح الابل

ما تراها وهي لا حول لها

تحت عبء فادح كالجبل

شدّت الأمراس في ساعدها

من رأى الأمراس حول الجدول؟

جشّمةها كلّ أمر معضل

وهي لم تخلق لغير المنزل

فإذا فارقت الدّار ضحى

لم تعد إلاّ قبيل الطفل

ألفت ما عوّدوها مثلما

تألف الظّبية طعم الحنظل!

بنت سوريّا التي أبكي بها

همّة اللّيث وروح الحمل

ما أطاعوا فيك أحكام النّهى

لا ولا قول الكتاب المنزل

قد أضاعوك وما ضيّعتهم

فإضاعوا كلّ أم مشبل

هديتي إلى مدارس الشعب بالاسكندرية

ما للهموم الطارقات ومالي

أسهرنني ورقدن عن أوجالي

أمسين ملء جوانحي ما نابني

خطب ولا خطر الغرام ببالي

أهوى وقد عبث المشيب بمفرقي

ليس الغواية للكبير البالي

ما ثم داء يستطار له الكرى

ما ثم غير كآبة وملال

أرعى الشواقب في الظّلام كأنها

زهر الحدائق أو نثير لآلي

وكأنّما شوك القتاد بمضجعي

وكأنّ حشو وسادتي بلبالي

حتى إذا عكفت علّي وساوسي

ونبا الفراش نزعت للتّجوال

فخرجت كالمنشور بعد مماته

وركبت متن اللّيل غير مبال

وذهبت أخترق المسالك مدلجا

وكأنما أطلقت من أغلال

أسعى وما غاية أسعى لها

سعيي إلى أمل من الآمال

فاستوقفتني ضجة في حانة

حبست مقاعدها على الجهّال

حلموا على الصّهباء يرتشفونها

كالطّير حول مصفّق سلسال

في غفلة العذّال في غسق الدّجى

إنّ السعادة غفلة العذّال

نهب الكؤوس عقولهم ونضارهم

نهب المدير الخادع الختّال

أمسى يسوق إليهم آجالهم

وحتوفهم في صورة الجريال

شرّ الشراب الخمر يصبح صبّها

قيد الضّنى ويبيت رهن خبال

يا سالب الأرواح بعض ترفّق

يكفيك أنّك سالب الأموال

لا تدفعنّ تلك النفوس إلى الرّدى

إنّ النفوس وإن صغرن غوالي

وإذا بمخمور يتيه معربدا

خبل به ما ذاك تيه دلال

حيران مضطرب الخطى فكأنما

قد راح يمشي فوق جمر صال

متخمّط في سيره، متأوّد

كالغصن بين صبا وبين شمال

عقد الشراب لسانه ولقد يرى

طلقا وفك مجامع الأوصال

فكبا كما يكبوا الجواد على الثرى

شدّت عليه فوادح الأثقال

وتقدّم الشّرطي يمشي نحوه

مشي الفخور بنفسه المختال

متلفتّا عن جانبيه كعاشق

متلفّت حذر الرقيب القالي

ورأيته وبنانه في جيبه

فعلمت سرّ تلفّت المحتال

لا تعجبوا مما أحدثكم به

كم تحت ذاك الثوب من نشّال

ثمّ انثنى متبسّما وإذا فتى

غضّ الإرهاب ممزّق السّربال

وافى فحرّكه فألقى جثة

همدت فأجفل أيّما إجفال

وحتى عليه يضمّه ودموعه

تنهلّ مثل العارض الهطّال

وأتى ذويه نعيه فتألّبوا

والغيد تعول أيّما إعوال

أرخصن ماء الجفن ثمّ أذلته

ولقد يكون الدّمع غير مذال

ولقد شهدت صغاره في حيرة

من أمرهم، لهفي على الأشبال

لا يفقهون الحزن غير تأوّه

ما الحزن غير تأوه الأطفال

ما كنت أعلم قبلما حفوا به

أنّ الشقيّ الجدّ ربّ عيال

أسفي عليه مضرّجا لم تمتشق

يده الحسام ولم يسر لقتال

أودى ضحية جهله كم بائس

أودى شهيد الجهل والاهمال

فرجعت مصدوع الفؤاد أبثكم

شجوي وأندب حاله العمّال

باتوا من الأرزاء بين مخالب

من دونهن مخالب الرئبال

خطران من جهل وفقر ماالردى

غير اجتماع الجهل ولاقلال

فخذوا بناصرهم فإنّ حياتهم

في مأزق حرج من الأهوال

ما أجدر الّجهلاء أن يتعلّموا

فالعلم مصدر هيبة وجلال

فاسعوا لنشر العلم فيهم إنّما

فضل الغمام يبين في الامحال

إنّ الجهول إذا تعلّم واهتدى

بثّ الهدى في صحبه والآل

يا قوم إن لم تسعفوا فقراءكم

فلم ادّخاركم إذن للمال

هلاّ رضيتم بالمحامد قنية

إنّ المحامد قنية المفضال

أو لستم أبناء من سارت بهم

في المكرمات روائع الأمثال

جودا فغير الحمد غير ملّد

ما المال إنّ المال طيف خيال

هيهات ما يبقى ولو عدد الحصى

أنّى يدوم وربه لزوال

الكأسان

كان على خوان ربّ المال

كأسان : من خمر ومن زلال

هاتيك في الحمرة مثل العندم

وتلك في بياضها كالدّرهم

فقالت السّلاقة الثرثاره

عندي حديث فاسمعي يا جاره

أنا التي تخضع لي الرّؤوس

أنا التي يعبدني المجوس

كم قائد أضحكت منه جنده

وسيّد حكمت فيه عبده!

وملك أسقطت عنه التّاجا

وساكن هيجنه فهاجا

وزوجة علّمتها الخيانه

ووالد أنسيته الأمانه

وحدث خدعته فانخدعا

حتّى إذا شبّ عضّ الإصبعا

إنّ الغنى والصّيت والذّكاء

متى أرد صيّرتها هباء

فسمع الماء فهاج غضبا

وقال: مهلا ، بلغ السّيل الزّبى

إن تفخري، يا جارتي، بالشّرّ

فإنّ بالفعل الجميل فخري

أنا الذي تغسل بي الكلوم

ويرتوي الظّامىء والمحموم

يحبّني المالك والمملوك

والسيّد المطاع والصّعلوك
حيث أكون جاريا يكون
الورد والأقاح والنّسرين
إنّ المروج الخضر لا يحييها
غير وجودي حولها وفيها
كم سرت في الوادي وفي الغدير
على شبيه الدّر والكافور
وجلس العشّاق حولي في السّحر
عللى بساط العشب في ضوء القمر
كم اشتهوا، إذ سمعوا خريري،
لو أنّني أسير في الصّدور
أنا الذي لولاه مات النّاس
والطّير والأسماك والأغراس
يا خمر كم ذا تدّعين الفضلا
وبالمياه تقتلين قتلا
وأمّك الكرمة يا صهباء
ما وجدت في الأرض لولا الماء!

المجنون

أطار عني النوم صوت في الدجى
كأنه دمدمة الشّلال
يصرخ، والريح تردّد الصدى
في أذن الفضاء والتلال
يا ليل هنيهة قبالي
تر البرايا وأر الليالي
أنا الشادي ، أنا الباكي،
أنا العاري، أنا الكاسي
أنا الخمرة والدنّ،
أنا الساقي، أنا الحاسي
خلعت ثوبا لم تفصّله يدي
وهمت في الوادي بلا سربال
وخلتني انطلقت من سلاسلي
وخلصت ذاتي من الأوحال
فلم أزل أرسف في أغلالي

ولم أزل في حندس المحال
فما أبكي من الغربة
عن جار وعن خدن
فقد يرجع جيراني
وتبقى غربتي عني
عرفت في النهار كل مقبل
ومدبر، وما عرفت حالي
واستترت عني السهول والربى
تحت الدجى ، والبحر ذو الأهوال
لكنما لم تستتر__ آمالي
عني ولا نقصي ولا كمالي
ولا ضعفي، ولا عزمي ،
ولا قبحي، ولا حسني
فكم أهرب من نفسي
وما لي مهرب مني
فقلت من هذا ؟ فقال صحبي
موسوس يهذي من الخيال
يأوي إلى الأدغال في نهاره
كأنه جزء من الأدغال
وفي الدجى له صراخ عال
كأنه والليل في نضال
كأن الليل يوثقه
بأغالا وأمراس
ويضرب جسمه العاري
بسوط الظالم القاسي
ما أن رآه أحد إلاّ رآه
شاخص الطرف إلى الأعالي
كأنما يرقب ركبا صاعدا
أو هابطا وليس غير الآل
كأنما يخشى على الهلال
وسائر الشهب من الزوال
فصاح الصوت : ما أرجوه
في نفسي وما أحذر
فهما رحب الأفق

فنفسي الأفق الأكبر
ليس جلال الليل ما أدهشني
وإنما أدهشني جلالي
ولا جمال الشهب ما حيّرني
وإنما حيّرني جمالي
إن كان بي شوق إلى وصال
فإنّما شوقي إلى خيالي
توشّحت الضحى والليل
في أنسي وفي حزني
فما زاد الدجى خوفي
ولا زاد الضحى أمني
لم هاجر الناس فأصناف الورى
من السلاطين إلى الموالي
إلى ذوي العلم ، إلى أهل الغنى
من واصل وهاجر وسال
وحاضر وسابق وتال
في قبضتي ((اليمنى)) بلا جدال
تلاقى الأحمق الجاهل
والعالم في كفي
ومن كان له إلف
ومن كان بلا إلف
وفي يدي ((الشمال)) أشكال المنى
وصور اليقين والضلال
وكلّ ما لعاقل أو جاهل
من لذة أو ألم قتّال
وسائر الأمور والأحوال
وكلّ شيء قال شخص : ذا لي
وكان الليل قد أزمع
أن يحدو مطاياه
فساد الصمت في الوادي
كأن الموت يغشاه
فسرت والفجر دليلي باحثا
في الغاب والسفوح والتلال
فلم أجد غير صريع هامد

منطرح في جانب الشّلال
((لا شيء)) في قبضته الشمال
وليس في اليمنى سوى ((صلصال))

تأملات

ليت الذي خلق الحياة جميلة
لم يسدل الأستار فوق جمالها
بل ليته سلب العقول فلم يكن
أحد يعلّل نفسه بمنالها
لله كم تغري الفتى بوصالها
وتضنّ حتى في الكرى بوصالها
تدنيه من أبوابها بيمينها
وتردّه عن خدرها بشمالها
كم قلت هذا الأمر بعض صوابها
فوجدته بالخير بعض محالها
ولكم خدعت بآلها وذمته
ورجعت أظمأ ما أكون لآلها
قد كنت أحسبني أمنت ضلالها
فإذا الذي خمّنت كلّ ضلالها
إنّ النفوس تغرّها آمالها
وتظلّ عاكفة على آمالها
حتى رأيت الشمس تلقي نورها
في الأرض فوق سهولها وجبالها
ورأيت أحقر ما بناه عنكب
متلففا ومطوّقا بحبالها
مثل الفصور العاليات قبابها
ألشامخات على الذّرى بقلالها
فعلمت أنّ النفس تخطر في الحلى
والوشى مثل النفس في أسمالها
ليست حياتك غير ما صوّرتها
أنت الحياة بصمتها ومقالها
ولقد نظرت إلى الحمائم في الربى
فعجبت من حال الأنام وحمالها
للشوك حظّ الورد من تغريدها

وسريكه من بعد إعرالها
تشدو وصائدها يمدّ لها الردى
فاعجب لمحسنه إلى مغنالها
فغبطتها في أمنها وسلامها
ووددت لو أعطيت راحة بالها
وجعلت مذهبها لنفسي مذهبا
ونسجت أخلاقي على منوالها
من لجّ في ضيمي تركت سماءه
تبكي علّي بشمسها وهلالها
وهجرت روضته فأصبح وردها
لليأس كالأشواك في أذغالها
وزجرت نفسي أن تميل كنفسه
عن كوثر الدنيا إلى أوحالها
نسيانك الجاني المسيء فضيلة
وخمود نارجدّ في إشعالها
فاربأ بنفسك والحياة قصيرة
أن تجعل الأضغا ن من أحمالها
زمن الشباب رحلت غير مذّمم
وتركت للحسرات قلبي الوالها
دّبت عقاربها إليه تنوشه
ورمت بقاياه إلى أصلالها
لم يبق من لذّاته ألاّ الرؤى
ومن الصبابة غير طيف خيالها
ومن الكؤوس سوى صدى رنّاتها
والراح غير خمارها وخيالها
يا جنّة عوجلت عن أثمارها
ولذاذة عربت من سربالها
ما عليها شيء سوى اضمحلالها
والذنب للأقدار في اضمحلالها
ومليحة في وجهها ألق الضحى
والسحر والصهباء
قالت: أينسى النازحون بلادهم ؟
ما هاج حزن القلب غير سؤالها
الأرض ، سوريّا، أحبّ ربوعها

عندي ، ولبنان أعزّ جبالها

والناس أكرمهم عليّ عشيرها

روحي الفداء لرهطها ولآلها!

والشهب أسطعها التي في أفقها

ليس الجلال الحقّ غير جلالها

وأحبّ غيث ما همى في أرضها

حتى الحيا الباكي على أطلالها

مرح الصّبا الجذلان في أسحارها

ومنى الصّبا الولهان في آصالها

إني لأعرف ريحها من غيرها

بنوافح الأشذاء في أذيالها

تلك المنازل كم خطرت بساحها

في ظلّ ضيغمها وعطف غزالها

وشذوت مع أطيارها ، وسهرت مع

أقمارها، ورقصت مع شلاّلها

وسجدت للإلهام مع صفصافها

وضحكت للأحلام مع وزّالها

وملأت عقلي حديث شيوخها

وأخذت شعري من لغى أطفالها

تشتاق عيني قبل يغمضها الردى

لو أنها اكتحلت ولو برمالها

مرّت بي الأعوام تقفو بعضها

وثب القطا تعدو إلى آجالها

وتعاقبت صور الجمال فلم يدم

في خاطري منها سوى تمثالها

ابن الليل

أشرف البدر على الغابة في إحدى الليالي

فرأى الثعلب يمشي خلة بين الدوالي

كلما لاح خيال ، خاف من ذاك الخيال

واقشعرّا

ورأى ليثا مسورا واقفا عند الغدير

كلما استشعر حسا ملأ الوادي زئير

فإذا بالماء يجري خائفا عند الصخور

مكفهرّا

ورأى البدر ابن آوى يتهادى في الفضاء

كمليك حوله الشهب جنود وإما

قال: لو كنت رفيق البدر ، أو بدر السماء

أو خياله

عشت حرا جيرتي الشهب ولي الظلماء مركب

لآمنا، ألعب بالبرق وطورا بي يلعب

لا أبالي سطوة الراعي ولا الكلب المجرّب

وصياله

غير أن الليث لما أبصر البدر الضحوكا

قال: يا ابن اليل مهما أشتهى لا أشتهيكا

أنت وضّاح ولكن قاحل لا صيد فيكا

أو حيالك

لك هذا الأفق ، لكن هو أيضا للكواكب

إنما لو كنت ليثا ذا نيوب ومخالب

لم تعث في وجهك الوضّاح ألحاظ الثعالب

صن جمالك

عبد من أغاني الزنوج في أميركا

فوق الجميّزة سنجاب

والأرنب تمرح في الحقل

وأنا صيّاد وثّاب

لكن الصيد على مثلي

محظور إذ أنّي عبد

والديك الأبيض في القنّ

يختال كيوسف في الحسن

وأنا أتمنّى لو أنّي

أصطاد الديك ولكنّي

لا أقدر إذ أنّي عبد

وفتاتي في تلك الدار

سوداء الطلعة كالقار

سيجيء ويأخذها جاري

يا ويحي من هذا العار

أفلا يكفي أنّي عبد؟

في السفينة

تسير بنا عجل

وإن شاءت على مهل

وتسعى سعي مشتاق

بلا قلب ولا عقل

وتمشي في عباب الماء

مشي الصّل في الرّمل

فما تعبس للحزن

ولا تضحك للسهل

أبت تعرف الشّكوى

من التّرحال والحلّ

فطورا في قرار اليمّ

للغامض تستجلي

وآونة تناجيها

دراري الأفق بالوصل

وأحيانا تواني سيرها

ساكنة الظّلّ

وللموج حواليها

زئير اللّيث ذي الشّبل

ركبناها ونار الشّوق

في أحشائها تغلي

فيا للّه حتّى السّفن

مثلي ما لها مسل

فلا تعجب إذا أعجب

من أطوارها مثلي

فما أعرف مركوبا

سوى الأفراس والإبل

وما أعلم قبل الآن

أنّ الطّود ناق لي

تركنا ((غادة الشّرق))

إلى ((لبنان))ذي الفضل

فمن وطن إلى وطن

ومن أهل إلى أهل

مداعبة

نبّئت أنك تعشق التمثيلا

عشقا يمثّل في حشاك فصولا

وتكاد من فرط الصبابة والجوى

أن تهجر المشروب والمأكولا

عللّت نفسك بالمحال فأصبحت

في غمرة وغدوت أنت عليلا

والنفس تقنع بالقيل فحبّذا

لو أنت صيّرت القيل السولا

تأبى المراسح أن تنيلك ودّها

إنّ المراسح لا تحبّ ثقيلا

تلك المنازل

تلك المنازل ... كيف حال مقيمها

إنّا قنعنا بعدها ....برسومها

تمشي على صور الطيور لحاظنا

نشوى ، كمن يصغى إلى ترنيمها

و نكاد نعشق في الأزاهير الدمى

أزهارها ، و نحسّ نفخ شميمها

نشتاقها ، في بؤسنا و نعيمنا

و نحبّها ، في بؤسها و نعيمها

لولا الخيال يعين أنفسنا لمّا

سكنت ، و لم يهدأ صراخ كلومها

و لكان شهد الأرض في أفواهنا

و هو اللّذيذ أمرّ من زقمها

يا حاملا في نفسه و حديثه

أحلام أرزتها و لطف نسيمها

حدّث بنيها شيخهم و فتاهمو

عن ليث غابتها و ظبي صريمها

خبّرهم أنّ الكواكب لم تزل

تحنو على العشّاق بين كرومها

ما زال بلبلها يغنّي للربى

و السّحر تنفثه لواحظ ريمها

و الريح تلتقط الشّذى و تذيعه

من شيحها طورا و من قيصومها
و هضابها يلبسن عسجد شمسها
حينا ، و أحيانا لجين نجومها
و الفجر يرقص في السهول و في الذرى
متمهّلا فتهشّ بعد وجوهما
إن بدّلت منها التخوم فإنّها
ما بدّلت و الله غير تخومها
حدّثهم عن ليلها و نجومها
و عن الهوى في ليلها و نجومها
و عن الشّطوط الحالمات بعوده
للغائبين ، و رجعة لنعيمها
و عن الروابي الشاخصات إلى السما
ألعالقات رؤوسها بغيومها
فكأنّها سحب هوت من حالق
ورست على وجه الثرى بهمومها
و عن الحياة جميلها و قبيحها ،
و عن النفوس صحيحها و سقيمها
و عن الألى ملكوا فلم يتورّعوا
عن سلب أعزلها و ظلم يتيمها
و عن الثعابين التي في أرضها ،
و عن الذئاب العصل خلف تخومها
ألجاهليّة ، آه من أصنامها
بوركت ، يا من جدّ في تحطيمها
و الطائفيّة أنت أوّل معول
في سورها ، ثابرعلى تهديمها
حتّى تعود وواحد أقنومها
و يحلّ روح الله في أقنومها
قل للشبيبة أن تبين وجودها
و تعزّ أنفسها بهون جسومها
كم ذا تشعّ و لا تضيء علومها
سرج الظلام إذن جليل علومها
يا واحد منها يحمّل نفسه
آلام عانيها وليل سليمها

إن أكرمتك نفوسنا في ليلة

فلكم قضيت العمر في تكريمها

ستعود دنيانا أحب وأجملا

أنس حين مشت إلّي

لما رأتني باسما متهللا

قالت _ أتطرب والمنايا حوّم

في الأرض كيف رمت أصابت مقتلا؟

أنظر ، فقد خلت البيوت من الشباب

ولا جمال لمنزل منهم خلا

فسألتها _ أو ليس من أجمل العلى

وهنائنا خاضوا الوغى ؟ قالت _ بلى

يا هذه ، أإذا بكيت لبعدهم

يتبسمون ؟ أجابت الحسناء_ لا

كفّي الملام إذن فما أنا جاهل

ما تعلمين، وكيف لي أن أجهلا

لكن بعثت الفكر في آثارهم

في البحر ، في الأجواء ، في عرض الفلا

فرأيت نور المجد فوق بنودهم

ورأيتهم يمشون من نصرإلى...

سدّوا على الباغي المسالك كلّها

فالموت إن ولى وإن هو أقبلا

فإذا شممت اليوم رائحة الدماء

وطالعت عيناك آثار البلى

فاستبشري ، فغدا إذا التقع انجلى

ستعود دنيانا أحبّ وأجملا

قنبلة الفناء

إذا سحقت أرضنا القنبلة

كما يسحق الحجر الخردله

وقوّض مفعولها الراسيات

فصارت غبارا له جلجه

ودبّ الفنا في ذوات الجناح

وغلغل في النّبت فاستاصله

وفي الماشيات وفي الزاحفات

عليها إلى آخر السلسه

فلا زهر يأرج في روضة

ولا ديك يصدح في مزبله

وضاع الزمان ومقياسه

وأشبه آخره أوله

ولم يبق حيّ على سطحها

وأصبح عزريل لا شغل له

فذلك خطب يهول النفوس

تصوره قبل أن تحمله

ولكنّ أمرا يعزي الجميع

إذا سحقت أرضنا القنبلة

فلن يدع الموت حيا

يلوم سواه على هذه المقتله!

فتح اورشليم

للّه ما أحلى البشير وقوله

سقط الهلال إلى الحضيض ودالا

بشرى نسينا كلّ شيء قبلها

النّاس والدّولات والأجيالا

ردّت على الشّيخ المسنّ شبابه

وعلى الحزين اليائس الآمالا

وعلى الصّديق صديقه ، وعليهما

أبويهما؛ وعلى الأب الأطفالا

لو سلوم الخلق الّذي وافى بها

بذلوا له الأرواح والأموالا

من مبلغ الأبطال عني أنّني

أهوى القروم الصّيد والأبطالا

بالأمس قطّعت الجزيرة قيدها

ورمت بوجه الغاشم الأغلالا

واليوم ودّعت المظالم أختها

ومشيت تجر ذبولها إدلالا

أبنات أورشليم ضمّخن الثّرى

بالطّيب واملأن الدّروب جمالا

حتّى يمرّ الفاتحون فإنّهم

كشوا الأذى عنكنّ والإذلالا

فاخلعن أثواب الكآبة والأسى

وألبسن من نور الضّحى سربالا

وانفخن بالبسمات كلّ سيمذع

خاض العجاج ووجهه يتلالا

هذا مجال للفتى أن يزدهي

فيه ، وللحسناء أن تختالا

يا قائد الصّيد الغطارفة الألى

تحنى الرؤوس ، لذكرهم ، إخلالا

ظنّ المغول جنودهم تحميهم

والقرد يحسنه أبوه غزالا

فتألبوا وتهدّدوا وتوّعدوا

حتّى طلعت فأجفلوا إجفالا

ذعر الطّيور سطا عليهم باشق

وبنات آوى أبصرت رئبالا

كم حجفل بعثوا إليك مع الدّجى

لاقاه جيشك ، والصّباح ، فزالا

طاردتهم فوق الجبال وتحتها

كالليث يطرد دونه الأوعالا

فملأت هاتيك الأباطح والرّبى

بجسومهم وملأتهم أهوالا

وحميت إلاّ السّهد عن أجفانهم

ومنعت إلاّ عنهم الأوجالا

ساقوا إليك مئتهم وألوفهم

فرقا وسقت إليهم الآجالا

وصنعت من أسيافهم ودروعهم

لرقابهم وزنودهم أغلالا

لو لم تساقطهم إليك جبالهم

عند الضحى زلزلتها زلزالا

إن يأمنوا وجدوا المنايا يمنة

أو يأسروا وجدوا الجيوش شمالا

وشكت خيولك في اليادين الوجى

فجعلت أرؤسهم لهنّ نعالا

ورأوك قد عرّضت صدرك للظّبى

عند الحصون فعرّضوا الأكفالا

هنّئت بالنّصر المبين فإنه

نصر يعزّ على سواك منالا

هذي القلوب نسجتها لك أحرفا

لو أستطيع صنعتها تمثالا

أرضيت موسى والمسيح وأحمدا

والنّاس أجمع والإله تعالى

كتابي

وسائلة: أيّ المذاهب مذهبي

وهل كان فرعا في الديانات أم أصلا

وأيّ نبيّ مرسل أقتدي به

وأيّ كتاب منزل عندي الأغلى؟

فقلت لها : لا يقتني المرء مذهبا،

وإن جلّ ، إلاّ كان في عنقه غلاّ

فما مذهب الإنسان إلاّ زجاجة

تقيّده خمرا وتضبطه خلاّ

فإن كان قبحا لم يبدّله لونها

جمالا، ولا نبلا إذا لم يكن نبلا

أنا آدميّ كان يحسب أنه

هو الكائن الأسمى وشرعته الفضلى

وأنّ له الدنيا التي هو بعضها

وأنّ له الأخرى إذا صام أو صلّى

أمنّ على الصّادي إذا ما سقيته

وألزمه شكري، ولست أنا الوبلا

وأزهى إذا أطمعت جوعان لقمة

كأني خلقت الحبّ والحقل والحقلا

تتلمذت لإنسان في الدّهر حقبة

فلقّنني غيّا، وعلّمني جهلا

نهاني عن قتل النّفوس وعندما

رأى غرّة منّي تعلّم بي القتلا!

ودّم إلّي الرقّ ثم استرقّني

وصوّر ظلما فيه تمجيده عدلا

وكاد يريني الإثم في كلّ ما أرى

وكلّ نظام غير ما سنّ مختلا

فصار الورى عندي عدوّا وصاحبا

وأنقسم صنفين علياء أو سفلى

وصرت أرى بغضا ، وصرت أرى هوى،

وصرت أرى عبدا ، وصرت أرى مولى

ويا ربّ شرّ خلته الخير كلّه

ويا ربّ خير خلته نكبة جلّى

إلى أن رأيت النجم يطلع في الدجى

لذي مقلة حسرى وذي مقلة جذل

وشاهدت كيف النهر يبذل ماءه

فلا يبتغي شكرا ولا يدّعي فضلا

وكيف يزين الطلّ وردا وعوسجا

وكيف يروّي العارض الوعر والسهلا

وكيف تغذّي الأرض ألأم نبتها

وأقبحه شكلا كأحسنه شكلا

فأصبح رأبي في الحياة كرأيها

وأصبحت لي دين سوى مذهبي قبلا

وصار نبيّ كلّ ما يطلق العقلا

وصار كتابي الكون لا صحف تتلى

فديني كدين الرّوض يعبق بالشذى

ولو لم يكن فيه سوى اللص منسلا

فليست تخوم المالكيه تخومه

وإنّ له إن يعلموا غيرهم أهلا

فكم هشّ للأنسام والنور والندى

وآوى إليه الطير والذرّ والنملا

وكم بعثته للحياة من البلى

قريحة فنّان فأورق واخضلاّ

وأصبح يجلى ((طيفه)) في قصيدة

وفي رقعة أو لوحة ((وهو)) لا يجلى

وديني الذي اختار الغدير لنفسه

ويا حسن ما اختار اغدير وما أحلى!

تجيء إليه الطير عطشى فترتوي

وإن وردنه الإبل لم يزجر الإبلا

ويغتسل الذئب الأثيم بمسائه

فلا إثم ذا يمحي ، ولا طهر ذا يبلى!

وديني كدين الشّهب تبدو لعاشق

وقال، وفيها ما يحبّ وما يقلى

فما استترت كيما يضلّ مسافر

ولا بزغت كي يستنير الذي ضلاّ

وليس لها أن تمنع الناس ضوءها

ولو فتلوا منه لتكبيلها حبلا

وديني كدين الغيث إن سحّ لم يبل

أروى الأقاحي أم سقى الشوك والدّفلى

فلم يتخّير في الفضاء مسيره،

ولم ينهمر جودا ، ولم ينحبس بخلا

وإن لم أكن كالروض والنجم والحيا

فحسبي اعتقادي أنّ خطّتها المثلى

يرى النحل غيري اذ يرى النحل حائما

وأبصر قرص الشهد اذ أبصر النحلا

وألمح واحات من النخل في النوى

اذا حرف الإعصار من واحتي النخلا

وان أشرب الصهباء أعلم أنني

شربت بشاشات الزمان الذي ولّى

وما همسته الريح في أذن الثرى

وما ذرفت في الليل نجمته الشكلى

وغصّات من ماتوا على اليأس في الهوى

فيا شاربيها هل لمحتم دم القتلى؟

وان مرّ طفل رأيت به الورى

من المثل الأدنى الى المثل الأعلى

فيا لك دنيا حسنها بعض قبحها

ويالك كونا قد حوى بعضه الكلاّ

الشباب والحب

الشباب والحب

بكيت الصّبا من قبل أن يذهب

فيا ليت شعري ما تقول اذا ولّى؟

وهّمته يبقى اذا أنت صنته

عن الشفة الحمراء والمقلة الكحلا

وخلت الهوى جهلا فلم يكن الهدى

أخيرا سوى ا؟لأمر الذي خلته جهلا

خشيت عليه أن يطوحه الهوى

فألقاك هذا الخوف في الهوّة السفلى

أتلجم ماء النهر عن جريانه

مخاقة أن يفنى؟ اذن ، فاشرب الوحلا

سبيلى الصّبا مهما حرصت على الصبا

فدعه يذوق الحبّ من قبل أن يبلى

فما ديمة صبّت على الصخر ماءها

فما أنبتت زهرا ولا أطلعت بقلا

بأضيع من برد الشباب على امرىء

اذا استطعمته النفس أطعمها العذلا

فلا تك مثل الأقحوانة راعها

من الحقل أنّ تجنى فلم تكن الحقلا

وأعجبها الوادي فلاذت بقاعه

فجاء عليها السيل في الليل واستتلى

فما عانقت نور الكواكب في الدّجى

ولا لثمت فجرا ولا رشفت طلاّ

وزالت فلم يستشعر النور والندى

على فقدها غما كأن لم تكن قبلا

ولا تك كالصدّاح اذ خال أنه

اذا اذدخر الألحان أكسبها نبلا

فضنّ بها والشمس تنثر تبرها

وفضّتها والأرض ضاحكة جذلى

فلّما مضى نور الربيع عن الربى

ودبّ الى أزهارها الموت منسلاّ

تحفّز كي يشدو فلم يلق حوله

سوى الورق الهاوي كأحلامه القتلى

فلسفة الحياة

أيّهذا الشّاكي وما بك داء

كيف تغدو اذا غدوت عليلا؟

انّ شرّ الجناة في الأرض نفس

تتوقّى، قبل الرّحيل ، الرّحيلا

وترى الشّوك في الورود ، وتعمى

أن ترى فوقها النّدى إكليلا

هو عبء على الحياة ثقيل

من يظنّ الحياة عبئا ثقيلا

والذي نفسه بغير جمال

لا يرى في الوجود شيئا جميلا

ليس أشقى مّمن يرى العيش مرا

ويظنّ اللّذات فيه فضولا

أحكم النّاس في الحياة أناس

علّلوها فأحسنوا التّعليلا

فتمتّع بالصّبح ما دمت فيه

لا تخف أن يزول حتى يزولا

وإذا ما أظلّ رأسك همّ

قصّر البحث فيه كيلا يطولا

أدركت كنهها طيور الرّوابي

فمن العار أن تظل جهولا

ما تراها_ والحقل ملك سواها

تخذت فيه مسرحا ومقيلا

تتغنّى، والصّقر قد ملك الجوّ

عليها ، ولصائدون السّبيلا

تتغنّى، وقد رأيت بعضها يؤخذ

حيّا والبعض يقضي قتيلا

تتغنّى ، وعمرها بعض عام

أفتبكي وقد تعيش طويلا؟

فهي فوق الغصون في الفجر تتلو

سور الوجد والهوى ترتيلا

وهي طورا على الثرى واقعات

تلقط الحبّ أو تجرّ الذيولا

كلّما أمسك الغصون سكون

صفّقت الغصون حتى تميلا

فاذا ذهّب الأصيل الرّوابي

وقفت فوقها تناجي الأصيلا

فأطلب اللّهو مثلما تطلب الأطيار

عند الهجير ظلاّ ظليلا

وتعلّم حبّ الطّليعة منها

واترك القال للورى والقيلا

فالذي يتّقي العواذل يلقى

كلّ حين في كلّ شخص عذولا

أنت للأرض أولا وأخيرا

كنت ملكا أو كنت عبدا ذليلا

لا خلود تحت السّماء لحيّ

فلماذا تراود المستحيلا ؟..

كلّ نجم إلى الأقوال ولكنّ

آفة النّجم أن يخاف الأقولا

غاية الورد في الرّياض ذبول

كن حكيما واسبق إليه الذبولا

وإذا ما وجدت في الأرض ظلاّ

فتفيّأ به إلى أن يحولا

وتوقع ، إذا السّماء اكفهرّت

مطرا في السّهول

قل لقوم يستنزفون المآقي

هل شفيتم مع البكاء غليلا؟

ما أتينا إلى الحياة لنشقى

فأريحوا ، أهل العقول، العقولا

كلّ من يجمع الهموم عليه

أخذته الهموم أخذا وبيلا

كن هزارا في عشّه يتغنّى

ومع الكبل لا يبالي الكبولا

لا غرابا يطارد الدّود في الأرض

ويوما في اللّيل يبكي الطّلولا

كن غديرا يسير في الأرض رقراقا

فيسقي من جانبيه الحقولا

تستحم النّجوم فيه ويلقى

كلّ شخص وكلّ شيء مثيلا

لا وعاء يقيّد الماء حتى

تستحل المياه فيه وحولا

كن مع الفجر نسمة توسع الأزهار

شمّا وتارة تقبيلا

لا سموما من السّوافي اللّواتي

تملأ الأرض في الظّلام عويلا

ومع اللّيل كوكبا يؤنس الغابات

والنّهر والرّبى والسّهولا

لا دجى يكره العوالم والنّاس

فيلقي على الجميع سدولا

أيّهذا الشّاكي وما بك داء

كن جميلا تر الوجود جميلا

وردة وأميل

يا ليتما خلق الزمان أميلا

إني أراه كالشّباب جميلا

ولّى، فودّعت السماء بهاءها

من بعده ،هوى النّهار عليلا

جنحت ذكاء إلى الغروب كأنما

تبغي رقادا أو تريد مقيلا

وتناثرت قطع السحاب كأنها

الجيش الملّهام إذا انثنى مفلولا

هذا وقد بسط السكون جناحه

والليل أمسى ستره مسدولا

قد بات كلّ مسهّد طوع الرّقاد،

وكلّ جفن بالكرى مكحولا

إلا مهفهفة بها نزل الهوى

ضعيفا ولكن لا يريد رحيلا

غيداء قد وصلت ذوائبها الثّرى

أني لأحسد ذلك الموصولا

تحكي المدامة رقة وقساوة

تحكي المهاة لواحظا وتليلا

ماء الحياء يجول في وجناتها

فكأنّ في تلك الكؤوس شمولا

والخدّ أبهج ما يكون موردا

والطرف أفتن ما يكون كحيلا

نظرت وربّ منية من نظرة

قد كان عنها ربّها مشغولا

فهوت وربّ هوى تنال به تامنى

وهوى ينال به الحمام نبيلا

والحبّ مصدره العيون وربّما

تخذ السماع إلى القلوب سيلا

فإذا عشقت فلا تلم أحدا سوى

عينيك ، إنّ من العيون قتولا

ودّت وقد نال الذّبول خدودها

لو أن في الشّوق المقيم ذبولا

وإذا تملكت الصّبابة في امرىء

لم بجد عذل العاذلين فتيلا

سمعت دويا في الظّلام فهرولت

مذعورا بعد الوقوف طويلا

وأنين مختضر يقول قتلتني

ثكلتك أمّك لم أنل مأمولا

تعدو وتجذبها روادفها إلى

خلف فتجهد خضرها المتبولا

فكأنّ في ذاك الوشاح متيما

وكأنّ في ذاك الإزار عذولا

تخذت من اللّيل المخّيم صاحبا

ومن الأنين إلى الأنين دليلا

تبغي الوّقوف على حقيقة أمره ،

تبغي حليلا لا تراه جليلا

وتدير في تلك البنان مسدّسا

تركت قذائفه السهام فضولا

في طرفه كمن الهلاك فلو رنا

طرف الزّمان إليه عاد كليلا

قد أسكنت أكر الرّصاص جفونه

فكأنّ أكبادا تجنّ غليلا

يحمي الضعيف من القوي وربّما

قتل الجبان به الفتى البهلولا

ومن الأسى لم تعرف الحسنار هل

قطعت ذراعا في السّرى أم ميلا

حتى إذا رأيت المراد وما رأت

إلا خيالا واقفا مجهولا

حسبته قاتل من تحبّ وأيقنت

أنّ الذي علقت به المقتولا

فدنت وأطلقت المسدّس نحو من

بصرت به عرضا فخرّ قتيلا

صرعت فتى صرع الرّقيب وجندلت

أسدا يخرّ له الهزير ذليلا

كالبدر حسنا ، كالغمام سماحة،

كالغصن غضّا، كالحسام صقيلا

ثبت الجنان قويّة، عف الإزارنقيّه ،

ما خان قطّ خليلا

هذا هو الذّنف الذي أرضى الهوى

فيها، وأغضب كاشحا وعذولا

ما نال بعد جهاده إلا الرّدى

والبدر يكسيه المسير أفولا

لم تعلم الحسناء أنّ قتيلها

من لم تر أبدا سواء جميلا

عرفت وذلك عندما طلع الضّحى

ورأت عيانا نعشه محمولا

لم يبلغوا القبر المعدّ لدفتيه

إلا وقد بلغ الرّدى العطبولا

يا صاحبي إن جزت في قبريهما

فاتل السّلام عليهما ترتيلا

من شاعر ما حرّك الغصن الهوا

إلا تذّكر وردة وإميلا

كم تشتكي

(قالها في مهرجان بردجفيل)

- - -

كم تشتكي و تقول إنّك معدم

و الأرض ملكك و السماو الأنجم ؟

و لك الحقول وزهرها و أريجها

و نسيمها و البلبل المترنّم

و الماء حولك فضّة رقراقة

و الشمس فوقك عسجد يتضرّم

و النور يبني في السّفوح و في الذّرى

دورا مزخرفة و حينا يهدم

فكأنّه الفنّا عابثا

آياته قدّام من يتعلّم

و كأنّه لصفائه و سنائه

تعوم به الطّيور الحوّم

هشّت لك الدّنيا فما لك واجما ؟

و تبسّمت فعلام لا تتبسّم

إن كنت مكتئبا لعزّ قد مضى

هيهات يرجعه إليك تندّم

أو كنت تشفق من حلول مصيبة

هيهات يمنع أن تحلّ تجهّم

أو كنت جاوزت الشّباب فلا تقل

شاخ الزّمان فإنّه لا يهرم

أنظر فما تطلّ من الثّرى

صور تكاد لحسنها تتكلّم

ما بين أشجار كأنّ غصونها

أيد تصفّق تارة و تسلّم

و عيون ماء دافقات في الثّرى

تشفي السقيم كأنّما هي زمزم

و مسارح فتنن النسيم جمالها

فسرى يدندن تارة و يهمهم

فكأنّه صبّ بباب حبيبة

متوسّل ، مستعطف ، مسترحم

و الجدول الجذلان يضحك لاهيا

و النرجس الولهان مغف يحلم

و على الصعيد ملاءه من سندس

و على الهضاب لكلّ حسن ميسم

فهنا مكان بالأريج معطّر

و هناك طود بالشّعاع مهمّم

صور و أيات تفيض بشاشة

حتّى كأنّ الله فيها يبسم

فامش بعقلك فوقها متفهّما

إنّ الملاحة ملك من يتفهّم

أتزور روحك جنّة فتفوقها

كيما تزورك بالظنون جهنّم ؟

و ترى الحقيقة هيكلا متجسّدا

فتعافها لوساوس تتوهّم

يا من يحنّ إلى غد في يومه

قد بعث ما تدري بما لا تعلم

...

قم بادر اللّذّات فواتها

ما كلّ يوم مثل هذا موسم

واشراب بسرّ حصن سرّ شبابه

وارو أحاديث المروءة عنهم

المعرضين عن الخنا ، فإذا علا

صوت يقول : " إلى المكارم " أقدموا

الفاعلين الخير لا لطماعة

في مغنم ، إنّ الجميل المغنّم

أنت الغنيّ إذا ظفرت بصاحب

منهم و عندك للعواطف منجم

رفعوا لديهم لواء عاليا

و لهم لواء في العروبة معلم

إن حاز بعض النّاس سهما في العلى

فلهم ضروب لا تعدّ و أسهم

لا فضل لي إن رحت أعلن فضلهم

بقصائدي ، إنّ الضحى لا يكتم

لكنّني أخشى مقالة قائل

هذا الذي يثني عليهم منهم

أحبابنا ما أجمل الدنيا بكم

لا تقبح الدّنيا و فيها أنت

بين الكأس و الطاس

حمل الشّمس إلينا قمر

في سماء نحن فيها أنجم

شادن حكّمه الحسن بنا

و سوى الحسن بنا لا يحكم

أسبل الشّعر فيا عيني اسهري

إنّه ليل طويل مظلم

و احذري يا مهجتي منه فما

ذلك الأسود إلاّ أرقم

كاد أن يشبه جسمي خضرة

إنّما رقّته بي سقم

يتلظّى الخال في وجنته

أرأيتم كيف يصلى المغرم ؟

صنم في خدّه النّار و في

كفّه ضرّتها تضرم

بنت كرم لم يهم فيها سوى

كلّ صبّ هام فيه الكرم

حبست في دنّها من قدم

ما لها ذنب و لكن ظلموا

حرّموها حينما خافوا عليه

ما سواهم فاسقني ما حرّموا

أنّها سرّ فشا بين الورى

و إذا السّر فشا لا يكتم

الماهدون في المهجر

ألا و بعون لو أنّها تتكلّم

لروت لنا قصص للعظام عنكم

و لحدّثتنا عن أعشاشكم

طرتم بأجنحة المنى إذ طرتم

يوم الفراق كظمتم آلامكم

و أخفّ من ألم الفراق جهنّم

و بكى الأحبّة حولكم و جفونكم

تعصى البكا ؛ حزن الجبابر أبكم

أيد تودّع موطنا و عشيرة

و مطامح خلف البحار تسلّم

ضاقت على أحلامهم تلك القرى

فاخترتم الدنيا الوساع لتحلموا

و غزوتم الآفاق لا زاد لكم

إلاّ الصّبا المتوثب المتضرّم

كاللّيث ليس سلاح في السّرى

مخالبه التي لا تلثم

تتخيّلون البحر شقّ لتعبروا

و انداح بين الشّاطئين لتسلموا

و الدّرّ مخبوءا لكم في قاعة

كي تخرجوه و تغنموا ما شئتم

و الموج ُذ يطغى و يهدر حولكم

جوقا لطرد هومكم يترنّم

و إذا النجموم تألّقت تحت الدجى

خلتم لأجلكم تضيء الأنجم

و حسبتم شمّ الجبال سلالما

نصبت لكم كي تصعدوا فصعدتم

و الشمس منجم عسجد متكشّف

لذوي الطموح و أنتم أنتم هم

و لكم تلثمت الحقائق بالرؤى

كالأرض يغشاها السراب الموهم

لتطلّ من أرواحنا أشواقها

فنطوف حول خدورها و نحوّم

لم تقنعوا كالخاملين بأنّكم

لكم شراب في الحياة و مطعم

لو أن تكون حياتكم كحياتهم

عبثا يموت به الوقار و يعدم

و تأففا في اللّيل و هو منوّر

و تبرّماا في الصّبح و هو تبسّم

لو أن يكون ترثكم كتراثهم

قصر عفا أو هيكل متردّم

و حديث أسلاف قد التحفوا الفنا

فهم سواء فقي القياس و جرهم

من يقترب من أمس يبعد عن غد

و يعش مع الموتى و يصبح منهم !

و كرهتم أن تنقضي أيامكم

شكوى لمن يرثي و من لا يرحم

أو أن يبيت على احضيض مقامكم

و الدود يزحف فوقه و الأرقم

فنفرتم كالنحل ، ما من زهرة

فيها جنى ، إلاّ و فيها مغنم

في كلّ شطّ مارد ، في كلّ طود

قشعم ، في كلّ واد ضيغم

المجد مطلبكم و أنتم سهّد

و المجد حلمكم و أنتم نوّم

لا شيء صعب عندكم حتى الردى

ألصعب عند نفوسكم أن تحجموا

يا بضعة من أمّة

هي أمّة

فيكم جميع صفاتها و خلالها

و الروض يحويه عطورا قمقم

إنّ الألى الجهاد عليكم

علكوا مداركهم و لم يستطعموا ...

طلبوا السلامة في القعود ففاقهم

درك الثراء و بعد ذا لم يسلموا

هؤلاء دود القزّ أحسن منهم

و أجلّ في نظر الحياة و أفهم !

قالوا كهول قد تصرّم عصرهم

ليت الشّباب من الكهول تعلّموا !

إن لم تشيدوا كالأوائل " تدمرا "

أو " بعلبكّ " فإنّكم لم تهدموا

و لكم غد و جماله و بهاؤه

و لكم من الأمس النفيس القيّم

***

حدثت نفسي و القطار يخبّ بي

عجلان يخترق الدذجى و يدمدم

فسألها مستفهما ، لربما

سأل العليم سواه عمّا يعلم

ما أحسن الأيّام ؟ قالت : يومكم !

و النّاس ؟ فابتدرت و قالت : أنتم

و الدور ؟ قالت : دوركم . و المال ؟

قالت : إنّ أحسنه الذي أنفقتم

و الحسن ؟ قالت : كلّ ما أحببتم

و الأرض ؟ قالت : أينما استوطنتم

ما كان أكمل يومكم و أتمّه

لو لم يكن في مهد عيسى مأتم

و كذا الحياة ، قديمها وحديثها ،

ذكرى نسرّ بها و ذكرى تؤلم

أقوى من الشيب و الهرم

ما زلت أحسب الحبّ زايلني

حتّى نظرت إليها و هي تبتسم

فاهتزّ قلبي كما تهتزّ نابته

في القفر مرّ عليها النّور و النذسم

يا حبّها لا تخف شيبا و لا هرما

فليس يقوى عليك الشيب و الهرم

الى الشبان المتفرّجين

يا أيّها الشّرق انظر إلى

القوم الذين شددت أزرك فيهم

ما زلت تكلأهم بطرف ساهر

يحيي الظلام و هم هجود نوّم

و الغرب يرنو خافا

أجدادهم و يودّ لو لم ينعموا

حتى إذا طرّت شواربهم و بات

من الشباب لهم طراز معلم

خرجوا عليك و أنت لا تدري و هم

لا يشعرون و لو دروا لتندّموا

يا طالما مثلوا لديك كأنّهم

أذد الشّرى فنسيت أنّك تحلم

ورجوت ما يرجوه كلّ أب لدى

أبنائه / أنّ العقوق مذمّم

و لطالما شدت القصور من المنى

خاب الرّجاء و ساء ما تتوهّم

ألهتهم الدّنيا فهذا بالطّلى

صبّ و هذا بالحسان متيّم

و الخمر فاتكة بناعم

ترف يكاد من النّسائم يسقم

قد أصبحوا وقفا على شهواتهم

يستسلمون لها و لا تستسلم

لم يفهموا معنى الحياة و كنهها

إنّ البليّة أنّهم لم يفهموا

فليقلعوا عن غيّهم إنّي أرى

خور الشيوخ بهم و لمّا يهرموا

قد قلّدوا الغربيّ في آفاقه

تقليده الشّرقيّ فيما يعصم

فتنتهم لغة الأعاجم إنّما

لغة الأعاجم منهم تتبرّم

أمسى الذي تهدى إليه لآلىء

و كأنّما هو بالحجارة يرجم

لا تعذل الشعراء إن بخلوا به

إنّ القريض على الغبيّ محرّم

بتنا و بات الشّرق يمشي القهقرى

مع ذاك نحسب أنّنا نتقدّم

أيّها القلم

ماذا جنيت عليهم ، أها القلم

و الله ما فيك إلاّ النّصح و الحكم

إنّي ليحزنني أن يسجنوك وهم

لولاك في الأرض لم تثبت لهم قدم

خلقت حرّرا كموج البحر مندفعا

فما القيود و ما الأصفاد و اللّجم ؟

إن يحسبوا الطائر المحكّى في القفص

فليس يحبس منه الصوت و النّغم

الله في أمّة جار الزمان بها

يفنى الزمان و لا يفنى لها ألم

كأنّما خصّها بالذّلّ بارئها

أو أقسم الدهر لا يعلو لها علم

مهضومة الحقّ لا ذنب جنته سوى

أنّ الحقوق لديها ليس تنهضم

مرّت عليها سنون كلّها نقم

ما كان أسعدها لو أنّها نعم ؟
عدّوا شكايتها ظلما و ما ظلمت
و إنّما ظلموها بالذي زعموا
ما ضرّهم أنّها باتت تسائلهم
أين المواثيق ، أين العهد و القسم ؟
أما كفى أنّ في آذانهم صمما
حتّى أرادوا بأن ينتابها الصّمم ؟
كأنّما سئموا أن لا يزال بها
روح على الدّه لم يظفر بها السّأم
فقيّدوها لعلّ القيد يكتها
و عزّ أن يسكت المظلوم لو علموا
و أرهقوا الصّحف و الأقلام في زمن
يكاد يعبد فيه الطرس و القلم
أن يمنعوا الصحف فينا بثّ لوعتنا
فكلّنا صحف في مصر ترتسم
إنّا لقوم لنا مجد سنذكره
ما دام فينا لسان ناطق و فم
كيف السبيل إلى سلوان رفعتنا
و هي التي تتمنّى بعضها الأمم ؟
يأبى لنا العزّ أن نرضى المذلّة في
عصر رأينا به العبدان تحترم
للموت أجمل من عيش على مضض
إنّ الحياة بلا حريّة عدم

أنفس العشّاق

بالأمس بادرني صديق حائر يستفهم
أجهنّم نار ؟ كما زعم الهداة و علّموا ؟
أم زمهرير قارس قاس و كون مظلم ؟
فأجبته ، ما الزمهرير و ما اللّظى المتضرّم
بجهنّم ! .. لكنّما أن لا تحبّ جهنّم
يا صاحبي ، إنّ الخواء هو العذاب الأعظم
القلب إلاّ بالمحبّة منزل متردّم
هي للجراحة مرهم ، و هي للسعادة سلّم

هي في النجوم تألّق ، هي في الحياة ترنّم

هي أنفس العشّاق في غسق الدّجى تتبسّم

عباد الذّهب

ما ساء نفسي من الدنيا سوى نفر

لا خير فيهم و لكن شرّهم عمم

ماتت ضمائرهم فيهم أنانية

فليس تنشر حتى تنشر الرّمم

ساءت خلائقهم أو لا خلاق لهم

إلا الشّراهة و الإيثار و النّهم

إذا رأوا صورة الدينار بارزة

خرّوا سجودا إلى الأذقان كلّهم

قد أقسموا أنّهم لا يشركون به

بئس الإله و بئس القوم و القسم

أبو غازي

أبو ازي السلام عليك منّا

و عفوا أيّها الملك الهمام

فما ضاق الكلام بنا ، و لكن

وجدنا الحزن أرخصه الكلام

و خطبك لا يفيه دمع باك

فموتك من بني العرب يبكي الغمام

و نحن أحقّ أن نبكي و نرثى

فموتك من بني العرب انتقام

خبا نبراسنا ، و اللّيل داج ،

و كنت حسامنا ، فنبا الحسام !

كأنّك قد وترت الموت قدما

وهابك في كنانتك السّهام

فدبّ إليك مثل اللّصّ ليلا

و كان الموت ليس له ذمام

طوى الدنيا نعيّك في ثوان

فريع البيت و البلد الحرام

و " دجلة " كالطّين له أنين

و في " بردى " التياع و اضطرام

ورحنا بين مصعوق وساه
كمن صرعت عقولهم المدام
كأنّ الأرض قد قد مادت و فضّت
عن الموتى الصفائح و الرّجام
فمن للبيض و الجرد المذاكي ؟
و " فيصل " بات يحويه الرّغام
و من للحقّ ينشره لواء
به للنّاس هدي و اعتصام
توارى المجد في كفن و لحد
و غابت في التراب منّى عظام
مضى وحديثه في الناس باق
كعمر الشّمس ليس له انصرام
فيا جدثا حواه لست قبرا
و لكن أنت في الدنيا وسام
***
حياتك " يا أبا غازي " حياة
كفصل الصّيف : زهر و ابتسام
وقد تحصى الكواكب و الأقا
حي و لا تحصى أياديك الجسام
مددت إلى منى العرب الغوافي
يدا ، فتفتّقت عنها الكمام
و أمسى بندهم و له خفوق
و أمسى عقدهم و له نظام
و كم أسقمت جسمك كي يصحّوا
و حالفت السّهاد و هم نيام
و كم جازيت عن شرّ بخير
و كم جازاك بالغدر الأنام
خذلت فما عتبت على صديق
و لم تحنق وقد كثر الملام
و كم قد فزت في حرب و سلم
فلم يلعب بعطفيك العرام
خلائق من له عرق كريم
و خطّة من له قلب عصام
خذوا الخلق الرفيع من الصحا

ري ، فإنّ النفس يفسدها الزحام
و كم فقدت جلالتها قصور
و لم تفقد مروءتها الخيام
***
و قالوا اندك عرشك في دمشق
كأنّ العرش أخشاب تقام
و كيف تهدّ سدّتك العوالي
و لم يسلبكها الموت الزؤام ؟
فما كان انتصارهم علاء
و لا كان انكسارك فيه ذام
إذا لم تنصر الأرواح ملكا
فأحسن ما حوى جثث وهام
و ما زالت لك الأرواح فيها
و ما زالت عشيرتك الشآم
تصفّق لاسمك الأمواه فيها
و يهتف في خمائلها الحمام
و بذكر أهلها تلك السجايا
فيشرق من تذكّرها الظلام
و ليس أحبّ من حرّ مؤاس
إلى شعب يساء و يستضام
***
فقل للساخطين على اللّيالي
و من سكنوا على يأس و ناموا
سينحسر الضباب عن الروابي
و يبدو الورد فيها فيها و الخزام
و يصفو جوّنا بعد انكدار
و يسقى أرضنا المطر الرّهام
و نرجع أمّة ترجى و تخشى
و إن كره الزعانف و الطّغا

مصر و الشام

البلبل السجين يا ربّ بلا سناء
كأنّما بدره يتيم
مشى به اليأس في الرّخاء

كأنّه النار و الهشيم

*

ليت الدّجى رقّ للمحبّ

أو ليت لي مهجة حجر

أقضّ هذا الفراش جنبي

كأنّ في مضجعي الإبر

هل بك يا نجم مثل كربي ؟

أم أنت من طبعك السّهر ؟

سهرت شوقا إلى ذكاء ؟

أم عندك المقعد المقيم ؟

أبكي و تصغي إلى البكاء

يا ربّ ! هل تعشق النجوم ؟

*

قد نال فرط السّهاد منّي

و اشتاق طرفي إلى الهجوع

و قرّح الجفن ماء جفني

في الحبّ ما فاض من دموعي

و شاب رأسي من التّجنّي

ياليت ذا الشّيب في الولوع

لعلّ في سلوتي شفائي

هيهات . داء الهوى قديم

ما يحسب الناس في ردائي ؟

في بردتي هيكل رميم !

*

قد طال يا ليل فيك صبري

و أشبهت ساعك القرونا

فقل لهذي النجوم تسري

أو إسأل الصّبح أن يبينا

و إن تشأ أن تكون قبري

فكن كما شئت أن تكونا

في سكون إلى البلاء

قد يألف العلّة السّقيم

من كان في قبضة الهواء

هان على نفسه النّسيم !

*

قرّب بين الضّنى و جسمي

ما أبعد النّوم عن جفوني

يا ليل فيك الرّقاد خصمي

يا ليل ما فيك من معين

سوى شج همّه كهمّي

ينشد و اللّيل في سكون !

أيمرح البوم في الخلاء

و تمسك البلبل الهموم ؟

هذا ضلال من القضاء

فلا تلمني إذا ألوم

*

سا سيّد المنشدين طرّا

و صاحب المنطق المبين

لو كنت بوما أو كنت نسرا

ما بتّ في أسرك المهين

خلقت لما خلقت ، حرّا

فزجّك الحسن في السّجون

و أطلق البوم في الفضاء

زعم الورى أنّه دميم

و أنّه غير ذي رواء

و لا له صوت الرّخيم !

*

تيّمك الروض فيه حتّى

تخذت باحاته مقاما

رأيت فيه النعيم بحتا

و لم تر عنده الأناما

مدّوا الأحابيل فيه شتّى

أقلّها يجلب الحماما

لو كنت كالبوم في الجفاء

ما صادك المنظر الوسيم

أصبحت تبكي من الشّقاء

ليضحك الآسر المضيم !

*

و المرء وحش فإن ترقّى
أصبح شرا من الوحوش
فخفه حرّا و خفه رقّا
و خفه ملكا على العروش
فالشرّ في الناس كان خلقا
و أيّ طير بغير ريش ؟
ما قام فيهم أخو وفاء
يحفظ عهدا و لا رحيم
فكلّ مستضعف مرائي
و كلّ ذي قوّة غشوم !

*

إن كان للوحش من نيوب
فالناس أنيابهم حديد
ما كان ، و الله ، للحروب
لولا بنو آدم وجود
لو امّحى عالم الخطوب
لقام منهم لها معيد
قد نسبوا الظلم للسماء
و كلّهم جائر ظلوم
لم يخل منه أخو الثّراء
و لا الفتى البائس العديم

*

أعجب ما في بني التراب
قتالهم فوقه عليه
قد صيّر و الأرض كالكتاب
و انحشروا بين دفّتيه
و استعجلوا الموت بالعذاب
و كلّهم صائر إليه
ما خاب داع إلى العداء
و لم يفز ناصح حكيم
ما رغب الناس في الفناء
لكنّما ضاعت الحلوم !!

*

لو لم يك الظلم في الطّبائع

ما استنصر العاجز العداله

لو عدلت فيهم الشرائع

ما استحدثوا للقتال آله

عجبت للقاتل المدافع

جزاؤه الموت لا محاله

لكنّما سافكو الدماء

يوم الوغى قادة قروم

و هكذا المجرم الدائي

في عرفهم فاتح عظيم !

*

أقبح من هذه الضّلاله

أن يحكم الواحد الألوفا

و يدّعي الفضل و النّباله

من يسلب العامل الرّغيفا

يا قوم ما هذه الجهالة

قد حان أن تنصفوا الضّعيفا

فراقبوا ذمّة الإخاء

و لتنس أحقادها الخصوم !

لا تتبعوا سنّة البقاء

فإنّها سنّة ظلوم !

تلك المنازل

تلك المنازل ... كيف حال مقيمها

إنّا قنعنا بعدها ....برسومها

تمشي على صور الطيور لحاظنا

نشوى ، كمن يصغى إلى ترنيمها

و نكاد نعشق في الأزاهير الدمى

أزهارها ، و نحسّ نفخ شميمها

نشتاقها ، في بؤسنا و نعيمنا

و نحبّها ، في بؤسها و نعيمها

لولا الخيال يعين أنفسنا لمّا

سكنت ، و لم يهدأ صراخ كلومها

و لكان شهد الأرض في أفواهنا

و هو اللّذيذ أمرّ من زقمها

يا حاملا في نفسه و حديثه

أحلام أرزتها و لطف نسيمها

حدّث بنيها شيخهم و فتاهمو

عن ليث غابتها و ظبي صريمها

خبّرهم أنّ الكواكب لم تزل

تحنو على العشّاق بين كرومها

ما زال بلبلها يغنّي للربى

و السّحر تنفثه لواحظ ريمها

و الريح تلتقط الشّذى و تذيعه

من شيحها طورا و من قيصومها

و هضابها يلبسن عسجد شمسها

حينا ، و أحيانا لجين نجومها

و الفجر يرقص في السهول و في الذرى

متمهّلا فتهشّ بعد وجوهما

إن بدّلت منها التخوم فإنّها ما

بدّلت و الله غير تخومها

حدّثهم عن ليلها و نجومها

و عن الهوى في ليلها و نجومها

و عن الشّطوط الحالمات بعوده

للغائبين ، و رجعة لنعيمها

و عن الروابي الشاخصات إلى السما

ألعالقات رؤوسها بغيومها

فكأنّها سحب هوت من حالق

ورست على وجه الثّرى بهمومها

و عن الحياة جميلها و قبيحها ،

و عن النفوس صحيحها و سقيمها

و عن الألى ملكوا فلم يتورّعوا

عن سلب أعزلها و ظلم يتيمها

و عن الثعابين التي في أرضها ،

و عن الذئاب العصل خلف تخومها

ألجاهليّة ، آه من أصنامها

بوركت ، يا من جدّ في تحطيمها

و الطائفيّة أنت أوّل معول

في سورها ، ثابرعلى تهديمها

حتّى تعود وواحد أقنومها

و يحلّ روح الله في أقنومها

قل للشبيبة أن تبين وجودها

و تعزّ أنفسها بهون جسومها

كم ذا تشعّ و لا تضيء علومها

سرج الظلام إذن جليل علومها

يا واحد منها يحمّل نفسه

آلام عانيها وليل سليمها

إن أكرمتك نفوسنا في ليلة

فلكم قضيت العمر في تكريمها

تحيّة الدستور العثماني

إلى حيث ألقت يا يا زمان المظالم

و لا عدت يا عهد الشّقا المتقادم

ذهبت فلا باك و أنّي بكى العمى

كفيف رأى الأضواء ملء العوالم ؟

و ما عجبت أن ليس في القوم نادب

و لكن عجيب أن أرى غير باسم

نزلت على الشّرقيّ فانحطّ شأنه

و قد كان غصّ الفخر غضّ المكارم

ففرقت حتّى ليس غير مفرّق

و خاصمت حتّى ليس غير التخاصم

أقمت فخلّى أهله و بلاده

إلى كلّ فجّ من خصيب و قاحم

نأى كاظما للغيظ خوف شماتة

و لم يطلب الإنصاف خفيّة لائم

و لو شاء لم يختر سوى الشرّ مركبا

فقد كانت الأحقاد ملء الحيازم

صحبناك لا خوفا ثلاثين حجّة

و لكنّها الدّنيا و ضعف العزائم

و ما ذاك عن حب فما فيك شيمة

تحبّ و لسنا من غواة المآثم

فكنت و كان الجهل أحسن خلّة

لنا و نجاة الحقّ إحدى الغنائم

و كنت و ما فينا غير ناقم

عليك ، و لا ذو سلطة سلطة غير غاشم

ثلاثون عاما و النّوائب فوقنا

مخيمة مثل الغيوم القوائم

فلا االعلم مرموق و لا الحقّ نافذ

و لا حرمة ترعى لغير الدراهم

و ما تمّ غير البغي و الظلم و الأذى

فقبّحت من عصر كثير السخائم

فاغرب شقيت الدهر غير مودّع

من القوم إلاّ بالظّبى و الصوارم

فوالله ما ترضى قيودك أمّة

من الناس إلاّ أصبحت في البهائم

و يا أيّها الدستور أهلا و مرحبا

(على الطائر الميمون يا خير قادم)

طلعت علينا كوكبا غير آفل

على حين أنّ الشّرق مقلة هائم

فقرّت عيون قبل كانت حسيرة

و جادت سرورا بالدموع السواجم

وضجّ الورى و الشرق و الغرب ضجّة

أفاق لها مستيقظا كلّ نائم

أهبت ففرّ الظلم بالأرض هاربا

و نكّس خزيا رأسه كلّ ظالم

و فاضت على ثغر الحزين ابتسامة

تخبر أنّ الحزن ليس بدائم

و أطلقت الأقلام بعد اعتقالها

فأسمعت الأكوان سجع الحمائم

و لم يبق عان لم يفكّ إسارة

و لم يبق جان لم يفز بالمراحم

و كنّا نرى الأحزان ضربة لازب

فصرنا نرى الأفراح ضربة لازم

توهّم قوم أنّما الشّرق واهم

و أنّك يا دستور أضغاث حالم

ورجّم قوم أنّما تلك خدعة

فعدنا بربّ الناس من كلّ راجم

تجلّيت فاسودّت وجوه و أسفرت

وجوه ، و أمسى غانما كلّ غارم

و ما عدت حتىّ كاد يشتجر القنا

لأجلك و الخطى أعدل حاكم

و أوشك أن يهتزّ في كلّ ساعد

لكلّ أبيّ كلّ سيف و صارم

أبى الجيش إلاّ أن تكون مؤبدا

و تأبى سوى تأييد جيش سالم

فبوركتما من ساعد و مهنّد

برغم خؤون مارق متشائم

و لا برح الأحرار يشدو بذكرهم

بنو الشرق فخرا في القرى و العوام

رجال لهم زيّ الرّجال و إنّما

جسومهم فيها نفوس ضراغم

هم قيّدونا بالعوارف و النّدى

وهم أطلقونا من عقال المغارم

فلم يبق فينا حاكم غير عادل

و لم يبق فينا عادل غير حاكم

البلبل السجين

يا ربّ بلا سناء

كأنّما بدره يتيم

مشى به اليأس في الرّخاء

كأنّه النار و الهشيم

*

ليت الدّجى رقّ للمحبّ

أو ليت لي مهجة حجر

أقضّ هذا الفراش جنبي

كأنّ في مضجعي الإبر

هل بك يا نجم مثل كربي ؟

أم أنت من طبعك السّهر ؟

سهرت شوقا إلى ذكاء ؟

أم عندك المقعد المقيم ؟

أبكي و تصغي إلى البكاء

يا ربّ ! هل تعشق النجوم ؟

*

قد نال فرط السّهاد منّي

و اشتاق طرفي إلى الهجوع

و قرّح الجفن ماء جفني

في الحبّ ما فاض من دموعي

و شاب رأسي من التّجنّي

ياليت ذا الشّيب في الولوع

لعلّ في سلوتي شفائي

هيهات . داء الهوى قديم

ما يحسب الناس في ردائي ؟

في بردتي هيكل رميم !

*

قد طال يا ليل فيك صبري

و أشبهت ساعك القرونا

فقل لهذي النجوم تسري

أو إسأل الصّبح أن يبينا

و إن تشأ أن تكون قبري

فكن كما شئت أن تكونا

في سكون إلى البلاء

قد يألف العلّة السّقيم

من كان في قبضة الهواء

هان على نفسه النّسيم !

*

قرّب بين الضّنى و جسمي

ما أبعد النّوم عن جفوني

يا ليل فيك الرّقاد خصمي

يا ليل ما فيك من معين

سوى شج همّه كهمّي

ينشد و اللّيل في سكون !

أيمرح البوم في الخلاء

و تمسك البلبل الهموم ؟

هذا ضلال من القضاء

فلا تلمني إذا ألوم

*

سا سيّد المنشدين طرّا

و صاحب المنطق المبين

لو كنت بوما أو كنت نسرا

ما بتّ في أسرك المهين

خلقت لما خلقت ، حرّا

فزجّك الحسن في السّجون

و أطلق البوم في الفضاء

زعم الورى أنّه دميم

و أنّه غير ذي رواء

و لا له صوت الرّخيم !

*

تيّمك الروض فيه حتّى

تخذت باحاته مقاما

رأيت فيه النعيم بحتا

و لم تر عنده الأناما

مدّوا الأحابيل فيه شتّى

أقلّها يجلب الحماما

لو كنت كالبوم في الجفاء

ما صادك المنظر الوسيم

أصبحت تبكي من الشّقاء

ليضحك الآسر المضيم !

*

و المرء وحش فإن ترقّى

أصبح شرا من الوحوش

فخفه حرّا و خفه رقّا

و خفه ملكا على العروش

فالشرّ في الناس كان خلقا

و أيّ طير بغير ريش ؟

ما قام فيهم أخو وفاء

يحفظ عهدا و لا رحيم

فكلّ مستضعف مرائي

و كلّ ذي قوّة غشوم !

*

إن كان للوحش من نيوب

فالناس أنيابهم حديد

ما كان ، و الله ، للحروب

لولا بنو آدم وجود

لو امّحى عالم الخطوب

لقام منهم لها معيد

قد نسبوا الظلم للسماء

و كلّهم جائر ظلوم

لم يخل منه أخو الثّراء

و لا الفتى البائس العديم

*

أعجب ما في بني التراب

قتالهم فوقه عليه

قد صيّر و الأرض كالكتاب

و انحشروا بين دفّتيه

و استعجلوا الموت بالعذاب

و كلّهم صائر إليه

ما خاب داع إلى العداء

و لم يفز ناصح حكيم

ما رغب الناس في الفناء

لكنّما ضاعت الحلوم !!

*

لو لم يك الظلم في الطّبائع

ما استنصر العاجز العداله

لو عدلت فيهم الشرائع

ما استحدثوا للقتال آله

عجبت للقاتل المدافع

جزاؤه الموت لا محاله

لكنّما سافكو الدماء

يوم الوغى قادة قروم

و هكذا المجرم الدائي

في عرفهم فاتح عظيم !

*

أقبح من هذه الضّلاله

أن يحكم الواحد الألوفا

و يدّعي الفضل و النّباله

من يسلب العامل الرّغيفا

يا قوم ما هذه الجهالة

قد حان أن تنصفوا الضّعيفا

فراقبوا ذمّة الإخاء

و لتنس أحقادها الخصوم !

لا تتبعوا سنّة البقاء

فإنّها سنّة ظلوم !

فتنة 13 أبريل

بورك الصمصام من حكم

بين محكوم و محتكم

إنّني بعت اليراع به

لا أبيع السيّف بالقلم

صاح إنّ العزّ ممتنع

نيله إلاّ على الخدم

إنّما الضرغام سوّده

نابه المرهوب في البهم

لو يسمّى السيّف ثانية

بات يدعى منقذ الأمم

فله في الغرب مأثرة

مثلما في الترك و العجم

ضيف سالونيك مالك في

سجنها ضيف سوى السأم

ذاك ضيف غير محتشم

إن تحاول طرده يقم

قد خلت يلديز منك و ما

ذكرها يخليك من ألم

زلت عنها و هي باقية

عظة للخلق كلّهم

إن تكن تبغي الرجوع لها

ذاك مقضيّ لدى الحلم

مرتع الغيد الأوانس بل

مربع الواشين و التهم
خبّرينا إنّ فيك لنا
حكمة تعلو على الحكم
خبّرينا كيف عاقبة
البغي ، هل كانت سوى ندم ؟
جرت (يا عبد الحميد) بنا
غير أنّ الجور لم يدم
كنت كالأيام ماقصدت
بالرزايا غير ذي شمم
ظلت تقري الحوت من جثث
أوشكت تبليه بالتخم
نعم للبحر تطرحها
يا لها في البرّ من نقم
و لكم حللت من حرم
و لكم أفسدت من ذمم ؟
لم تراع قطّ ذا صلة
لا و لم تشفق على رحم
راعك الدستور منتصرا
فأثرت الجند (بالعمم)
كاد يلقى منك مصرعه
و هو لم يبلغ إلى الحلم
ربّ ليل بتّ ترقبه
رقبة السّرحان للغنم
و نهار كدت فيه له
غير خاش كيد منتقم
أحسبت القومخ غفلوا
و نسوا ما كان في القدم ؟
أم ظننت الشّعب حنّ إلى
إمرأة الخصيان و الخدم ؟
أم حسبت الجيش مبتعدا
و هو أدنى من يد لفم ؟
لم يطق صبرا على مضض
فأتى يسعى على قدم
علم من خلفه علم

و كمّي يقتفيه كمّي

حاط يلديزا فكان لها

كسوار غير منفصم

ورأت عيناك غضبته

فبكت خوف الرّدى بدم

شلّ منك التاج مهتضما

من يعاد الشعب يهتضم

بتّ لا جيش و لا علم

يا صريح الجيش و العلم

و فشى ما كنت تضمره

فعرفنا ناقص القسم

كنت مسلوب الكرى حذرا

و لقد أعطيته فنم

ودع الدّنيا و بهجتها

ما أرى الحسناء للهرم

لست من طرسي و لا قلمي

إن كبا في حلبه قلمي

قل لمن راموا مساجلتي

ليس غيري تاجر الكلم

يا رشاد الملك تهنئة

بالذي أوتيت من نعم

إن تكن ذاك السجين فيا

ربّ عان غير مجترم

أنت كالصدّيق أسكنه

فضله في السجن من قدم

كن لهاذا الشعب يوسفه

ينج من عدم و من عدم

لست ترضى أن يقال كبا

دون شعب هام بالصّنم

أنت للشورى نعوّذها

بك من عات و من نهم

فتقلّد سيف جدّك عث

مان جدّ البيض و الخدم

و تولّ الملك من أمم

و بجبل الله فاعتصم
قد شفى مرآك مقتله
من عمى ، و الأذن من صمم
دمت يا خير الملوك له
غير ما همّ و لا سقم

صاحب القلم

أشقى البريّة نفسا صاحب الهمم
و أتعس الخلق حظّا صاحب القلم
عاف الزّمان بني الدنيا و قيّده
و الطير يحبس منها جيّد النغم
و حكّمت يده الأقلام في دمه
فلم تصنه و لم يعدل إلى حكم
فيا له عاشقا طاب الحمام له
إن المحبّ لمجنون فلا تلم
لكلّ ذي همّة في دهره أمل
و كلّ ذي أمل في الدهر ذو ألم
ويل اللّيالي لقد قلّدنني ذربا
أدنى إلى مهجتي من مهجة الخصم
ما حدّثتني نفسي أن أحطّمه
إلاّ خشيت ععلى نفسي من الندم
فكلّما قلت زهدي طارد كلفي
رجعت و الوجد فيه طارد سأمي
يأبى الشّقاء الذي يدعونه أدبا
أن يضحك الطرس إلاّ إن سفكت دمي
لقد صحبت شبابي و اليراع معا
أودى شبابي ... فهل أبقي على قلم
كأنّما الشعرات البيض طالعة
في مفرقي ، أنجم أشرقن في الظلم
تضاحك الشيب في رأسي فعرّض بي
ذو الشّيب عند الغواني موضع التهم
فكلّ بيضاء عند الغيد فاحمة
و كلّ بيضاء عندي ثغر مبتسم
قل للتي ضحكت من لمّتي عجبا

هل كان ثمّ شباب غير منصرف

أصبحت أنحل من طيف ، و أحير من

ضيف ، و أسهر من راع على غنم

و ليلة بتّ أجني من كوكبها

عقدا كأنّي أنال الشّهب من أمم

لا ذاق جفني الكرى تنال يدي

ما لا يفوز به غيري من الحلم

ليس الوقوف على الأطلال من خلقي

و لا البكاء على ما فات من شيمي

لكنّ (مصرا) ، و ما نفسي بناسبه

مليكة الشّرق ذات النيل و الهرم

صرفت شطر الصّبا فيها فما خشيت

نفسي العثار ؛ و لا نفسي من الوصم

في فتنة كالنّجوم الزهر أوجههم

ما فيهم غير مطبوع على الكرم

لا يقبضون مع اللّاواء أيديهم

و قلّما جاد ذو وفر مع الأزم

حسبي من الوجد همّ ما يخامرني

إلاّ و أشرقني بالبادر الشيم

في ذمّة الغرب مشتاق ينازعه

شوق إلى مهبط الآيات و الحكم

نا تغرب الشمس إلاّ أدمعي شفق

تنسى العيون لديه حمرة العنم

و ما سرت نسمات نحوها سحرا

إلاّ وددت لو أنّي كنت في النّسم

ما حال تلك المغاني بعد عاشقها

فانّني بعدها للهمّ و السّقم

جاد الكنانة عنّي وابل غدق

و إن يك النّيل يغنيها عن الديّم

الشرق تاج ، و مصر منه درّته

و الشرق جيش ، و مصر حامل العلم

هيهات تطرّف فيها عين زائرها

بغير ذي أدب أو غير ذي شمم

أحنى على الحرّ من أمّ على ولد

فالحرّ في مصر كالورقاء في الحرك

ما زلت و الدهر تنبو عن يدي يده

حتّى نبت ضلّة عن أرضها قدمي

أصبحت في معشر تقذي العيون بهم

شرّ من الدّاء في الأحشاء و التّخم

ما عزّ قدر الأديب الحرّ بينهم

إلاّ كما عزّ قدر الحيّ في الرّمم

من كلّ فظّ يريك القرد محتشما

و يضحك القرد منه غير محتشم

إذا بصرت به لا فاته كدر

رأيت أسمج خلق الله كلّهم

من الأعاب لكن أنشده

جواهر الشّعر ألقاه من العجم

ما إن تحرّكه همّا و لا طربا

كأنّما أنا أتلوها على صنم

لا عيب في منطقي لكن به صمم

إنّ الصوادح خرس عند ذي الصّمم

حجبت عن كلّ معدوم النّهى درري

إنّي أضنّ على الأنعام بالنعم

قوم أرى الجهل فيهم لا يزال فتى

في عنفوان الصّبا و العلم كالهرم

نقد

سكت خوفا و قلت الصفح من خلقي

و نمت جبنا و قلت الحلم من شيمي

و إنّما أنت و الأقوام قد علموا

لولا خمولك لم تسكت و لم تنم

لم تمتنع أنفه لكن قد امتنعت

عليك أشباه ما قد صاغه قلمي

حاولت وجدان عيب لي فكنت كمن

يحاول الماء في البركان ذي الضّرم

فقلت للقوم فيما قلت تخدعهم

لقد هجاني و بعض الهجوم كالوصم

ألذمّ عار و لكن ذمّ ذي كرم

و الحمد لله لم نذمم أخا كرم

سأحبسنّ لساني عنك شمم

وحرمة لأهيل الودّ و الذمم

قوم لعمر أبي لو كان سفك دمي

و لا مغالاة يرضيهم سفكت دمي

إنّي أجلهم عن أن يغيّرهم

كلام ذي حسد أول متّهم

ما العجر أقعدني لما كففت يدي

لكن لأجلهم نهنهت من كلمي

و لو أشاء ملأت الأرض قاطبة

قوافيا و أفضاء الرّحب بالحكم

و لست أعجب ا، لم تشتك ألما

إنّ الجمادات لا تشكو من الألم

ثقيل

و ثقيل أنّه برد كانو

ن قليل الحياء جمّ الكلام

ليس يدري بأنّه ليس يدري

إنّ بعض الأنام كالأنعام

يتمنى ، يابعد ما يتمنّى

لو جرى ذكره على الأقدام

و الذي أطمع اللئيم و أغراه

بسبّ الكرام حلم الكرا

و الذي صيّر الكريم حليما

كرهه أن يعدّ صنو الطّغام

منع البوم أن يصاد و يرمى

كونه غير صالح للطعام

بين مدّ و جزر

سيّرت في فجر الحياة سفيتني

و اخترت " قلبي " أن يكون إمامي

فجّرت على الأمواج قصرا من رؤى

ملء الفضا ، ملء المدى المترامي

و أقلّ منها البحر حين أقلّها

دنيا من الأضواء و الأنغام

و مشى الخيال على الحياة بسحره

فإذا الهوى في الماء و الأنسام

و إذا الرّمال أزاهر فوّاحة

و الشّطّ هيكل شاعر رسّام

و إذا العباب ملاعب و مراقص

و إذا أنا من صبوة لغرام

أتلقف اللّذّات غير محاذر

و أعبّ في الزلاّت و الآثام

لا أكتفي و أخاف أكتفي

فكأنّما في الاكتفاء حمامي

و كأنّ هدبي أن تطول ضلالتي

و كأنّ ربّي أن يدوم أوامي

مرّت بي الأعوام تتلو بعضها

و أنا كأنّي لست في الأعوام

كالموج ضحكي ، كالضّياء ترنّحي ،

كالفجر زهوي ، كالخضمّ عرامي

حتى إذا هتف المشيب بلمّتي

ودنت يد الماحي إلى أحلامي

صرخ " الحجى " بي ساخطا متهكّما :

" هذا الغنيّ شرّ من الإعدام "

" أسلمتني للقلب و هو مضلّل

فأضرّني و أضرّك استسلامي "

" يا صاحبي أطلقني من سجن الرؤى

أنا تائه ! أنا جائع ! أنا ظامي !"

و أراد " عقلي " أن يقود سفينتي

للشطّ في بحر الحياة الطامي

فطويت أعلام الهوى و هجرتها

و نسيت حتّى أنّها أعلامي !

و حسبت آلامي انتهت لمّا انتهى

فإذا النهاية أعظم الآلام

و إذا الطريق مخاوف ووساوس

و إذا أنا من هبوة لقتام

أبغي الثراء و لم يكن من مطلبي ،

و أرى الجمال بناظر متعام

و أشيّد مثل الناس مجدا زائفا

و أشدّ حول الروح ثوب رغام

فإذا أنا ، و الأرض ملكي و السما ،

قد صرت عبد الناس ، عبد حطامي

فتضايق القلب السجين و قال لي :

" يا أيّها الجاني قتلت هيامي ! "

" ألقفر بالأحلام روض ضاحك

فإذا تلاشت فالرياض مومي "

" أين العيون تذيبني حركاتها

و تموت في سكناتها آلامي "

" و أطلّ من أهدابهاا السكرى على

ظلّ ، و أنداء ، وزهر نام "

" لمّا عصاني أن أشبّ ضرامها

أعيا عليها أن تشبّ ضرامي "

" ألخمر ملء الجام لكن قد مضى

شوقي إلى الخمر التي في الجام "

" أسلمتني " للعقل " و هو مضلّل

فأضرّني و أضرّك استسلامي "

" أنظر ، ألست تراك في أوهامه

أشقى و أتعس منك في أوهامي ؟ "

" ألمال ! من ذا يشتريه كلّه

منّي بليل صبابة و غرام ؟ "

" يا صاحبي أطلقني من سجن النهى

أنا تائه ! أنا جائه ! أنا ظامي "

***

لا تسألوني اليوم عن قيثارتي

قيثارتي خشب بلا أنغام !

يا شاعرا غنّي فردّ لي الصّبا

فإذا مواكبه تسير أمامي

إنّا التقينا في الشباب و في الهوى

في حومتين

و سنلتقي و إن افترقنا في غد

في حبّ لبنان و حبّ الشام

و ستلتقي روحي وروحك بعدما

تفنى الهياكل في الإله السامي

أهلا بذي الأدب الصراح المصطفى ،

بالفاتح الرّوحيّ ، بالمقدام

بالشاعر الغرّيد في ألحانه

عبق الربيع و نضرة الأكمام

هو إن ذكرت الشعر من أمرئه

و إذا ذكرت المجد فهو عصامي

أنا أمام الذين هاموا

لمني إذا حلّت عن عهودي

و لا تلمني على هيامي

ما كنت أخشى من المنايا

فكيف أخشى من الملام ؟

قد نزل الحبّ في فؤادي

ضيفا ، و لكن على الدوام

فبات قلبي له طعاما

وبتّ أنأى عن الطعام

أعدى غرامي النجوم حتّى

أسهرها في الدجى غرامي

لو تعرف الشمس ما للهوى لم

تبن لطرف من السّقام

أصاب سهم الفراق قلبي

و أخطأت قلبه سهامي

و كان خوفي من التنائي

خوف كفيف من (التّرام)

إن فراق الحبيب عندي

أشدّ وقعا من الحمام

لو يبعد البعد عن حبيبي

ما عنّ يوما لمستهام

أنا إمام الذين هاموا

و أيّ قوم بلا إمام

فليس قبلي و ليس بعدي

و لا ورائي ولا أمامي

ابتسم

قال : " السماء كئيبة ! " و تجهّما

قلت : ابتسم يكفي التجهّم في السما !

قال : الصذبا ولّى ! فقلت له : ابتسم

لن يرجع ال|أسف الصّبا المتصرّما !

قال : التي كانت سمائي في الهوى

صارت لنفسي في الغرام جهنّما

خانت عهودي بعدما ملّكتها

قلبي ، فكيف أطيق أن أتبسّما ؟

قلت : ابتسم واطرب فلو قارنتها

قضّيت عمرك كلّه متألّما !

قال : التّجارة في صراع هائل

مثل المسافر كاد يقتله الظما

أو غادة مسلولة محتاجه

لدم ، و تنفث ، كلّما لهثت ، دما !

قلت : ابتسم ما أنت جالب دائها

و شفائها ، فإذا ابتسمت فربّما ...

أيكون غيرك مجرما ، و تبيت في

وجل كأنّك أنت صرت المجرما ؟

***

قال : العدتى حولي علت صياحهم

أأسرّ و الأعداء حولي في الحمى ؟

قلت : ابتسم ، لم يطلبوك بذمّهم

لو لم تكن منهم أجلّ و أعظما !

***

قال : المواسم قد بدت أعلامها

و تعرّضت لي في الملابس و الدمى

و عليّ للأإحباب فرض لازم

لكنّ كفي ليس تملك درهما

قلت : ابتسم ، يكفيك أنّك لم تزل

حيّا ، و لست من الأحبّة معدما !

***

قال : اللّيالي جرّعتني علقما

قلت : ابتسم و لئن جرعت العلقما

فلعلّ غيرك إن رآك مرنّما

طرح الكآبة جانبا و ترنّما

أتراك تغنّم بالتّبرّم درهما

أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما ؟

يا صاح ، لا خطر على شفتيك أن

تتثلّما ، و الوجه أن يتحطّما

فاضحك فإنّ الشهب تضحك و الدجى

متلاطم ، و لذا يحبّ الأنجما !

قال : البشاشة ليس تسعد كائنا

يأتي إلى الدنيا و يذهب مرغما

قلت : ابتسم ما دام بينك و الردى

شبر ، فإنّك بعد لن تتبسّما !

كن بلسما

كن بلمسا إن صار دهرك أرقما

و حلاوة إن صارر غيرك علقما

إنّ الحياة حبّتك كلّ كنوزها

لا تبخلنّ على الحياة ببعض ما ...

أحسن و إن لم تجر ختى بالثنا

أيّ الجزاء الغيث يبغى إن همّى ؟

من ذا يكافيء زهرة فوّاحة

أو من يثيب البلبل المترنّما ؟

عدّ الكرام المحسنين و قسهم

بهما تجد هذين منهم أكرما

يا صاح خذ علم المحبّة عنهما

إنّي وجدت الحبّ علما قيّما

لو لم تفح هذي ، وهذا ما شدا ،

عاشت مذمّمة و عاش مذمّما

فاعمل لإسعاد السّوى و هنائهم

إن شئت تسعد في الحياة و تنعما

أيقظ شعورك بالمحبّة إن غفا

لولا الشعور الناس كانوا كالدمى

أحبب فيغدو الكوخ كونا نيّرا

وابغض فيمسي الكونن سجنا مظلما

ما الكأس لولا الخمر غير زجاجة

و المرء لولا الحبّ إلاّ أعظما

كره الدجى فاسودّ إلاّ شهبه

بقيت لتضحك منه كيف تجهّما

لو تعشق البيداء أصبح رملها

زهرا ، وصار سرابها الخدّاع ما

لو لم يكن في الأرض إلاّ مبغض

لترنّمت بوجوده و تيرّما

لاح الجمال لذي نهى فأحبه

ورآه ذو جهل فظنّ ورجّما

لا تطلبنّ محبّة من جاهل

ألمرء ليس يحبّ حتى يفهما

وارفق بأبناء الغباء كأنّهم

مرضى ، فإنّ الجهل شيء كالعمى

و إله بورد الروض عن أشواكه

وانس العقارب إن رأيت الأنجما

***

يا من أتانا بالسلام مبشرا

هشّ الحمى لمّا دخلت إلى الحمى

و صفوك بالتقوى و قالوا جهبذ

علاّمة ، ولقد وجدتك مثلما

لفظ أرقّ من النسيم إذا سرى

سحرا ، و حلو كالكرى إن هوّما

و إذا نطقت ففي الجوارح نشوة

هي نشوة الروح ارتوت بعد الظما

و إذا كتبت ففي الطروس حدائق

وشّى حواشيها اليراع و نمنما

و إذا وقفت على المنابر أوشكت

أخشابها للزهو أن تتكلّما

إن كنت قد أخطاك سربال الغنى

عاش ابن مريم لييس يملك درهما

و أحبّ حتّى من أحبّ هلاكه

و أعان حتى من أساء و أجرما

نام الرعاة عن الخراف و لم تنم

فإليك نشكو الهاجعين النوّما

عبدوا الإله لمغنم يرجونه

و عبدت ربّك لست تطلب مغنا

كم روّعوا بجهنّم أرواحنا

فتألّمت من قبل أن تتألّما !

زعموا الإله أعدّها لعذابنا

حاشا ، وربّك رحمة ،أن يظلما

ما كان من أمرل الورى أن يرحموا

أعداءهم إلاّ أرقّ و أرحما

ليست جهنّم غير فكرة تاجر

الله لم يخلق لنا إلاّ السما

الى الصديق

ما عزّ من لم يصحب الخذما

فأحطم دواتك، واكسر القلما

وارحم صباك الغضّ ، إنّهم

لا يحملون وتحمل الألما

كم ذا تناديهم وقد هجعوا

أحسبت أنّك تسمع الرّمما

ما قام في آذانهم صمم

وكأنّ في آذانهم صمما

القوم حاجتهم إلى همم

أو أنت مّمن يخلق الهمما؟

تاللّه لو كنت ((ابن ساعدة))

أدبا ((وحاتم طيء)) كرما

وبذذت ((جالينوس)) حكمته

والعلم ((رسطا ليس)) والشّيما

وسبقت ((كولمبوس)) مكتشفا

وشأوت ((آديسون)) معتزما

فسلبت هذا البحر لؤلؤه

وحبوتهم إيّاه منتظما

وكشفت أسرار الوجود لهم

وجعلت كلّ مبعّد أمما

ما كنت فيهم غير متّهم

إني وجدت الحرّ متّهما

هانوا على الدّنيا فلا نعما

عرفتهم الدّنيا ولا نقما

فكأنّما في غيرها خلقوا

وكأنّما قد آثروا العدما

أو ما تراهم، كلّما انتسبوا

نصلوا فلا عربا ولا عجنا

ليسوا ذوي خطر وقد زعموا

والغرب ذو خطلر وما زعما

متخاذلين على جهالتهم

إنّ القويّ يهون منقسما

فالبحر يعظم وهو مجتمع

وتراه أهون ما يرى ديما

والسّور ما ينفكّ ممتنعا

فإذا يناكر بعضه نهدما

والشّعب ليس بناهض أبدا

ما دام فيه الخلف محتكما

يا للأديب وما يكابده

في أمّة كلّ لا تشبه الأمما

إن باح لم تسلم كرامته

والإثم كلّ إن كتما

يبكي فتضحك منه لاهية

والجهل إن يبك الحجى ابتسما

جاءت وما شعر الوجود بها

ولسوف تمضي وهو ما علما

ضعفت فلا عجب إذا اهتضمت

اللّيث، لولا بأسه، اهتضما

فلقد رأيت الكون ، سنّته

كالبحر يأكل حوته البلما

لا يرحم المقدام ذا خور

أو يرحم الضّرغامه الغنما؟

يا صاحبي ، وهواك يجذبني

حتّى لأحسب بيننا رحما

ما ضرّنا ، والودّ ملتئم

أن لا يكون الشّمل ملتئما

النّاس تقرأ ما تسطّره

حبرا ، ويقرأه أخوك دما

فاستبق نفسا ، غير مرجعها

عضّ الأناسل بعدما ندما

ما أنت مبدلهم خلائقهم

حتّى تكون الأرض وهي سما

زارتك لم تهتك معانيها

غرّاء يهتك نورها الظّلما

سبقت يدي فيها هواجسهم

ونطقت لما استصحبوا البكما

فإذا تقاس إلى روائعهم

كانت روائعهم لها خدما

كالرّاح لم أر قبل سامعها

سكران جدّ السّكر، محتشما

يخد القفار بها أخو لجب

ينسي القفار الأنيق الرسما

أقبسته شوقي فأضلعه

كأضالعي مملوءة ضرما

إنّ الكواكب في منازلها

لو شئت لاستنزلتها كلما

بلادي

تركت النّجم مثلك مستهاما

فإن تسه سها أو نمت ناما

بنفسك لوعة لو في الغوادي

لصارت كلّ ماطرة جهاما

وفيك صبابة لو في جماد

لأشبه دمعك الجاري انسجاما

هوى بك في العظام له دبيب

أشابك وهو لم يبرح غلاما

يظنّ اللّيل يحوي فيك شخا

وما يحوي الدّجى ألاّ عظاما

نفيت الغمض عن جفنيك يأتي

كأنّك واصل فيه الملاما

أتأرق ثمّ ترجو الطّيف يأتي

شكاك الطّيف لو ملك الكلاما

شجتك النّائحات بجنح ليل

فبت تساجل النّوح الحماما

لكدت تعلّم الطّير القوافي

وكدت تعلّم اللّيل الغراما

إذا ذكر الشّآم بكيت وجدا

وما تنفك تذكر الشّآما

وكنت سلونه إلاّ قليلا

وكنت هجرته إلاّ لماما

رويدك أيّها اللاّحي رويدا

لك الويلات ليت سواك لاما

أأرقد والخطوب تطوف حولي

وأقعد بعدما الثقلان قاما

ويشقى موطني وأنام عنه

إذا من يدفع الخطر الجساما؟

بلادي! لا عرا شرّ بلادي

ولا بلغ العدى منها مراما

لبست اللّيل إشفاقا عليها

وإن شاءت لبست لها القتاما

وقفت لها البراع أذبّ عنها

فإن يكهم وقفت لها الحساما

سقى قطر الشّآم القطر عني

وحيا أهله الصّيد الكراما

دوت صياحهم في كلّ صقع

فكادت تنشر الموتى الرماما

وتطبع في المحيّا الجهم بشرا

وتغلق في فم الثّكلى ابتساما

فحوّلت القنوط إلى رجاء

وصيّرت الونى فينا اعتزاما

غدونا كلّما ذكروا طربنا

كأن بنا المعتّقة المداما

ولم أر كالضّمير الحرّ فخرا

ولم أر كالضّمير العبد ذاما

إذا غاب الدّليل النّفس عني

نظرت إلى الذي حمل الوساما

إذا جاب الكلام علّي عارا

هجرت النّطق أحسبه حراما

وأجفوا القصر يلزمني هوانا

وأهوى العزّ يلزمني الحماما

رجال التّرك ما نبغي انتقاضا

لعمركم ولا نبغي انتقاما

ولكنّا نطالبكم بحقّ

ونكره من يريد لنا اهتضاما

حملنا نير ظلمكم قرونا

فأبلاها وأبلانا وداما

رعيتم أرضنا فتركتموها

إذا وقع الجراد رعى الرّغاما

فبات الذّئب يشكوكم عواء

وبات الظّبي يشكوكم بغاما

جريتم (بالهلال) إلى محاق

ولولا جهلكم بلغ التّماما

وكنتم كلّما زدنا ليانا

لنسير غوركم زدتم عراما

فما راقيتم فينا جوارا

ولا حفظت لنا يدكم ذماما

أثرتم بيننا الأحقاد حتّى

ليقتل بعضنا بعضا خصاما

وشاء اللّه كيدكم فبتنا

كمثل الماء والخمر التئاما

فجهلا تبعثون الرّسل فينا

نديف لنا مع الأري السّماما

سنرمقهم إذا طلعوا علينا

كأنّا نرمق الدّاء العقاما

فإنّ عرى سددناها وثاقا

نموت ولا نطيق لها انفصاما

خف التّركي يحلف بالمثاني

وخفه كلّما صلّى وصاما

ومن يستنزل الأتراك خيرا

كمن يستقبس الماء الضّراما

هم نزعوا لواء الملك منّا

ونازعنا طغامهم الطّعاما

وقالوا: نحن للإسلام سور

وإنّ بنا الخلاقة (والإماما)

فهل في دين أحمد أن يجوروا

وهل في دين أحمد أن نضاما؟

إلى كم يحصرون الحكم فيهم

وكم ذا يبتغون بنا احتكاما

ألسنا نحن أكثرهم رجالا

إذا عدوا وأرفعهم مقاما

إذا طلعت ذكاء فليس تخفى

ولو حاكوا الظّلام لها لثاما

مخوّفنا المثقفة العوالي

لقد هدّدت بالجمر النّعاما

سنوقدها تعير الشّمس نارا

ويعيي أمرها الجيش اللّهاما

وعلم المرء أنّ الموت آت

يهون عنده الموت الزّؤاما

الضفادع والنجوم

صاحت الضفدع لما شاهدت

حولها في الماء أظلال النجوم

يا رفاقي يا جنودياحتشدوا

عبر الأعداء في الليل التخوم

فاطردهم ، واطردوا الليل معا

إنه مثلهم باغ أثيم

زعقة سار صداها في الدجى

فإذا الشطّ شخوص وحسوم

في أديم الماء من أصواتها

رعدة الحمى ، وفي الليل وجوم

مزّق الفجر جلابيب الدّجى

ومح من صفحة الأرض الرسوم

فمشت في سربها مختالة

كمليك ظافر بين قروم

ثم قالت: لكم البشرى ولي

قد نجونا الآن من كيد عظيم

نحن لو لم نقهر الشّهب التي

هاجتنا لأذاقتنا الحتوم

وأقامت بعدنا من أرضنا

في نعيم لم يجده في الغيوم

أيها التاريخ سجّل أننا

أمة قد غلبت حتى النجوم

كمنجة الشوا

كمنجة ((الشوّا)) عليك السلام

بهيكل الوحي وعرش الغرام

فيك التفت أرواح أهل الهوى

نجوى وشكوى وبكا وابتسام

وأودعت فيك الصّبا همسها

وخبّأ الأسرار فيك الظلام

وذاب فيك الحبّ ذوب الندى

في مبسم الورد وجفن الخزام

ردّي إلينا اليوم دنيا الرؤى

فإنّنا نشقى بدنيا الحطام

أجنحة الأشواق مقصوصة

أو موثقات، والأماني رمام

قد انقضى العمر وأرواحنا

مفطومة بالحرص ، بئس الفطام

ننأى عن الحسن ونشتاقه

ونهجر الماء ونشكو الأوام

ويبعث الحقل إلينا الشّذى

ونحن لا ننشق إلاّ الرّغام

نسير والأضواء من حولنا

كأنّنا في هبوة أو قتام

والماء يجري حولنا كوثرا

ونحن نستسقي السحاب الجهام

ونسهر الليل لغير الهوى

ما تنفع اليقظة والقلب نام؟

حتى نسينا كيف لون الضحى

ولم نعد نذكر سجع الحمام

خير من اليقظة عندي الكرى

إن كانت الغبطة بنت المنام

خلنا الهوى ترجع أيّامه

لم يرجع الحبّ ولا المال دام

فيا فتى ((الشهباء)) يا شاعرا ،

قد رفع الفنّ لأسمى مقام

رجعت بالسحر وكان انطوى

وجئتنا بالوحي في غير جام

هذا عصير الوحي في آلة

خرساء يجري فتنا للأنام

فإن تجدنا حولها عكّفا

فالمنهل العذب كثير الزّحام

فدغدغ الأوتار لا تكترث

أنّ تذهب الفتنة بالاحتشام

سعادة الأنفس في نشوة

من صورة أو نغم أو مدام

وقل لمن يحذر أن يشتكي

ويحبس الدمع لئلاّ يلام

إسمع فهذا وتر نائح

وانظر فهذا خشب مستهام

نيويورك يا ذات البروج التي

سمت وطالت كي تمس الغمام

لن تبلغي والله باب السما

إلاّ بأوتار كنار الشآم

فاصغي إلى ألحانه لحظة

تحتقري كلّ صنوف الكلام

وتدركي أنّ قصور المنى

تبقى ةتنهدّ قصور الرّجام

فرّحي معنا به واهتفي:

هذا أمير الفنّ، هذا الإمام

الشاعر والكأس

بات والكأس في الظلام

في حديث ولا كلام

هي في صمتها تضيء

وهو في صمته يضام

شاعر أنفق الصّبا

من غرام إلى غرام

ذاهل النفس بالرؤى

عن حطام وذي حطام

وعن الفقر والغنى ،

وعن الحرب والسلام

بالشفاه التي طفا

بين أهدابها الأوام

بالغواني تطيعه

والغواني لها احتكام

بالشّذى وهو فائح،

والشذى وهو بالكمام

بالسحاب الذي يسحّ

وبالخادع الجهام

بالأغاريد ، والبلابل،

والنور، والخزام

حوله الكون في وغى

وهو والكون في وئام

ما له الآن وحده

ساكن العرق كالنيام

ساهر غير أنه

خادر الروح والعظام

صامت مثل كتبه

وكدنيا بلا أنام

أترى عضّه الطوى؟

لا، ففي بيته طعام

لم تزل كأسه لديه

وفي كأسه مدام

وله تضحك البروق

ويبكي الحبا السجام

وله ترتعي الكواكب

في مسرح الظّلام

وله تلبس الرّبى

برد النور والغمام

وله يعبق الشّذى ،

وله تعصر المدام

وله يلمع النّدى ،

وله يسجع الحمام

وله الغادة المليحة

والفارس الهمام

كلّها ، كلّها له

وعلى غيره حرام

وهو ساه كأنما

بسواها له مرام

وجهه غير وجهه

أم على وجهه لثام

كالتماثيل حوله

من نحاس ومن رخام

لا اكتئاب ولا رضّى

لا بكاء ولا ابتسام

ليله ما أمرّها

ليلة اليأس ألف عام

بقي الحسن إنما

مات في الشاعر الهيام

فإذا الكون عنده

جدث كلّه رمام

أفاتحة أم ختام

قالها في رثاء الاسقف

عمانوئيل أبو حطب

ما وعظ الإنسان مثل الحمام

فليتّعظ بالصّمت أهل الكلام

أفصح من كلّ فصيح بنا

هذا الذي أعياه ردّ السلام

إنّي أراه وهو صمته

أروع من جيش كبير لهام

نامت جفون سهرت للعلى

من قبل أن ينجاب جنح الظلام

وسكن الوّثاب في صدره

من قبل أن يدرك كلّ المرام

يا لهفة القوم على كوكب

لاح قليلا واختفى في الغمام

ولهفة الدّين على سيّد

كان يرّجى في الخطوب الجسام

وصاحب قد كان في صحبه

كالروض فيه أرج وابتسام

ما غاب عنّا وكأنّي به

يفصله عن صحبه ألف عام

من الذي يطفىء من بعده

في المهج الحرّى ذكي الضرام؟

من الذي يمسح دمع الأسى

وماسح الأدمع تحت الرغام؟

يا نائما مستغرقا في الكرى

خطبك قد أقلق حتى النيام

خبّر، فإنّ القوم في حيرة

هل الرّدى فاتحه أم ختام

وهل صحيح أنّ كلّ المنى

يطحنها صرف الرّدى كالعظام ؟

وهل حقيق أنّ أهل العلى

والفضل بعد الموت مثل الطغام؟

أم بعد هذا يقظة حلوة

ينسى بها المرء الشقا والسّقام؟
ويصبح النابه في مأمن
من عنت المال وعيث الحسام؟
وتستوي الحالات في حالة
لا حيف فيها، لا أذى ، لا انتقام؟
خبّر، وحدّث، كلّنا حائر
ذو الجهل منّا والأريب الهمام
لأيّما أمر يعيش الورى ؟
لأيّما أمر يموت الأنام؟
وأين دار ليس فيها شقا
إن لمتكن هاتيك دار السلام؟
نم آمنا، فالمرء بعد الردى
كالفكر ، لا يزرى به ، لا يضام

أمة تفنى وأنتم تلعبون

أعلى عيني من الدّمع غشاء
أم على الشّمس حجاب من غمام
غامض نور الطّرف أم غارت ذكاء
لست أدري غير أني في ظلام
ما لنفسي لا تبالي الطّربا
أين ذاك الزّهو ، أين الكلف؟
عجبا ماذا دهاها عجبا
فهي لا تشكو ولا تستعطف
ليتها ما عرفت ذاك النّبا
فالسّعيد العيش من لا يعرف
لا ابتسام الغيد، لا رقص الطّلاء
يتصبّاها ولا شدو الحمام
بالكرى عني وبي عنه جفاء
أنا وحدي... أم كذا كلّ الأنام؟
لاأرى لي من همومي مهربا
فهي في هذا وذيّاك الطّريق
في الرّبى فوق الرّبى تحت الرّبى
في الفضاء الرّحب في الرّوض الأنيق
في اهتزاز الغصن في نفح الصّبا

في انسجام الغيث في لمح البروق

كلّما أومض برق أو أضاء

بتّ أشكو في الدّجى وقع السّهام

في ابتسام الفجر للمرضى شفاء

وابتسام الفجر فيه لي سقام

تعتريني هزّة كالكهربا

كلّما حنّ مشوق لمشوق

علّمت عيني السّهاد الكوكبا

وفؤادي علّم البرق الخفوق

ما دعوت الدّمع إلاّ انسكبا

يا دموعي أنت لي أوفى صديق

لم أر كاليأس يغري بالبكاء

لا ولا كالدمع يفشي المستهام

فاستعينوا بالبكا يا تعساء

كلّما اشتدت بكم نار الهيام

خلت قلبي بالأسى منفردا

وأنا وحدي صريع المحن

وتوهّمت الأسى لن يجدا

سكنا في غير قلبي المثخن

وظننت الدّهر مهما حقدا

سوف لا يفجعني في وطني

فإذا تلك المغاني في شقاء

وإذا كلّ فؤاد في ضرام

ذهبت كلّ ظنوني في الهواء

وتولّت مثل أضغاث المنام

لا تأمني إن أنا لمت القضا

ولم الدّهر الذي أخنى عليّ

لم تدع فيّ اللّيالي غرضا

والضّنى لم يبق مني غير فيّ

لا تسلني: أيّ خطب عرضا

في الحشا وجد وفي المقول عيّ

قلّ غربي سالب السّيف المضاء

والشّذى الزّهرة والعقد النّظام

وإذا ما غلب اليأس الرّجاء

هانت الشّكوى ولم يجد الكلام

بصرت لكن مثلما شاء الكمد

شاعرا من مقلتي أرتجل

صدّ ما كان بنفسي عنه صد

وتجافاني الكلام المرسل

عقد الحزن لساني فانعقد

أيّ سيف ما اعتراه الفلل؟

بي هموم كلّما لاح الضّياء

ضربت فوق عيوني بلثام

وشجون كلّما جنّ المساء

قطعت بين جفوني والمنام

لا أرى غير خيالات تسير

مهطعات عن يساري واليمين

فوق أرض من دماء وسعير

في فضاء من هموم وشجون

عجبا ... أين ابتسامات الثّغور

ما لقومي كلّهم باك حزين

كلّ ما أسمع نوح وبكاء

كلّ ما أبصر ((صرعى ورمام))

زلزلت زلزالها هذي السّماء

أم ترى فضّت عن الموتى الرّجام

وقع الأمر الّذي لا يدفع

وجنى الجاني على تلك الرّبوع

واحتواها نهم لا يشبع

فاحتوى سكّانها خوف وجوع

فهي إمّا دمنة أو بلقع

وهم إمّا قتيل أو صريع

إن شكت قالت على الدّنيا السّلام

عبث الإنسان فيها والقضاء

آه من جور اللّيالي والطّغام

ربّ طفل طاهر ما أثما

مات موت الآثم المجرم

كان ممّن يرتجي لو سلما

للعلى لكنّه لم يسلم

كوكب ما كاد يبدو في السّما

طالعا حتّى اختفى كالحلم

غاض مثال الماء في الأرض العراء

ما عهدت البدر مثواه الرّغام

هكذا أودت به ريح الشّتاء

زهرة لم تنفتح عنها الكمام

ربّ شيخ أقعدته الحادثات

ومشى ((الأبيض)) في لّمته

وثناه الضّعف عن حمل القناة

وعن السّابق في حلبته

كان من قبل حلول الكارثات

آمنا كالنّسر في وكنته

لاهيا يذكر أيّام الصّباء

ولياليه وفي الثّغر ابتسام

حكم العاني عليه بالفناء

وأبى المقدور إلاّ أن يضام

وفتى كالغصن ريّان نضير

تحلم الخود به إذ تحلم

وتراه للهوى بين البدور

فتراه فوقهنّ الأنجم

ألمعيّ الذّهن والقلب الكبير

ملك في بردتيه ضيغم

بات لا يقوى على حمل الرداء

منكباه وهو في العشرين عام

ما به عجز ولا داء عياء

غير أنّ الجوع قد هدّ العظام

وصغار مثل أفراخ القطا

يتضاغون من الجوع الشّديد

وهنت أعصابهم لما سطا

والطّوى يوهن عزمات الأسود

أرأيت العقد إمّا انفرطا

هكذا دمعهم فوق الخدود

زهقت أرواحهم في شكل ماء

للأسى ، لله ما أقسى الحمام

يا رعى اللّه نفوس الشّهداء

وسقى أحداثهم صوب الغمام

أيّها الجالون عن ذاك الحمى

إنّ في ذاك الحمى ما تعلمون

ضيم في أحراره واهتضما

ووقفتم من بعيد تنظرون

لا؛ ومن شاء لنا أن ننعما

ما كذا يجزي الأب البّر البنون

كلكم يا قوم في البلوى سواء

لا أرى في الرّزء لبنانا وشام

في ربى لبنان قومي الأصفياء

وبأرض الشّام أحبابي الكرام

اللّيالي غاديات رائحه

بالدّواهي وأراكم تضحكون

ما اتّعظتم بالسّنين البارحه

لا ولا أنتم غدا متّعظون

يا لهول الخطب!.. يا للفادحه

أمة تفنى وأنتم تلعبون

فادفنوا أضغانكم يا زعماء

يبعث اللّه من القبر الوئام

وابسطوا أيديكم يا أغنياء

أبغض السّحب إلى الصّادي الجهام

صوت من سورية

صوت من سوريا الجميلة

صوتك لالعذب الرخيم

ضاحك مثل الخميلة

لا عب مثل النسيم

*

يا أخا الورقاء

فالغنا شعر السماء

فهو في الغصن تئنّ

وهو في النجم بهاء

صوت سوريا الجميلة

صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثل الخميلة
لاعب مثل النسيم
*
غنّنا حتّى نميلا
مثل أغصان الأراك
كم بنا صبا عليلا
لا يداويه سواك ؟
صوت سوريا الجميلة
صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثل الخميلة
لاعب مثل النسيم
*
أيّها المحزون هيّا
واسمع اليوم الكنار
ساجعا سجعا شجيّا
ذاكرا تلك الديار
صوت سوريا الجميلة
صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثل الخميلة
لاعب مثل النسيم
*
ليتنا كنّا طيورا
حول عين أو غدير
نرشف الماء نميرا
نلقط الحبّ النثير
صوت سوريا الجميلة
صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثل الخميلة
لاعب مثل النسيم
*
موطن نهوى سهوله
مثلما نهوى رباه
الصّبا فيه عليله

تتداوى بنداه

*

كم بدا البدر ضحوكا

راقصا فوق الكروم

واستوى اللّيل ممليكا

لابسا تاج النّجوم

صوت سوريا الجميلة

صوتك العذب الرخيم

ضاحك مثل الخميلة

لاعب مثل النسيم

البدر الآفل

أبعدك يعرف الصّبر الحزين

وقد طاحت بهجته المنون ؟

رمتك يد الزمان بشرّ سهم

فلمّا أن قضيت بكى الخؤون

رماك و أنت حبّه كلّ قلب

شريف ، فالقلوب له رنين

و لم يك للزمان عليك ثار

و لم يك في خلالك ما يشين

و لكن كنت ذا خلق رضيّ

على خلق لغيرك لا يكون

و كنت تحيط علما بالخفايا

و تمنع أن تحيط بك الظنون

كأنّك قد قتلت الدّهر بحثا

فعندك سرّه الخافي مبين

حكيت البدر في عمر و لكن

ذكاؤك لا تكوّنه قرون

عجيب أن تعيش بنا الأماني

و أنّا للأماني نستكين

و ما أرواحنا إلاّ أسارى

و ما أجسادنا إلاّ سجون

و ما الكون مثل الكون فان

كما تفنى الدّيار كذا القطين

لقد علقتك أسباب المنايا

وفيّا لا يخان و لا يخون

أيدري النعش أيّ فتى يواري

و هذا القبر أيّ فتى يصون ؟

فتى جمعت ضروب الحسن فيه

و كانت فيه للحسنى فنون

فبعض صفاته ليث و بدر

و بعض خلاله شمم و لين

أمارات الشّباب عليه تبدو

و في أثوابه كهل رزين

ألا لا يشمت الأعداء منّا

فكلّ فتى بمصرعه رهين

...

أيا نور العيون بعدت عنّا

و لمّا تمتليء منك العيون

و عاجلك الحمام فلم تودّع

و بنت و لم يودّعك القرين

و ما عفت الوداع قلى و لكن

أردت و لم يرد دهر ضنين

فيا لهفي لأمّك حين يدوّي

نعيّك بعد ما طال السّكون

و لهف شقيقك النّائي بعيدا

إذا ما جاءه الخبر اليقين

ستبكيك الكواكب في الدّياجي

كما تبكيك في الرّوض الغصون

و يبكي أخوة قد غبت عنهم

و أمّ ثاكل و أب حزين

فما تندى لنا أبدا ضلوع

عليك ، و ما تجفّ لنا شؤون

قد ازدانت بك الفتيان طفلا

كما يزدان بالتّاج الجبين

ذهبت بزينه الدّنيا جميعا

فما في الدهر بعدك ما يزين

و كنت لنا الرجاء فلا رجاء

و كنت لنا المعين فلا معين
أبعدك ، يا أخي ، أبغي عزاء
إذا شلّت يساري و اليمين ؟
يهون الرزء إلاّ عند مثلي
بمثلك فهو رزء لا يهون
عليك تقطّع الحسرات نفسي
و فيك أطاعني الدّمع الحرون
فملء جوانحي حزن مذيب
و ملء محاجري دمع سخين
و ما أبقى المصاب على فؤادي
فأزعم أنّه دام طغين
يذود الدمع عين عيني كراها
و تأبى أن تفارقه الجفون
لقد طال السّهاد و طال ليلي
فلا أدري الرّقاد متى يكون
كأنّ الصبح قد لبس الدّياجي
عليك أسى لذلك ما يبين
جزاك الله عنّا كلّ خير
و جاد ضريحك الغيث الهتون

يا جارتي

قالت لجارتها يوما تسائلها
عنّي ، و في طرفها الوسنان أشجان
ما بال الفتى في الدّار معتزلا
كما توحّد نسّاك و رهبان
يأتي المساء عليه و هو مكتئب
و يرجع اللّيل عنه و هو حيران
يمرّ بالقرب منّا لا يكلّمنا
و للحديث مجال ، و هو ملسان
و إن نكلّمه لا يفقه مقالتنا
إلاّ كما يفقه التّسبيح سكران
إذا تبسّم ، لا تبدو نواجده
و إن بكى ، فله نزع و إرنان
كأنّما كلّ عضو فيه بركان

فلا ابتسام ذوات الغنج يطربه
و لا ابنه الحان تصيبه و لا الحان
أماله أمل حلو يلذّ به
كما تلذّ بمرأى النّور أجفان
أماله جيرة في الأرض يألفهم
يا جارتي ، كان لي أهل و جيران
فنبّت الحرب ما بيني و بينهم
كما تقطّع أمراس و خيطان
فاليوم كلّ الذي في مهجتي ألم
و كلّ ما حولهم بؤس و أحزان
و كان لي أمل إذا كان لي وطن
فيه لنفسي لبانات و خلّان
فجرّدته اللّيالي من محاسنه
كما يعرّى من الأشجار بستان
فلا المغاني التي أشتاق رؤيتها
تلك المغاني ، و لا السّكان سكّان
لو المروءة تدري أيّ فاجعة
بالشام ، ناح عليها الإنس و الجان
و لو يبثّ بنو لوعتهم
لاهتزّت الأرض لمّا اهتزّ لبنان
قالت : شكوت الذي بالخلق كلّهم
و ما كذبتك إنّ الحرب طوفان
تساوت الناس في البلوى ، فقلت لها
هيهات ، ما هان قوم مثلما هانوا
أمن يموت و لا ستر يظلّله
كمن عليه أكاليل و تيجان ؟
قالت ، و يا ويح نفسي من مقالتها
كفكف دموعك ، بعض الحزن أهوان
لو كان قومك أهلا للحياة لما
ماتوا و في أرضهم ترك و ألمان
و كلّ من لا يرى في الذّلّ منقصة
لا يستحقّ بأن يبكيه إنسان
كفّي ملامك يا حسناء و اتّئدي
فإنّ مدح ذوي العدوان عدوان

و أنت من أمّة تأبى خلائقها

أن يقتل الطّير في الأقفاص سجّان

و إنّ قومي طيور غير كاسرة

سطت عليها شواهين و عقبان

لا تحسبي أنّني أبكي لمصرعهم

فكلّنا للرّدى شيب و شبّان

لكن بكيت من الباغي يعذّبهم

و هم شيوخ و أطفال و نسوان

ورحت أشكو إليها و هي ساهية

لكنّما قلبها الخفّاق يقظان

حتّى انتهيت فصاحت و هي مجهشة

يا ليت ما قلته زور و بهتان

بل ليتني لم أسائل جارتنا

بل ليت قلبي إذ ساءلت صوّان

ياليت شعري و هذي الحرب قائمة

هل تنجلي و لنا في الشّام إخوان ؟

و هل تعود إلى لبنان بهجته

و هل أعود و في لبنان نيسان ؟

فأسمع الطير تشدو في خمائله

و أبصر الحقل فيه الشّيخ و البان ؟

بني بلادي ، و لا أدعو بخيلكم

غير البخيل له قلب ووجدان

بني بلادي ، و لا أدعو جبانكم

ما للجبان و لا لي فيه إيمان

بني بلادي ، و كم أدعو ...! أليس لكم

كسائر الخلق أكباد و آذان ؟

لا تضحكوا و بأرض الشّام نائحة

و لا تناموا و في لبنان سهران !

امتنان

ما لقلبي يلجّ في الخفقان

لا أنا عاشق و لا أنا جان

أبتغي أن أقول شيءا فيعصاني

لساني ، و السحر تحت لساني

أنا كالطائر الذي اندفق السحر

عليه فغصّ بالألحان

أو كفلك في البحر أوفى عليها

عارض بعد عارض هتّان

غلبتني عواطف الصّحب حتّى

صرت في حاجة إلى ترجمان

أين في موكب القريض لوائي

قد طواه بيانهم و طواني

أيّها المادحون خمري رويدا

منكم الخمرة التي في دناني

من أنا ؟ ما صنعت ؟ كي تعصبوا بالتاج

رأسي و أيّ شأن شأني ؟

لا افتخار لنحلة حقلا

فعادت من زهرة بالمجّاني

أنا من روضكم قطفت أزاهيري ،

و من بحركم غرفت جماني

إن أكن فرقدا فأنتم سمائي

أو هزارا فأنتم بستاني

أيّ بدع إن أخرج الحقل للناس

صنوف النبات في نيسان ؟

ليس لي من قصائدي غير أوزان ،

و ليست أصيلة أوزاني

أصدق الشعر في الحياة و فيكم

ليس غير الأظلال في ديواني

...

ما هو الشعر ؟ . إنّني ما رأيت

اثنين إلاّ وفيه يختصمان

قال قوم " وحيّ ينزّله الله

" و قوم " نفث من الشيطان "

ضلّ هذا وذا ، فما حفز الانسان

شيء للشعر كالإنسان

يعشق المرء ذاته في سواه

و يحبّ " الإنسان " في الأكوان

أنا من أجله بنيت قصوري

و فرشت الدروب بالرّيحان

أنا من أجله سكبت خموري

وشددت الأوتار في عيداني

أنا من أجله رجعت من الروضة

في راحتيّ بالألوان

و استعرت التهليل من جدول

الوادي ، و ضحك الرضى من الغدران

و من الشمس في الأئل

و الإصباح ذوب اللّجين و العقيان

و حملت الجلال من أرض (سوريا)

إليه و السحر من لبنان)

نحن أهل الخيال أسعد خلق

الله في حالة الحرمان

كم زهدنا بثروة من نضار

قنعنا بثروة من أماني

وانطوينا موكب من ضياء

و سطعنا في غمرة من دخان

نتراءى على الصعيد صعاليك

و لكن أرواحنا في العنان

إن ظمئنا وعزّ أن نرد الماء

روانا تصوّر الغدران

و إذا غابت النجوم اهتدينا

بالرؤى ، بالرجاء ، بالإيمان

لا يعدّ الورى علينا اللّيالي

نحن قوم نعيش في الأزمان

...

ردّ عنّي الكؤوس ، يا أيّها السّاقي ،

فروحي نشوى بخمر المعاني

بالقوافي (جداولا) من وفاء

و الأغاني (خمائلا) من حنان

زهد الناس حين دارت عليهم

بالتي في كؤوسهم و القناني

...

أيّها اللّيل أنت أبهى من الفجر

و إن كنت أسود الطيلسان

بالوجوه الزهراء ، بالأنفس السمحاء ،

من يعرب و من غسّان

بملوك البيان ، بالأدب الرائع ،

بالمنشدين ، بالألحان

بالغواني ، فديتهنّ ، فأسمي الشعر

و الفنّ في الحياة الغواني

هذه الشمس هل رأى الناس

وجها مثلما في البهاء و اللّمعان

تتجلّى لنا على اليسر و العسر

و نمشي في نورها الفتّان

قد نسينا شعاعها و سناها

عندما أشرقت وجوه الحسان

قسّم الدهر - أنت ، يا ليل ، شطر

من حياتي ، و العسر شطر ثان

أنت عصر مستجمع في سويعات ،

ودنيا رحيبة في مكان

قد تلاقت فيك القلوب على الحبّ

تلاقي الأجفان بالأجفان

لا تقولوا دقائق و ثوان

ذاهيات فالعمر هذي الثّواني

...

أنا ما عشت سوف أذكر بالشّكر

جميل الرّفاق و الأخوان

و إذا متّ في غد فسيأتيكم

ثنائي من ظلمة الأكفان

ذكرى

إنّي امرؤ لا شيء يطرب روحه

و يهزّها كالزهر و الألحان

أللّحن من قمريّة أو منشد

و الزهر في حقل و في بستان

هذا يحرّك بي دفين صبابتي

و يهزّ ذاك مشاعري و كياني

يهوى الملاحة ناظري صورا ترى

و أحبّها في مسمعيّ أغاني

و أحبّها نورا جميلا صافيا

متألّقا في النفس و الوجدان

و أحبّها سحرا يرفّ مع النّدى

و يموج في الألوان كالألوان

و أحبّها ذكرى تطيف بخاطري

لأخ هويت ، و غادة تهواني

أو مجلس للحبّ في ظلّ الصبا

إنّ الحياة جميعها هذان

أو في خيال منازل أشتاقها

كم من جمال في خيال مكان

و لقد نظرت إليكم فكأنّما

أنا في الربيع و في ربى لبنان

أصغي إلى النسمات تروي للربى

ما قالت الأشجار للغدران

و إلى السّواقي و هي تنشد للصبا

و الحبّ ، في الفتيات و الفتيان

و إلى الأزاهر كلّما مرّت بها

عذراء ذات ملاحة و بيان

متهامسات : ما نظنّ (فلانة)

أحدا بها أولى من (ابن فلان)

يا ليت ينثرنا الغرام عليها

من قبل ينثرنا الخريف الجاني "

ألفت مجاورة الأنام فأصبحت

و كأنّها شيء من الإنسان

فإذا نظرت إليها متأمّلا

شاهدت حولك وحدة الأكوان

معركة بورغاس

هذي الوغى مشبوبة النيران

مشدودة الأسباب والأقران

شابت مفارقها وكانت طفلة

عذراء منذ دقائق وثوان

طوى السّلام فليس ينشر بعدها

أو يبعث الملحود في الأكفان

شقوا الطّروس وحطّموا أقلامكم

أليوم يوم شواجر المرّان

هانت على الصّمصام كلّ يراعة

ما لليراعة في الحروب يدان

يا صاحبي ليس الوغى من مذهبي

هاتيك وسوسة من الشّيطان

فالنّاس إخوان وليس من النّهى

أن يفتك الإخوان بالإخوان

لو تعقل الأجناد أنّ ملوكها

أعداؤها انقلبت على التيجان

قوم إذا شاؤوا الصّعود لمطلب

تخذوا مراقيهم من الأديان

أو إن كرهت الحرب كنت يراعة

وإذا قتلت أخاك غير جبان؟

إن كان قتل النّفس غير محرم

ما الفرق بين المرء والحيوان؟

الحرب مجلبة الشّقاوة للورى

والحرب يعشقها بنو الإنسان

لمن الخميس خوافق راياته

متماسك الأجزاء كالبنيان

متألب كاللّيل جنّ سواده

مستوفز كالقدر في الغليان

متدّفق كالسّيل في الغدرا

متدفّع كالعاصف المرتان

تتنزلزل الأطواد من صدماته

وتظلّ منه الأرض في رجفان

عجلان يكتسح البلاد وأهلها

إنّ الشّقيّ العاجز المتواني

في كلّ سرج ضيغم متحفّز

في كفّه ماضي الشّباة يمان

البغضاء

لا تبغض ((الرّوس)) لكن لا تحبّهم

فحربنا حرب أقران لأقران

ولا ((الفرنسيس)) ما هم بالعداة لنا

لكنّهم غير أصحاب وإخوان

إنّا نبادلهم والنّع منسدل

لكنّهم بطعن ونيرانا بنيران

وذي بيارقنا في ((الفوج)) خافقة

وجيشنا ظافر في كلّ ميدان

قلوبنا ليس فيها غير موجدة

ذو الشّيب فيها وفحم الشّعز سيّان

نهوى ونحن جموع لا عداد لها

كواحد وكذا نقلى كإنسان

عدوّنا واحد؛ الكلّ يعرفه

ذاك الحسود الخبيث الماكر الشّاني

تردّنا عنه أمواج يلوذ بها

سميكة كالنّجيع اليابس القاني

أرى به، وهو في الطّوفان مختبىء

طوفان غيظ توارى خلف طوفان

قد أصبح الماء يحميه ويمنعه

الويل للماء منّا إنّه جان

قفوا أمام القضاء العدل كلكم

وليحلفنّ يمينا كل ألماني

غليظة كالحديد الصّلب ، صارمة

كالموت ، تبقّى لأزهار وأزان

أن نبغض البغض لا تبلى مرائره

ولا يقاس ولا يحصى بميزان

وان نردّده في كلّ ناحية

وأن نكرّره تكرير ألحان

وأن نعلّم منّا كلّ ذي كبد

أن يبغض القوم في سرّ وإعلان

بغضا إلى نسلينا بالإرث منتقلا

إلى بنيهم ومن جيل إلى ثاني

عدوّنا واحد، الكلّ يعرفه

ذاك الحسود الخبيث الماكر الشّاني

إنكلترا!!

ألا اسمعوا أيّها الألمان واعتبروا

فأنتم أهللا ألباب وأذهان

... في حقل جلس الوّاد كلّم

كمحكم العقد أو مرصوص بنيان

وقام واحدهم والكأس في يده

كأنّها قبس أو عين غضبان

فقال: يا قوم ((هذا سرّ يومكم))

ألا اشربوا ؛ إنّ اليوم سرّان

مقالة فعلت في الجمع فعلتها

فأصبحوا وكأنّ الواحد اثنان

ما ضربة السّيف من ذي مرّة بطل

ومستطير اللّظى من قلب صوّان

ولا السّفينة في التّيار جارية

ولا الشهاب هوى في إثر شيطان

أمضى وأنفذ منها وهي خارجة

من فيه كالسّهم من أحشاء مرتان

فضاء من كان في الكأس التي ارتفعت

ومن يريد ويعني القائل العاني؟

إنكلترا!!

بني بريطانيا نادوا جموعكم

واستصرخوا الخلق من إنس ومن جان

وابنوا المعاقل والأسوار من ذهب

واستأجروا الجند من بيض وعبادن

مروا أساطيلكم في البحر ترصدنا

وترصد البحر من موج وحيتان

تالله لا ذي ولا هذي تردّ يدا

إذا رمت دكت البنيان والباني

لا نبغض الرّوس لكن لا نحبّهم

فحربنا حرب أقران لأقران

ولا الفرنسيس ، ما هم بالعداة لنا

لكنّهم غير أصحاب وإخوان

إنّا نبادلهم والنّقع منسدل

طعنا بطعن ونيرانا بنيران

نأتي ويأتون والهيجاء قائمة

بكل ماض وفتّاك وطعّان

لكنّما في غد يرخي السّلام على

هذي الوغى وعليهم سترنسيان

ويمّحي كلّ بغض غير بغضكم

فإنّه آمن من كلّ نقصان

حقد القلوب عليكم لا يزول وإن

زلتم وزلنا وزال العالم الفاني

في الأرض بغضكم والماء مثلهما

والبغض في الحرّ مثل البغض في العاني

الكوخ يبغضكم والقصر يبغضكم

وكلّ ذي مهجة منّا ووجدان

نهوى ونحن جموع لا عداد لها

كواحد وكذا نقلى كأنسان

عدوّنا واحد؛ الكلّ يعرفه

ذاك الحسود الخبيث الماكر الشّاني

إنكلترا!!

في سبيل الاصلاح

حيّا الصّبا عني ربى لبنان

حيث الهوى ومراتع الغزلان

ورعى المهيمن ساكنيه فإنّهم

في خير أرض خيرة السكّان

قوم صفت أخلاقهم ووجوههم

فالحسن مجموع إلى الإحسان

لهم الأيادي البيض والشّيم التي

لو مثلت كانت عقود جمان

شيم الكرام قصائد في الكون غرّ ،

وهى في شيم الكرام معان

قوم إذا زار الغريب بلادهم

جعلوه منهم في أجل مكان

إن خفت شرّ طوارق الحدثان فاقصدهم،

تخفك طوارق الحدثان

لو أنّ في كيوان دار إقلتي

لهجرت كيوانا إلى لبنان

قيّدت قلبي في هواه فلم أعد

أهوى السّوى إذ ليس لي قلبان

والحبّ تجمل في الشبيبة والصّبى

كجمال زهر الرّوض في نيسان

هو جنّة الخلد التي منّى بها

رسل الهدى قدما بني الإنسان

خلت الدّهور ولا يزال كأنّما

بالأمس شادته يد الرحمن

يا ساكنيه تحية من نازح

إن التحيّة لهي جهد العاني

أصبحتم فوق الممالك رقعة

لولا وجود معاشر(الغربان)

قوم قد اتخذوا الديانة بينكم

شركا لصيد الأصفر الرّنان

فتظاهر بالزّهد حتى أوشكت

تخفى دخائلهم على اليقظان

وتفنّنوا بالمكر حتى أصبحوا

وغبّيهم أدهى من الشيطان

ضربوا على الشّعب الرّسوم شراهة

حسب التعيس ضرائب السّلطان

كفروا بنعمته التي أسداهم

ورموه بالإحاد والكفران

ولقد تفانوا في انتهاك حقوقه

وهو المحبّ رضاهم المتفاني

حتّى حسبنا أنه ينحطّ عن

كسل ، ولم قطّ بالكسلان

لكنّه يسعى ويذهب سعيه

للقس والشّماس والمطران

لولا احترامي مذهبا عرفوا به

لكشفت مستوارتهم ببيان

فتنّهبوا إن كنتم في غفلة

فالدّهر بالمرصاد للغفلان

إنّ الأبالس حين أعيا أمركم

جاءتكم في صورة الرّهبان

فحذرا من أن تخدعوا بلباسهم

فهم الضّواري في لباس الضّان

من يتبع العميان حبّا بالهدى

لا يأمننّ تعثّر العميان

**

فجعل قوم يلومونه على ذلك فقال:

- - -

إن كان لي ذنب وهم غفرانه

آثرت أن أبقى بلا غفران

أو كنت في النيران حيث لديهم

منها النجاة رضيت بالنيران

أشهى إلى من الذّل الرّدى

لا يرتضي بالذّل غير جبان

زهرة اقحوان

كلن في صدري سرّ كامن كالأفعوان

أتوقاه وأخشى أن يراه من يراني

وإذا لاح أمامي عقل الذعر لساني

فكأني عند بحر هائج أو بركان

لم أخفه غير أني خفت أبناء الزمان

ولكم فان نظيري خاف قلبي بطش فان

***

لم يسع سري فؤادي، لم تسع المعاني

فقصدت الغاب وحدي والدّجى ملقى الجران

ودفنت السرّ فيه مثلما يدفنّ جان

ورأى الليل قتلي فبكاه وبكاني

إنّ لليل دموعا لا تراها مقلتان

كنت حتى مع ضميري أمس في حلرب عوان

فانقضى عهد التجافي وأتى عهد التداني

خدّرت روحي فأمسى شأن جلّ الخلق شأني

لا أرى في خمر معنّى ، ولكم فيها معاني

فكأني آله العاصر أو إحدى الأواني

لم يعد قلبي كالبرق شديد الخفقان

لم تعد نفسي كالنجمة ذات اللمعان

بتّ لا أبكي لمظلوم ولا حر مهان

لا ولا أحفل بالباكي ولو ذو صولجان

صرت كالصخر سواء هادم عندي وبان

***

يا لآمالي الغوالي ! يا لأحلامي الحسان!

طوت الغابة سري فانطوت معه الأماني

ضاع لما ضاع شيء من كياني بل كياني

في صباح مستطير كمصباح المهرجان

لبست فيه الروابي حلة من أرجوان

وتبدّى الغاب من أوراقه في طيلسان

ساقني روح خفي نحو ذيّاك المكان

فإذا بالسرّ أضحى زهرة من أقحوان

الفردوس الضائع

ما زال يمشي في الأمو بفكره

حتّى تمشّى النّوم في الأجفان

وكما يرى الوسنان راء كأنّه

في النّعش ميت هامد الجثمان

وعلى جوانب نعشه صفّان

من جند ((ألبرت)) الرّفيع الشّان

يبكونه لا شامتين بموته

ليس الشّماتة عادة الشجعان

ورأى حواليه جماهير الورى

تستعلرض الملحود في الأكفان

وكأنّما كره اختلاط رفاته

في الأرض بالضّعفاء والعبدان

أو أنّ مرأى الحشد أقلق روحه

في جسمه فهفا إلى الطّيران

ومن العجائب في كرى أنّ الفتى

يغدو به وكأنّه شخصان

...

أمّ السّماء وقد توهّم أنّه

لا شكّ والجها بلا استئذان

ما زال يرقى صاعدا حتى انتهى

حيث الغناء مثالث ومثاني

فرمى بناظره فأبصر بابها

فمشى إليه مشية العجلان

وأقام يفرعه فأقبل ((بطرس))

ذو الأمر في الفردوس والسّلطان

وأدار فيه لحظه فإذا به

ضيف، ولكن ليس كالضّيفان

ما جاءنا بك؟ صاح ((بطرس)) غاضبا

يا شرّ إنسان على الإنسان

إذهب فما لك في السّما من موضع

يا أيّها الرّجل الأثيم الجاني

ثمّ انثنى للباب يحكم سدّه

والضّيف لم ينبس ببنت لسان

ما ذي الفظاظة ؟ قال((وليم)) وانثنى

لليأس كالمصفود في الأقرا

وبمثل لمح الطّرف أسرع هابطا

نحو الجحيم يقول ذاك مكاني

هيهات يحرم من جهنّم عائد

من جانب الفرّدوس بالحرمان

حتّى إذا ما صار دون رتاجها

سميع ((الزّعيم)) يصيح بالأعوان

أبني جهنّم أوصدوا أبوابكم

واستعصموا كالطّير بالأوكان

كونوا على حذر ففي هذا الضّحى

يأتي إلينا قيصر الألمان

إن كنتم لم تعلرفوه فإنّه

رجل بلا قلب ولا وجدان

أخشى على أخلاقكم إن زاركم

وهي الحسان تصير غير حسان

إيّاكم أن تسمحوا بدخوله

فدخوله خطر على السّكان

أمري لكم أصدرته فخذوا به

وحذار ثمّ حذار من عصياني

ماذا تراني؟ صاح ((وليم)) باكيا

حتّى الأبالس لا تحبّ تراني

ابليس ، يا شيخ الزّبانية الألى

كانوا لأخداني من الأخدان

رحماك بي ،فاللّيل قاس برده

والهول يملأ ناظري وجناني

بجهنّم، بالسّاكني حجراتها

بمواقد النّيران ، بالنّيران

وبكلّ شيطان مريد ماكر

وبكلّ تابع مارد شيطان

مر ينفتح باب الجحيم فإنّني

قد كاد يجمد للصقيع لساني

يا ليت شعري أين أذهب بعدما

سدّ السّبيل وأوصد البابان

مر لي بزاوية أزجّ بمهجتي

فيها، وإن تك من حميم آن

هلاّ قبلت تضرّعي؟ فأجابه

إبليس، وهو يروع كالسّرحان

لو كنت أعلم ما سكتّ فلا تزد

لا أرى للحيران في الحيران

عبثا تحاول أن تصادف عندنا

نزلا، فهذا ليس بالإمكان

لا تذكرنّ ليّ الحنان وما جرى

مجراه، إني قد قتلت حناني

لا يدخلنّ جهنّما ذو مطمع

بالمجد أو بالأصفر الرّنّان

إن كنت تشتاق الإقامة في اللّظى

فالنّار والكبريت كلّ مكان

فاجمعهما واصنع لنفسك منهما

ولمن تحبّهم جحيما ثاني

وهنا تقهقر ((وليم)) ثمّ اختفى

ما بين ليل حالك ودخان

فأفاق مذعورا يقلّب طرفه

للرّعب في الأبواب والحيطان

ويقول لا أنساك يا حلمي ولو

نسجت عليّ عناكب النّسيان

ما راعني أنّي طردت من السّما

أنا قانط من رحمة الدّيّان

لكنّ طردي من جهنّم، إنّه

ما دار في خلدي ولا حسباني

الشجاع

لا أحبّ الإنسان يرضخ للوهم،

ويرضى بتافهات الأماني

إنّ حيّا يهاب أن يلمس النور

كميت في ظلمة الأكفان

وحياة أمدّ فيها التوقّي

لا توازي في المجد بضع ثوان

ألشجاع الشجاع عندي من أمسى

يغنّي والدمع في الأجفان

الحرب العظمى

لو استطيع كتبت بالنّيران

فلقد عييت بكم وعيّ بياني

ولكدت استحي القريض وأتّقي

أن يستريب يراعتي وجناني

أمسى يعاصيني لما جشّمته

فيكم وكنت وكان طوع بناني

يشكو إلّي وأشتكي إعراضكم

اللّه في عان يلوذ بعان

عاهدته أن لا أثير شجونه

أو يستير كوامن الأشجان

يا طالما استبكيته فبكى لكم

لولا الرّجاء بكيته وبكاني

كم ليلة أحيتها متململا

طرفي وطرف النّجم ملتقيان

تحنو على قلمي يميني والدّجى

حان على فتيات والفتيان

أجلو عرائسه لكم وأزفها

ما بين بكر كاعب وعوان

متألما فيكم وفي أبنائكم

وهم وأنتم نائمو الأحزان

ما غال نومي حبّ معسول اللّمى

ممنوعه، لكن هوى الأوطان

أنفقت أيّام الشّباب عليكم

في ذّمة المضي الشّباب الفاني

كم تسألوني أن أعيد زمانه

يا قوم ، مرّ زمانه وزماني

هان اليراع على البواتر والقنا

ما تصنع الأقلام بالمرّان

ليس الكلام بنافع أو تغتدي

حمر المضارب خلف كلّ لسان

والشّعب ليس بمدرك آماله

حتّى يسير على النّجيع القاني!..

***صلّ الحديد وشّمرت عن ساقها

وتنكّر الإخوان للإخوان

فالخيل غاضبة على أرسانها

والبيض غاضبة على الأجفان

والموت من قدّامهم وورائهم

والهول كلّ ثنيّة ومكان

بسطت جناحيها ومدّت ظلّها

فإذا جناحا السّلم مقصوصان

تغشى مواكبها ثلاث غياهب

من قسطل ودجنّة ودخان

ويردّ عنها كلّ خائض لّجة

سيلان: من ماء ومن نيران

أنّى التفتّ رأيت رأسا طائرا

أو مهجة مطعونة بسنان

يمشي الرّدى في إثر كلّ قذيفة

فكأنّما تقتاده بعنان

فالجوّ مّما من أرواحهم

لا تستبين نجومه عينان

والنّهر ممّا سال من مهجاتهم

يجري على أرض من المرجان

والأرض حمراء الأديم كأنّها

خدّ البيّة أو خضيب بنان

كم من مبيح للضّيوف طعامه

أمسى طعام الأجدال الغرثان

ومقاتل ناش الكتيبة، ناشه

ظفر العقاب ومخلب السّرحان

ومحلّق بين المجرّة والسّها

صعد الحمام إليه في الطيران

ومشيّد وقف الزّمان حياله

متحيّرا بجماله الفتّان

أخنى على ذكر ((الخورنق)) ذكره

وسما على ((الحمراء)) و((الإيوان))

وقضى العصور النّاس في تشييده

أودت به مقذفة وثوان

ومدينة زهراء آمنة الحمى

هدمت منازلها على السّكان

خرست بلابلها الشّوادي في الضّحى

وعلا صياح البوم والغربان

وتعطلّت جنّانها وقصورها

ولقد تكون بغبطة وأمان

حرب أذلّ بها التّمدّن أهله

وجنى الشّيوخ بها على الشّبان

سحق القويّ بها الضّعيف وداسه

ومشى على أرض من الأبدان

بئس الوغى يجني الجنود حتوفهم

في ساحها والفجر للتيجان

ماأقبح الإنسان يقتل جاره

ويقول هذي سنّة العمران

بلي الزّمان وأنت مثلك قبله

يا شرعة قد سنّها الجدّان

فالقاتل الآلاف غاز فاتح

والقاتل الجاني أثيم جان

لا حقّ إلاّ تؤيّده الظّبى

ما دام حبّ الظّلم في الإنسان

لو خيّر الضّعفاء لاختاروا الرّدى

لكنّ عيش الأكثرين أماني

ما بال قومي نائمين عن العلى

ولقد تنبّه للعلى الثّقلان

تبّاع أحمد والمسيح ، هوادة

ما للعهد أن يتنكّر الأخوان

اللّه ربّ الشّرعتين وربّكم

فإلى متى الدّين تختصمان

مهما يكن من فارق فكلاكما

ينمى إلى قحطان أو غسّان

فخذوا بأسباب الوفاق وطهّروا

أكبادكم من لوثة الأضغان

في ما يحيق بارضكم ونفوسكم

شغل لمشتغل عن الأديان

نمتم وقد سهر الأعادي حولكم

وسكنتم والأرض في جيشان

لا رأي يجمعكم إذا اختلف القنا

وتلاقت الفرسان بالفرسان

لا رأية لكم يدافع دونها

مردالعوارض، والحتوف دواني

لا ذنب للأقدرا في إذلالكم

هذا جزاء الغافل المتواني

لو لم يعزّ الجهل بين ربوعكم

ما هان جمعكم على الحدثان

المرء ، قيمته المعارف والنّهى

ما نفع باصرة بلا إنسان

ما بالكم لا تغضبون لمجدكم

غضبات ملطوم الجبين مهان

أو لستم كالنّاس أهل حفائظ

أم أنتم لستم من الحيوان؟

أبناؤكم ، لهفي على أبنائكم

يلهو بهم أبناء جنكيز خان
النّازعون الملك من أيديكم
العابثون بكم وبالقرآن
أو كلما طلعت عليهم أزمة
هاجوا ضغائنكم على الصّلبان
لا تخدعنّكم لسّياسة إنّها
شتّى الوجوه كثيرة الألوان
لو تعقلون عملتم لخلاصكم
من دولة القينات والخصيان
عارعلى نسل الملوك بني العلى
أن _ يستذلّهم بنو الرّعيان
ثوروا عليهم واطلبوا استقلالكم
ونشبّهوا بالصّرب واليونان
مذا يروع نفوسكم ، ما فيكم
وكلّ ولا التّرك غير جبان
وهبوهم الرّومان في غلوائهم
أفما غلبتم أمّة الرّومان
ما الموت ما أعيا النّطاسي ردّه
موت الذّليل وعيشه سيّان

العبد المتنكر

زعم المؤدّب أنّ عيرا ساءه
أن لا يسار به إلى الميدان
فمضى فقصرت القواطع ذيله
وسطت مواضيها على الآذان
حتى إذا جاء المروض واعتلى
متنيه راب الفارس الكشحان
لكنه ما زال غير مصدّق
حتى راب صوت كصوت الجان
فاستل صارمه فطاح برأسه
ورمى بجثته إلى الغربان
ما دام يصحب كلّ حي صوته
هيهات يخفي العير جلد حصان

وقائلة

وقائلة: هجرت الشعر حتى

تغنّى بالسخافات المغنّي

أتى زمن الربيع وأنت لاه

وقد ولّى ولم تهتف بلحن

ونفسك كالصّدى في قاع بئر

ومثل الفجر ملتحفا بدجن

فما لك ليس يستهويك حسن

وأنت لمرء تعشق كلّ حسن؟

أتسكت والشباب عليك ضاف

وحولك للهوى جنّات عدن؟

ركود الماء يورثه فسادا!

فقلت لها : استكيني واطمئني

فما حطمت يد الأيام روحي

وإن حطمت أباريقي ودنّي

ولم أعقد على خوف لساني

ولا ضنّا على الدنيا بفنّي

ولكنّي امرؤ للناس ضحكي

ولي وحدي تباريحي وحزني

إذا أشكو إلى خدن همومي

وفي وسعي السكوت ظلمت خدني

وتأبى كبريائي أن يراني

فتى مغرورقا بالدمع جفني

فأستر عبرتي عنه نئلا

يضيق بها وإن هي أحرقتني

ويبكي صاحبي فإخال أني

أنا الجاني وإن لم يتّهمني

فأمسح أدمعا في مقلتيه

وإن حكت اللهب ، وإن كوتني

لأني كلما رفّهت عنه

طربت كأنني رفّهت عنّي

كذلك كان شأني بين قومي

وهذا بين كلّ الناس شأني

أقول لكلّ نوّاح رويدا

فإنّ الحزن لا يغني ، ويضني

وجدت الدمع بالأحرار يزري

فليت الدمع لم يخلق بجفن!

...

سبيل العز أن تبني وتعلي

فلا تقنع بأنّ سواك يبني

ولا تك عالة في عنق جدّ

رميم العظم أو عبئا على ابن

فمن يغرس لكي يجني سواه

يعش ، ويموت من يحيا ليجني!

...

ألائمتي اتركيني في سكوني

ولومي من يضجّ بغير طحن

إذا صار السماع بلا قياس

فلا عجب إذا سكت المغني

أنا ولئن سكتّ وقال غيري

وجعجع صاب الصوت الأرنّ

إذا أنا لم أجد حقلا مريعا

خلقت الحقل في روحي وذهني

فكادت تملأ الأثمار كفّي

ويعبق بالشّذى الفوّاح ردني

أخت ليلى

ولقد علقت من الحسان مليحة

تحكي الهلال بحاجب وجبين

كلفت بها ودون وصولها

وصل المنون وثمّ ليث عرين

حسناء أضحى كلّ حسن دونها

ولذاك عشّاق المحاسن دوني

قد روّعت حتى لتخشى بردها

من أن يبوح بسرّها المكنون

وتريبها أنفاسها ويخفيها

عند اللقاء تنهّد المحزون

هجرت فكلّ دقيقة من هجرها

عندي تعدّ بأشهر وسنين
يا هذه لا تجحدي حقي فقد
أصليت قلبي بالنّوى فصليني
أطلقت دمعا كان قلب مقيّدا
وسجنت قلبا كان غير سجين
أشبهت (ليلى العامرية) فاكتمي
خبر الذي قد صار (كالمجنون)

عش للجمال

عش للجمال تراه العين مؤتلقا
في أنجم الليل أو زهر البساتين
وفي الرّبى نصبت كفّ الأصيل بها
سرادقا من نضار للرياحين
وفي الجبال إذا طاف المساء بها
ولفّها بسرابيل الرّهابين
وفي السواقي لها كالطفل ثرثرة
وفي البروق لهاضحك المجانين
وفيابتسامات ((أيار)) وروعتها
فإن تولّى ، في أجفان((تشرين))
لا حين للحسن ، لا حدّ يقاس به
وإنّما نحن أهل الحدّ والحين
فكم تماوج في سربال غانية
وكم تألق في أسمال مسكين
وكم أحسّ به أعمى فجنّ له
وحوله ألف راء غير مفتون
عش للجمال تراه ههنا وهنا
وعش له سرّ جدّ مكنون
خير وأفضل ممن لا حنين لهم
إلى الجمال ، تماثيل من الطين

((ميامي فلوريدا))

ألقاها في المأدبة التي أقامها النادي السوري اللبناني

الاميركي في ميامي فلوريدا تكريما له.

- - -

ما طائر كان في بيداء موحشة

فساقه قدر نحو البساتين

فبات تسعده فيها بلابلها

حينا ، ويسعدها بعض الأحايين

مني بأسعد حظا مذ نزلت بكم

يا معشر السادة الغرّ الميامين

فررت من برد كانون فقابلني

في أرضكم بالأقاحي شهر كانون

أنسام ((أيار)) تسري في أصائلها

وفي عشياتها أنفاس ((تشرين))

توزّع السحر شطرا في مغارسها

ولآخر في لحاظ الخرّد العين

كلّ الشتاء ربيع في شواطئها

وكلّ أيامها عيد الشعانين

لكن ميامي وإن جلّت مفاتنها

لولا وجودكم ليست لتغريني

إني لأشهد دنيا من عواطفكم

أحبّ عندي من دنيا الرياحين

وكلما سمعت نجواكم أذني

ظننت أني في دنيا تلاحين

شيء ، يوم الرّوع ، أجمل عنده

من أن يرى والقرن يصطرعان

يا ربذ معركة تراكم نقعها

حتى اختفى في ظلّها الجيشان

باتت صقال الهند في أفيائها

كالبرق يسطع من خلا دخان

والخيل طائرة على أرسانها

تهوى لو انعتقت من الأرسان

دوت المدافع كالرّعود قواصفا

نطق الحديد فعيّ كلّ لسان

ترمي بأشباه الرّجوم تخالها

حمراء قد صيغت من المرجان

ما إن تطيش وإن نأت إغراضها

ولكم تطيش قذائف البركان

صخّابة تذر الحصون بلاقعا

وتدكّها دكّا إلى الأركان

تنقضّ والفرسان في آثارها

تنقضذ مثل كواسر العقبان

هي وقعة ضجّت لها الدّنيا كما

ضجّت وضجّ النّاس في ((سيدان))

مشت المنايا حاسرات عندها

تتطلب الأرواح في الأبدان

فعلى أديم الجو ثوب أسود

وعلى أديم الأرض ثوب قان

وإذا نظرت إلى الجسوم على الثرى

أبصرت كثبانا على كثبان

لّما رأوا(بورغاس) ضرّة مكدن

حملوا عليها حملة اليابان

وقد انجلت فإذا الهلال منكس

علم طوته راية الصّلبان

رجحت قواهم أيّما رجحان

فيها وشال التّرك في الميزان

نفروا لكالحمر التي روعتها

بابن الشّرى المتجهّم الغضبان

وقلوبهم قد أسرعت ضرباتها

وتظنّها وقفت عن الخفقان

متلفّتين إلى الوراء باعين

تتخيل الأعداء في الأجفان

يتلمّسون من المنيّة مهربا

هيهات إنّ الموت كلّ مكان

واللّه ما ينجون من أشراكه

ولو استعاروا أرجل الغزلان

أسلابهم للظّافرين غنيمة

وجسومهم للحاجل الغرثان

إن يأمنوا وقع الأسنّة والظّبى
فالدّعر طاعنهم بشّر سنان
ما أنس لا أنسى عصابة خرّد
في اللّه مسعاهنّ والإحسان
عفن الوثير إلى وسائد فضّة
ونزحن عن أهل وعن أوطان
ووقفن أنفسهنّ في الدنيا على
تأمين ملتاع ونصرة عان
يحملن ألوية السّلام إلى الألى
حملوا لواء الشّر والعدوان
كم من جريح بالنّجيع مخضّب
في الأرض لا يحنو عليه حان
ما راعة طيف المنيّة مثلما
راعت حشاه فرقة الخّلان
فله، إذا ذكر الدّيار واهله،
آه الغريب وأنّه الشّكلان
نفّسن من برجائه، وأسونه
وأعضنه من خوفه بأمان
ما حبّب الجنّات عندي أنّها
مثوى سلام، مستقرّ حسان
لولا حنان الغابيات وعطفها
ما كانت الدّنيا سوى أحزان
من مسمع الأيام عنّي نبأة
يرتاع منها كلّ ذي وجدان
إنّ الألى جبنوا أمام عدلتهم
شجعوا على الأطفال والنّسوان
وصوارما قد أغمدت يوم الوغى
شهرت على الأضياف والقطّان
أكذا يجازي الآمنون بدورهم
أو هكذا قد جاء في القرآن؟
أخنى على الأتراك دهر حول
أخنى على يونان والرّومان
وطوى محاسن ((يلدز))قدر طوى
ربّ السّدير وصاحب الإيوان

فاليوم لا أستانة

تزهو ولا السّلطان بالسّلطان

دارت دوائره عليها مثلما

دارت دوائره على ((طهران))

أمنبّهي الأضغان كيف هجمتم

لّما تنّبه نائم الأضغان

وحكومة الأشباح ويحك ما الّذي

خالفت فيه عصبة الفتيان

قالوا: لنا الملك العريض وجاهه

كذبوا فإنّ الملك للرّحمن

ما بال قومي كلّما استصرختهم

وضعوا أصابعهم على الآذان

أبناء سوريّا الفتاة تضافروا

وخذوا مثالتكم عن البلقان

ما التّرك أهل أن يسودوا فيكم

أو تحك الآساد بالظّلمان

هم ألبسوا الشّرقي ثوب غضاضة

وسقوه كأسي ذلّة وهوان

فإذا جرى ذكر الشّعوب بموضع

شمخت، وطأطأ رأسه العثماني! ..

لكن ميامي وإن جلّت مفاتنها

لولا وجودكم ليست لتغريني

إني لأشهد دنيا من عواطفكم

أحبّ عندي من دنيا الرياحين

وكلّما سمعت نجواكم أذني

ظننت أني في دنيا تلاحين

لأنتم النور لي والنور منطمس

وأنتم الماء إذ لا ماء يرويني

أحببتكم حبّ إنسان لإخوته

إذ ليس بينكم فوقي ولا دوني

إن كان فيكم قوي لا يقاهرني

أو كان فيكم ضعيف لا يداجيني

قل لامرىء مثل قارون بثروته

إني امرؤ بصحابي فوق قارون

من يكتسب صاحبا تبق مودته

فهو الغنّي به لا ذو الملايين

فاختر صحابك وانظر في اختارهم

إلى الطبائع قبل اللون والدين

ليس الوداد الذي يبق إلى أبد

مثل الوداد الذي يبقى إلى حين

والمرء في هذه الدنيا عواطفه

إن تندرس فهو بيت غير مسكون

لوفاتني كلّ ما في الأرض من ذهب

ولم تفتني فإني غير مغبون

لو القوافي تؤاتيني شكرتكم

كما أريد ، ولكن لا تؤاتيني

لا يمدح الورد إنسان يقول له

يا ورد إنك ذو عطر وتلوين

فاستنطقوا القلب عني فهو يخبركم

فالحبّ والقلب مكنون بمكنون

لولا المحبة صار الكون أجمعه

طوبى الأفاعي وفردوس السراحين

إني سأحفظ في قلبي جميلكم

وسوف أذكره في العسر واللي

شبح

رسالة من لبنان الى ابنائه المهاجرين قالها في حفلة

بأبي خيال لاح لي متلفّفا

بعياءة من عهد فخر الدين

يمشي على مهل ويرسل طرفه

في حيرة المستوحش المحزون

من أنت يا شبحا كئيبا صامتا؟

قل لي فإنّك قد أثرت شجوني

أخيال خصم أتّقي نزواته؟

أم أنت ، يا هذا، خيال خدين؟

فأجابني مترفّقا متحبّبا

فسمعت صوت أب أبرّ حنون

...

يا شاعري قل للألى هجروني

أنا ما نسيتكم فلا تنسوني

ما بالكم طوّلتم حبل النوى

يا ليت هذا الحبل غير متين

قد طفتم الدنيا فهل شاهدتم

جبلا عليه مهابني وسكوني؟

أوردتم كمناهلي ؟ أنشقتم

كأزاهري في الحسن والتلوين؟

ولقد تظللتم بأشجار فهل

رقّت غصون فوقكم كغصوني؟

وسمعتم شتّى الطيور صوادحا

أسمعتم أشجى من الحسّون؟

هل أنبتت كالأرز غيري بقعة

في مجده وجلاله الميمون؟

أرأيتم في ما رأيتم فتنة

كالبدر حين يطلّ من صنّين؟

أو كالغزالة وهي تنقض تبرها

عند الغيب على ذرى حرمون؟

مرّت قرون وانطوت وكأنني

لمحاسني كوّنت منذ سنين

أبليتها وبقيت ، إلاّ أنّني

للشوق كاد غيابكم يبليني

...

لبنان! لا تعذل بنيك إذا هم

ركبوا إلى العلياء كلّ سقين

لم يهجروك ملالة لكنّهم

خلقوا لصيد اللؤلوّ المكنون

ورثوا اقتحام البحر عن فينقيا

أمّ الثقافة مصدر التمدين

لّما ولدتهم نسورا حلّقوا

لا يقنعون من العلى بالدون

والنسر لا يرضى السجون وإن تكن

ذهبا، فكيف محاسن من طين؟

ألأرض للحشرات تزحف فوقها

والجوّ البازي وللشاهين
فأجابني والدمع ملء جفونه
كم ذا تسلّيني ولا تسليني؟
أنا كالعرين اليوم غاب أسوده
وتفرّقوا عنه لكلّ عرين
ألأرمنّي على سفوحي والربى
يبني الحصون لنفسه بحصوني
وبنو يهوذا ينصبون خيامهم
في ظلّ أوديتي وفوق حزوني
وبنّي عنّي غافلون كأنّني
قد صرت في الأشياء غير ثمين
أنتم ديون لي على آميركا
ومن المروءة أن تردّ ديوني
أو ليس من سخر القضاء وهزته
أن يأخذ المثرى من المسكين؟
عودوا فإنّ المال لا يغنيكم
عنّي، ولا هو عنكم يغنيي
...فشجيت ممّا قاله لكنّني
لّما رأيتكم نسيت شجوني
لبنان فيكم ماثل إن كنتم
في مصر أو في الهند أو في الصين
إن بنتم عنه فما زال الهوى
يدنيكم منه كما يدنيني
وحراككم لعلائه وسكونكم
وإلى ثراه حنينكم وحنيني
لو أمست الدنيا لغيري كلّها
ورباه لي ما كنت بالمغبون
أنا في حمالكم طائر مترنّم
بين الأقاح الغضّ والنسرين
أنتم بنو وطني وأنتم إخوني
وأنا امرؤ دين المحبّة ديني

أبي

طوى بعض نفسي إذ طواك الثرى عني

وذا بعضها الثاني يفيض به جفني

أبي! خانني فيك الرّدى فتقوضت

مقاصير أحلامي كبيت من التّين

وكانت رياضي حاليات ضواحكا

فأقوت وعفّى زهرها الجزع المضني

وكانت دناني بالسرور مليئة

فطاحت يد عمياء بالخمر والدّنّ

فليس سوى طعم المنّية في فمي،

وليس سوى صوت النوادب في أذني

ولا حسن في ناظري وقلّما

فتحتهما من قبل إلاّ على حسن

وما صور الأشياء ، بعدك غيرها

ولكنّما قد شوّهتها يد الحزن

على منكي تبر الضحى وعقيقه

وقلبي في نار ، وعيناي في دجن

أبحث الأسى دمعي وأنهيته دمي

وكنت أعدّ الحزن ضربا من الجبن

فمستنكر كيف استحالت بشاشتي

كمستنكر في عاصف رعشة الغضن

يقول المعزّي ليس يحدي البكا الفتى

وقول المعزّي لا يفيد ولا يغني

شخصت بروحي حائرا متطلعا

إلى ما وراء البحر أأدنو وأستدني

كذات جناح أدرك السيل عشّها

فطارت على روع تحوم على الوكن

فواها لو اني في القوم عندما

نظلرت إلى العوّاد تسألهم عنّي

ويا ليتما الأرض انطوى لي بساطها

فكنت مع الباكين في ساعة الدفن

لعلّي أفي تلك الأبوّة حقّها

وإن كان لا يوفى بكيل ولا وزن

فأعظم مجدي كان أنك لي أب

وأكبر فخري كان قولك: ذا إبني!

أقول : لي اني... كي أبرّد لو عتي

فيزداد شجوي كلّما قلت : لو أني!

أحتّى وداع الأهل يحرمه الفتى؟

أيا دهر هذا منتهى الحيف والغبن!

أبي! وإذا ما قلتها فكأنني

أنادي وأدعو يا بلادي ويا ركني

لمن يلجأ المكروب بعدك في الحمى

فيرجع ريّان المنى ضاحك السنّ؟

خلعت الصبا في حومة المجد ناصعا

ونزّه فيك الشيب عن لوثة الأفن

فذهن كنجم الصّيف في أول الدجى

ورأى كحدّ السّيف أو ذلك الذهن

وكنت ترى الدنيا بغير بشاشة

كأرض بلا منا ء وصوت بلا لحن

فما بك من ضرّ لنفسك وحدها

وضحكك والإيناس للبحار والخدن

جريء على الباغي، عيوف عن الخنا،

سريع إلى الداعي ، كريم بلا منّ

وكنت إذا حدّثت حدّث شاعر

لبيب دقيق الفهم والذوق والفنّ

فما استشعر المصغي إليك ملالة

ولا قلت إلاّ قال من طرب : زدني

برغمك فارقت الربوع ىوإذا

على الرغم منّا سوف نلحق بالظعن

طريق مشى فيها الملايين قبلنا

من المليك السامي عبده إلى عبده الفنّ

نظنّ لنا الدنيا وما في رحابها

وليست لنا إلاّ كما البحر للسفن

تروح وتغدو حرّة في عبابه

كما يتهادى ساكن السجن في السجن

وزنت بسرّ الموت فلسفة الورى

فشالت وكانت جعجعات بلا طحن

فأصدق أهل الأرض معلرفة به

كأكثرهم جهلا يرجم بالظّنّ

فذا مثل هذا حائر اللبّ عنده

وذاك كهذا ليس منه على أمن

فيا لك سفرا لم يزل جدّ غامض

على كثرة التفصيل في الشّرح والمتن

أيا رمز لبنان جلالا وهيبة

وحصن الوفاء المحصن في ذلك الحصن

ضريحك مهما يستسرّ وبلذة

أقمت بها تبني المحامد ما تبني

أحبّ من الأبراج طالت قبابها

وأجمل في عينيّ من أجمل المدن

علىذلك القبر السلام فذكره

أريج بهنفسي عن العطر تستغني

لا أنت ولا أنا

قلت: السعادة في المنى فرددنني

وزعمت أنّ المرء آفته المنى

ورأيت في ظلّ الغنى تمثالها

ورأيت أنت البؤس في ظلّ الغنى

ما لي أقول بأنها قد تقتني

فتقول أنت بأنها لا تقتني؟

وأقول إن خلقت فقد خلقت لنا ،

فتقول إن خلقت فلم تخلق لنا؟

وأقول إني مؤمن بوجودها

فتقول ما أحراك أن لا تؤمنا؟

وأقول سر سوف يعلن في غد

فتقول لا سرّ هناك ولا هنا؟

يا صاحبي، هذا حوار باطل

لا أنت أدركت الصواب ولا أنا

قف يا قطار

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامتها مؤسسة وطنية في مدينة كانتون،

أوهايو

- - -

منذ افترقنا لم أذق وسنا

للّه ما صنع الفراق بنا

قل للخليّين الهناء لكم

ألحبّ قد خلق العذاب لنا

لم أنس قولتها التي ملأت

نفسي أسى وجوانحي شجنا

ماذا جنينا كي تفارقنا

أمللتنا وسئمت صحبتنا

فأجبتها بلسان معتذر

لم تجني أنت ولا مللت أنا

لكن رأيت الماء منطلقا

ريا، فإن هو لم يسر أجنا

والسيف إن طال الثواء به

يصدأ ويصبح حدّه خشنا

والسحب إن وقفت وما هطلت

لم ترو أودية ولا قتنا

إنّ الحياة مع الجمود قذى

ومع الحواك بشاشة وهنا

لا تعذليني فالقرى أربي

حيث الحياة رغائب ومنى

حيث النجوم تلوح سافرة

لم تلتحف سترا ولا كفنا

والفجر ملء جيوبه أرج

والطير يملأ شدوها الوكنا

وعلى الرّبى الأظلال راقصة

ويد النسيم تداعب الغصنا

وبح المدائن إنّ ساكنها

كالميت لم يطمر ولا دفنا

كم رحت أستسقي سحائبها

فهمت ولكن محنة وضنى

ولكم سهرت فلم أجد قمرا

ولكم شدوت فلم أجد أذنا

لو كان يألف بلبل غرد

قفصا ، أحبّ الشاعر المدنا

كره الورى طول المقام بها

فاستنبطوا العجلات والسفنا

ولقد ظفرت بمركب لجب

فخرجت أطوي السهل والحزنا

والشوق يدفعه ويدفعني

حتى بلغت المنزل الحسنا

...

قف، يا قطار ، على ربوعهم

إنّ الأحبة، يا قطار... هنا

هذي منازلهم تهشّ لنا

أخطأت ... بل هذي منازلنا

ما حلّ منهم موضعا أحد

إلا وصار لكلّنا وطنا

((سورية)) في ((كانتن)) نغم

عذب ،((ولبنان)) شذى وسنا

وإذا الحياة طوت محاسنها

عني ، وصار نعيمها محنا

مثّلتهم في خاطري ، فإذا

دنياي فيها للسرور دنى

يا قوم هذا اليوم يومكمو

من ينتهزه ينل رضى وثنا

فلتنبسط أيديكمو كرما

ألسحب أنفعها الذي هتنا

أنا لاأرى مثل البخيل فتى

يضوى ويهزل كلما سمن

من لا يشيد بماله أثرا

أو يستفيد بماله مننا

ويعيش مثل العنكبوت يعش

في الناس مذموما وممتهنا

فابنوا وشيدوا تكرموا رجلا

كم قد سعى من أجلكم وبنى

وطن وأهل لا ئذون بكم

أفتخذلون الأهل والوطنا؟

((قطنا)) بنوك اليوم قد نهضوا

فتمجدي بينك يا ((قطنا))

وطن النجوم

وطن النجوم ... أنا هنا

حدّق ... أتذكر من أنا ؟

ألمحت في الماضي البعيد

فتى غريرا أرعنا ؟

جذلان يمرح في حقولك

كالنسيم مدندنا

ألمقتني المملوك ملعبة

و غير المقتنى !

يتسلّق الأشجار لا ضجرا

يحسّ و لا ونى

و يعتّد بالأعصان يبريها

سيوفا أو قنا

و يخوض في وحل الشّتا

متهلّلا متيمّنا

لا يتّقي شرّ العيون

و لا يخاف الألسنا

و لكم تشيطن كي يقول

الناس عنه " تشيطنا "

*

أنا ذلك الولد الذي

دنياه كانت ههنا !

أنا من مياهك قطرة

فاضت جداول من سنا

أنا من ترابك ذرّة

ماجت مواكب من منى

أنا من طيورك بلبل

غنّى بمجدك فاغتنى

حمل الطّلاقة و البشاشة

من ربوعك للدّنى

كم عانقت روحي رباك

وصفّقت في المنحنى ؟

للأرز يهزأ بالرياح

و بالدهور و بالفنا

للبحر ينشره بنوك

حضارة و تمدّنا

لليل فيك مصلّيا

للصبح فيك مؤذّنا

للشمس تبطيء في وداع

ذراك كيلا تحزنا

للبدر في نيسان يكحّل

بالضّياء الأعينا

فيذوب في حدق المهى

سحرا لطيفا ليّنا

للحقل يرتجل الرّوائع

زنبقا أو سوسنا

للعشب أثقله النّدى ،

للغصن أثقله الجنى

عاش الجمال متشرّدا

في الأرض ينشد مسكنا

حتّى انكشفت له فألقى

رحلة و توطّنا

واستعرض الفنّ الجبال

فكنت أنت الأحسنا

لله سرّ فيك ، يا

لبنان ، لم يعلن لنا

خلق النجوم و خاف أن

تغوي العقول و تفتنا

فأعار أرزك مجده

و جلاله كي نؤمنا

زعموا سلوتك ... ليتهم

نسبوا إليّ الممكنا

فالمرء قد ينسى المسيء

المفترى ، و المحسنا

و الخمر ، و الحسناء ، و الوتر

المرنّح ، و الغنا

و مرارة الفقر المذلّ

بلى ، و لذّات الغنى

لكنّه مهما سلا

هيهات يسلو الموطنا

فلسطين

ديار السّلام ، و أرض الهنا

يشقّ على الكلّ أن تحزنا

فخطب فلسطين خطب العلى

و ما كان رزء العلى هيّنا

سهرنا له فكأنّ السيوف

تحزّ بأكباد ههنا

و كيف يزور الكرى أعينا

ترى حولها للرّدى أعينا ؟

و كيف تطيب الحياة لقوم

تسدّ عليهم دروب المنى ؟

بلادهم عرضة للضّياع

و أمّتهم عرضة للفنا

يريد اليهود بأن يصلبوها

و تأبى فلسطين أن تذعنا

و تأبى المرؤة في أهلها

و تأبى السّيوف ، و تأبى القنا

أأرض الخيال و آياته

و ذات الجلال ، و ذات السنا

تصير لغوغائهم مسرحا

و تغدو لشذّاذهم مكمنا ؟

بفسي " أردنّها " السلسبيل

و من جاوروا ذلك الأردنا

لقد دافعوا أمس دون الحمى

فكانت حروبهم حربنا

و جادوا بكلّ الذي عندهم

و نحن سنبذل ما عندنا

فقل لليهود و أشياعهم

لقد خدعتكم بروق المنى

ألا ليت " بلفور " أعطاكم

بلادا له لا بلادا لنا

" فلندن " أرحب من قدسنا

و أنتم أحبّ إلى " لندنا "

ومنّاكم وطنا في النجوم

فلا عربيّ بتلك الدنى

أيسلب قومكم رشدهم

و يدعوه قومكم محسنا ؟

و يدفع للموت بالأبرياء

و يحسبه معشر ديّنا ؟

و يا عجبا لكم توغرون

على العرب " التامز و الهندسنا "

و ترمونهم بقبيح الكلام

و كانوا أحقّ بضافي الثنا

و كلّ خطيئاتهم أنّهم

يقولون : لا تسرفوا بيتنا

فليست فلسطين أرضا مشاعا

فتعطى لمن شاء أن يسكنا

فإن تطلبوها بسمر القنا

نردّكم بطوال القنا

ففي العربيّ صفات الأنام

سوى أن يخاف و أن يجبنا

و إن تحجلوا بيننا بالخداع

فلن تخدعوا رجلا مؤمنا

و إن تهجروها فذلك أولى

فإنّ " فلسطين " ملك لنا

و كانت لأجدادنا قبلنا

و تبقى لأحفادنا بعدنا

و إنّ لكم بسواها غنى

و ليس لنا بسواها غنى

فلا تحسبوها لكم موطنا

فلم تك يوما لكم موطنا

و ليس الذي نبتغيه محالا

و ليس الذي رمتم ممكنا

نصحناكم فارعووا و انبذوا

" بلفور " ذيّالك الأرعنا

و إمّا أبيتم فأوصيكم

بأن تحملوا معكم الأكفنا

فإنّا سنجعل من أرضها

لنا وطنا و لكم مدفنا !

الأنسان و الدّين

إنّي عرفت من الإنسان ما كانا

فلست أحمد بعد اليوم إنسانا

بلوته و هو مشتدّ القوى أسدا

صعب المراس و عند الضّعف ثعبانا

تعود الشّرّ حتّى لو نبت يده

عنه إلى الخير سهوا بات حسرانا

خفه قديرا و خفه لا اقتدار له

فالظّلم و الغدر إمّا عزّ أو هانا

ألقتيل ذنب شنيع غير مغتفر

و القتل يغفره الإنسان أحيانا

أحلّ قتل نفوس السائمات له

و الطيّر و القتل قتل حيثما كانا

أذاق ذئب الفلا من غدره طرفا

فلا يزال مدى الأيام يقظانا

و نقر الطير حتّى ما تلمّ به

إلاّ كما اعتادت الأحلام و سنانا

سروره في بكاء الأكثرين له

و حزنه أن ترى عيناه جذلانا

كأنّما المجد ربّ ليس يعطفه

إلاّ إذا قدّم الأرواح قربانا

هو الذي سلب الدّنيا بشاشتها

وراح يملأها همّا و أحزانا

لا تصطفيه و إن أثقلته منّنا

يعدو عليك و إن أولاك شكرانا

قالوا ترّقى سليل الطّين قلت لهم

ألآن تمّ شقاء العالم الآنا

إنّ الحديد إذا ما لان صار مدى

فكن على حذر منه إذا لانا

و المرء وحش و لكن حسن صورته

أنسى بلاياه من سمّاه إنسانا

قد حارب الدّين خوفا من زواجره

كأنّ بين الورى و الدّين عدوانا

ورام يهدم ما الرحمن شيّده

و ليس ما شيّد الرّحمن بنيانا

إنّي ليأخذني من أمره عجب

أكلّما زاد علما زاد كفرانا ؟

و كلّما انقادت الدّنيا و صار له

زمامها انقاد للآثام طغيانا ؟

يرجو الكمال من الدّنيا و كيف له

نيل الكمال من الدّنيا و ما دانا ؟

إذا ارتدى المرء ما في الأرض من برد

و عاف للدّين بردا عاد عريانا

هو الحياة التي ما غادرت جسدا

إلاّ اغتدى الميت أحيامنه وجدانا

و هو الضّياء الذي يمحو الظّلام فمن

لا يهتدي بسناه ظلّ حيرانا

و المنهل الرائق العذب الورود فمن

لا يسقي منه دام الدّهر عطشانا

ليس المبذّر من يقلي دراهمه

إنّ المبذّر من للدّين ما صانا

ليس الكفيف الذي أمسى بلا بصر

إنّي أرى من ذوي الأبصار عميانا

الفاتحة

يا رفيقي ... أنا لولا أنت ما وقّعت لحنا

كنت في سرّي لما كنت وحدي أتغنّى

ألبس الروض حلاه أنّه يوما سيجنى

هذه أصداء روحي ، فلتكن روحك أذنا

إن تجد حسنا فخذه واطّرح ما ليس حسنا

إنّ بعض القول فنّ فاجعل الإصغاء فنّا

تك كالحقل يردّ الكيل للزراع طنّا

ربّ غيم صار لمّا لمسته الريح مزنا

ربّما كنت غنيّا غير أنّي بك أغنى

ما لصوت أغلقت من دونه الأسماع معنى

كلّ نور غير نور مرّ بالأعين وسنى

يا رفيقي ، أنت راعيت فجري صار أسنى

و إذا طفت بكرمي زدته خصبا و أمنا

قد سكبت الخمر كي تشرب ، فاشرب مطمئنّا

زاسق من شئت كريما لا تخف أن تتجنى

كلّما أفرغت كأسي زدت في كأسي دنّا

فهي بالإنفاق تبقى

و هي بالإمساك تفنى

...

لست منّي إن حسبت الشّعر ألفاظا ووزنا

خالفت دربك دربي وانقضى ما كان منّا

فانطلق عنّي لئلّا تقتني همّا و حزنا

واتّخذ غيري رفيقا و سوى دنياي مغنى

وداع

ذهب الربيع ففي الخمائل وحشة

مثل الكآبة من فراقك فينا

لو دمت لم تحزن عليه قلوبنا

و لئن أضعنا الورد و النّسرينا

فلقد وجدنا في خلالك زهرة

المفترّ و الماء الذي يروينا

و نسيمة السّاري كأنفاس الرّضى

و شعاعه يغشى المروج فتونا

حزت المحاسن في الربيع و فقته

إذ ليس عندك عوسج يدمينا

***

يا أشهرا مرّت سراعا كالمنى

لو أستطيع جعلتكنّ سنينا

و أمرت أن يقف الزمان عن السّرى

كيلا نمرّ بساعة تبكينا

و نمدّ أيدينا فترجع لم تصب

و تعود فوق قوبنا أيدينا

خوفا عليها أن تساقط حسرة

أو أن تفيض لواعجا و شجونا

قد كنت خلت الدّهر حطّم قوسه

حتّى رأيت سهامه تصمينا

فكأنّما قد ساءه و أمضّه

أنّا تمتّعنا بقربك حينا

مستشفى تل شيحا

أباعثة المطايا من حديد

كأسراب القطا للعالمينا

ركائب في فجاج الأرض تسري

تقلّ الذاهبين الأيبينا

تقصّ على المدائن و القرايا

حكاية قومك المستنبطينا

و كيف العقل يخلق من زريّ

مهين لا زريّ و لا مهينا

و ينفخ في الجماد قوى وحسّا

فيركش تارة و يطير حينا

و يهتف بالقصائد و الأغاني

و قد ذهب الردى بالمنشدينا

لقد حسدتك أمّ الفنّ " روما "

كما حسدتك ضرّتها " أثينا "

فمجدك فوق مجدها علاء

و حسنك فوق حسنها فتونا

نزلنا في حماك فقرّبينا

و باركنا ثراك فباركينا

فما لطماعة بنضار " فورد "

و فضّته إليك اليوم جينا

فما هو في سماحته " كمعن "

و ليست نوقه للذابحينا

و لكن فيك إخوان هوينا

لأجلهم جميع الساكنينا

أحبّونا كأنّهم ذوونا

و أنسونا بلطفهم ذوينا

و عاهدناهم إذ عاهدونا

فلم ننكث و لا نكثوا يمينا

إذا غضبوا على الدنيا غضبنا

و إن رضوا على الدنيا رضينا

دعاهم للعلى و الخير داع

من " الوادي " فلبّوا أجمعينا

أيخذل " جارة الوادي " بنوها ؟

معاذ الله هذا لن يكونا

فما لاقيت " زحليّا " جبانا

و لا لاقيت " زحليّا " ضنينا

تأمّل كيف أضحى " تلّ شيحا "

يحاكي في الجلالة " طورسينا "

فعن هذا تحدذرت الوصايا

و في هذا وجدنا المحسنينا

على جنباته و على ذراه

جمال يبهر المتأمّلينا

فلم مثله للخير دنيا

و لم أر مثله فتحا مبينا

فيا أشبال " لبنان " المفدّى

و يا إخواننا و بني أبينا

ترنّح عصركم فخرا و هشّت

لصنعكم عظام المائتينا

تبارى الناس في طلب المعالي

فكنتم في المجال السابقينا

بنى الأهرام " فرعون " فدامت

لتخبر كيف كان الظالمونا

و كم أشقى الجموع الفرد منهم

و كم طمس الألوف لكي يبينا

وشدتم معهدا في " تلّ شيحا "

سيبقى ملجأ للبائسينا

يطلّ الفجر مبتسما عليه

و يرجع مطمئنّا مستكينا

و يمضي يملأ الوادي ثناء

عليكم ، و الأباطح و الحزونا

أرى غيثين يستبقان جودا

هما مطر السّما و الغائثونا

لئن حجب الغمام الشّمس عنّا

فلم يطمس ضياء الله فينا

و لم يستر سبيل الخير عنكم

و لم يقبض أكفّ الباذلينا

وجدت المرء حبّ الخير فيه

فإن يفقده صار المرء طينا

تكمّش في الحقول الشوك بخلا

فذلّ و عاش مكتئبا حزينا

و أسنى الورد ، إذ أعطى شذاه

مكانته فكن في الواهبينا

سألت الشعر أن يثني عليكم

فقالت لي القوافي : قد عيينا

سيجزيهم عم البؤساء ربّ

يكافيء بالجميل المحسنينا

الشاعر

عندما أبدع هذا

الكون ربّ العالمينا

و رأى كلّ الذي

فيه جميلا و ثمينا

خلق الشاعر

كي يخلق للناس عيونا

تبصر الحسن

و تهواه حراكا و سكونا

وزمانا ، و مكانا ،

و شخوصا و شؤونا

فارتقى الخلق

و كانوا قبله لا يرتقونا

واستمر الحسن في

الدنيا و دام الحبّ فينا

*

إنّه روح كريم لبس

الطين المهينا

و نبيّ بهر الخلق

و ما أعلن دينا

يلمح النّجم خفيّا

و يرى العطر دفينا

و يرينا الطّهر حتّى

في النّجاة الآثمينا

و يحسّ الفرح الأسمى

جريحا أو طعينا

كلّما شاعت دماه

أملا في البائسينا

*

من سواه فيه

وقار الناسكينا

من سواه عابد

فيه جنون الثائرينا

من سواه عانق

الله يقينا لا ظنونا

من ترى إلاّه يحيا

نغمات و لحونا

من ترى إلاّه يفني ذاته

في الآخرينا

*

لو أبى الله علينا

و هليه أن يكونا

عادت الأرض و هادا
شاحبات و حزونا
ترتدي الوحشة و الهول
ضبابا و دجونا
و أقاحيها هشيما
لا أريجا و فتونا
و سواقيها سرابا
هازئا بالظامئينا
و شواديها دمى
خرساء تؤذي الناظرينا
و استفاق الجدول الحالم
غيظا و جنونا
و استوى النهر على
وجه الثرى جرحا ثخينا
وانطوت دنيا الرؤى فيها
و مات الحالمونا

*

أي و ربّي لو مضى
الشاعر عنّا لشقينا
و لعشنا بعده في
غصص لا ينتهينا
ولأمسى الله مثل
الناس مغموما حزينا !

*

زعموا ولّى و لن يرجع
ويح الجاهلينا
لم يمت من كان لله
خليلا و خدينا
عاش حينا و سيحيا
بعدما غاب قرونا

ماء و طين

سألتني و قد رجعت إليها

و على مفرقي غبار السنينا :

أيّ شيء وجدت في الأرض بعدي ؟

قلت : إنّي وجدت ماء و طينا

جمع الحسن و الدمامة و الإق

دام و الخوف و النهى و الجنونا

و الرجاء الذي يصير به الفد

فد روضا ، و شوكه نسرينا

و القنوط الذي يعرّي من الأو

راق في نشوة الربيع الغصونا

ووجدت الهوى كما كان قدما

ثقة تارة ، و طورا ظنونا

و شبابا سكران من خمرة الوهم

يخال المحال أمرا يقينا

فإذا شاخت الرؤى و تلاشت

وصحا بات جزمه تخمينا

لا يزال الإيمان نوعا من

الرّهبة ، و الحسن للغرور خدينا

لا يزال الغنيّ يختال في الأر

ض و إن كان جاهلا مأفونا

كلّ من قد لقيت مثلك ، يا نف

سي ، في ما تبدين أو تخفينا

فانظري مرّة إليك مليّا

تبصري الأوّلين و الآخرينا

العميان

كم خفضنا الجناح للجاهلينا

و عذرناهم فما عذرونا

خبّروهم ، يا أيّها العاقلونا

إنّما نحن معشر الشعراء

يتجلّى سرّ النبوّة فينا

*

ذكروهم ، فربّ خير كبير

فعلته الهداة بالتّذكير

إنّما الناس من تراب و نور

فبنو النّور يعبدون النورا

و بنو الطين يعبدون الطينا

*

قيل عنّا قصورنا من هباء

تتلاشى في ضحوة و مساء

أو سطور بالماء فوق الماء

لوسكنتم قصورنا بعض ساعة

لنسيم شهوركم و السنينا

*

لو دخلتم هياكل الإلهام

و سرحتم في عالم الأحلام

و اجتليتم سرّ الخيال السّامي

و عرفتم كما عرفنا الله

لخررتم أمامنا ساجدينا

*

قد سقتنا الحياة كاسا دهاقا

حسنت نكهة ، و طابت مذاقا

و سقينا ممّا شربنا الرّفاقا

فتركناهم حيارى سكارى

يتمنّون أنّهم لا يعونا

*

همّكم في الكؤوس و الأكواب

آه لو كان همّكم في الشّراب

لطرحتم ! عنّكم قيود التّراب

و شعرتم بلذّة أو عذاب

هذه الخمر ليتكم تشربونا

*

أتقولون إنّه مجنون !

أتقولون أنّه مفتون !

أتقولون شاعر مسكين !

كم مليك ، كم قائد ، كم وزير

ودّ لو كان شاعرا مسكينا ؟

*

عاش " ملتن " فلم يكن مذكورا

و هوميروس " كالشّيخ " كان ضريرا

و لقد مات " ابن برد " فقيرا

أرأيتم كما رأى العميان ؟

أفلستم بنورهم تهتدونا ؟

ابنة الفجر

أنا أن أغمض الحمام جفوني

ودودي صوت مصرعي في المدينة

و تمشي في الأرض دارا فدارا

فسمعت دويّه ورنينه

لا تصيحي واحسرتاه لئلّا

يدرك السّامعون ما تضمرينه

و إذا زرتني و أبصرت وجهي

قد محا الموت شكّه و يقينه

و رأيت الصّحاب جاثين حولي

يندبون الفتى الذي تعرفينه

و تعال العويل حولك ممّن

مارسوه و أصبحوا يحسنونه

لا تشقي على ثوبك حزنا

لا و لا تذرفي الدموع السخينه

غالبي اليأس و أجلسي عد نعشي

بسكون ، إنّي أحبّ السّكينه

إنّ للصمت في المآتم معنى

تتعزّى به النّفوس الحزينة

و لقول العذّال عنك (بخيل)

هو خير من قولهم (مسكينة)

و إذا خفت أن يثور بك الوجد

فتبدو أسرارنا المكنونه

فارجعي و اسكبي دموعك سرّا

و امسحي باليدين ما تسكبينه

***

يا ابنة الفجر من أحبّك ميّت

و لأنت بمثل هذا مهينه
زايل النور مقلتيه و غابت
تحت أجفانه المعني المبينه
فأصيخي ! هل تسمعين خفوقا
كنت قبلا في صدره تسمعينه ؟
وانظري ثمّ فكّري كيف أمسى
ليس يدري عدوّه من و خدينه
ساكتا لا يقول شيئا و لا يس
مع شيئا و ليس يبصر دونه
لا يبالي أأدعوه الثريا
أم رموه في حمأة مسنونه
و إذا الحارسان ناما عياء
و رأيت أصحابه يتركونه
فتعالى و قبّلي شفتيه
و يديه و شعره و جبينه
قبل أن يسدل الحجاب عليه
و يوارى عنك فلا تبصرينه
واحذري أن نراك عين رقيب
و لئن كان رجل ما تحذرينه
فاذا ما أمنت لا تتركيه
قبلما يفتح الصّباح جفونه

***

و إذا السّاعة الرّهيبة حانت
و أريت حرّاسه يحملونه
و سمعت النّاقوس يقرع حزنا
فيردّ الوادي عليه أنينه
زوّدي الرّاحل الذي مات وجدا
بالذي زوّد الغريق السينة
نظرة تعلم السماوات منها
أنّه مات عن فتاة أمينه

***

طوت الأرض من طوى الأرض حيّا
و علاه من كان بالأمس دونه
و اختفى في التراب وجه صبيح

و فؤاد حرّ و نفس مصونه

و إذا ما وقفت عند السّواقي

و ذكرت وقوفه و سكونه

حيث أقسمت أن تدومي على العه

د و آلى بأنّه لن يخونه

حيث علّمته القريض فأمسى

يتغنّى كي تسمعي تلحينه

فاذكريه مع البروق السّواري

واندبيه مع الغيوث الهتونه

و إذا ما مشيت في الروض يوما

ووطأت سهوله و حزونه

و ذكرت مواقف الوجد فيه

عندما كنت بالهوى تغرينه

حيث علّمته الفتون فأضحى

يحسب الأرض كلّها مفتونه

حيث وسّدته يمينك حتّى

كاد ينسى شماله و يمينه

حيث كنت و كان يسقيك طورا

من هواه و تارة تسقينه

حتّى حاك الربيع للروض ثوبا

كان أحلى لديه لو ترتدينه

فالثمي كلّ زهرة فيه إنّي

كنت أهوى زهوره و غصونه

ثمّ قولي للطير : مات حبيبي !

فلماذا يا طير لا تبكينه !

***

و إذا ما جلست وحدك في اللّي

ل و هاجت بك الشّجون الدّفينه

و رأيت الغيوم تركض نحو الغر

ب ركضا كأنّها مجنونه

و لحظت من الكواكب صدا

و نفارا و في النسيم خشونه

فغضبت على اللّيالي البواقي

و حننت إلى اللّيالي الثّمينه

فاهجري المخدع الجميل وزوري
ذلك القبر ثمّ حيّي قطينه
وانثري الورد حوله و عليه
واغرسي عند قلبه ياسمينه

كلوا و اشربوا

كلوا و اشربوا أيّها الأغنياء
و إن ملأ السكك الجائعون
و لا تلبسوا الخزّ إلاّ جديدا
و إن لبس الخرق البائسون
و حوطوا قصوركم بالرجال ،
و حوّطوا رجالكم بالحصون
فلا ضحايا الطّوى
و لا يبصرون الذي تصنعون
و إن ساءكم في الوجود
و أزعجكم أنّهم يولون
مرّوا فتصول الجنود عليهم
تعلّمهم فتك المنون
فهم معتدون ، و هم مجرمون
و هم مقلقون ، و هم ثائرون
و تلك العصيّ لتلك الرؤوس
و تلك الحراب لتلك البطون
و تلك السّجون لمن شدّتموها
إذا تزجّوهم في السّجون ؟
كلوا للظبي حلق عاماتهم
فإنّ الملوك كذا يفعلون
إذا الجند لم يحرسوكم و أنتم
سراة البلاد فمن يحرسون ؟
و إن هم لم يقتلوا الأشقياء
فيا ليت شعري من يقتلون ؟
و لا يحزننّكم موتهم
فإنّهم للردى يولدون
و قولوا كذا قد أراد الإله
و إن قدّر الله شيئا يكون

و يا فقراء لماذا التشكّي ؟
ألا تستحون ؟ ألا تخجلون ؟
دعوا الأغنياء و لذّاتهم
فهم مثل لذّاتهم زائلون
سيمسون في " سقر " خالدين
و تمسون في جنّة تنعمون
فلا تعطشون ، و لا تسغبون ،
و لا يرتوون ، و لا يشبعون
لكم وحدكم ملكوت السّماء
فما بالكم لستم تقنعون ؟
فلا تحزنوا أنّكم ساهرون
فسوف تنامون ملء الجفون
ستتّكئون مع الأنبياء
تظلّلكم وارفات الغصون
يضوع السّنا بالشّذى
و تجري الطّلا أنهرا و عيون
و تسقيكم الخمر حور حسان
كما يشتهين ، كما تشتهون
كذا وعد الله أهل التقى
و أنتم هم ، أيّها ، المتعبون
ألا تؤمنون بقول الكتاب ؟
فويل لكم إنّكم كافرون !

إلى الله راجعون

بيني و بين العيون سرّ
الله في السّرّ و العيون
إذا عصت فكرتي القوافي
أوحت لنفسي بها الجفون
***
هات اسقني الخمر جهرا
و لا تبال بما يكون
إن كان خير أو كان شرّ
إنّا إلى الله راجعون !!

المساء

أسحب تركض في الفضاء الرّحب ركض الخائفين

و الشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين

و البحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين

لكنّما عيناك باهتتان في الأفق البعيد

سلمى ... بماذا تفكّرين ؟

سلمى ... بماذا تحلمين ؟

*

أرأيت أحلام الطفوله تختفي خلف التّخوم ؟

أم أبصرت عيناك أشباح الكهوله في الغيوم ؟

أم خفت أن يأتي الدّجى الجاني و لا تأتي النجوم ؟

أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنّما

أظلالها في ناظريم

تنمّ ، يا سلمى ، عليك

إنّي أراك كسائح في القفر ضلّ عن الطّريق

يهوى البروق وضوءها ، و يخاف تخدعه البروق

بل أنت أعظم حيرة من فارس تحت القتام

لا يستطيع الانتصار

و لا يطيق الانكسار

*

هذي الهواجس لم تكن مرسومه في مقلتيك

فلقد رأيتك في الضّحى و رأيته في وجنتيك

لكن وجدتك في المساء وضعت رأسك في يديك

و جلست في عينيك ألغاز ، و في النّفس اكتئاب

مثل اكتئاب العاشقين

سلمى ... بماذا تفكّرين ؟

*

بالأرض كيف هوت عروش النّور عن هضباتها ؟

أم بالمروج الخضر ساد الصّمت في جنباتها ؟

أم بالعصافير التي تعدو إلى و كناتها ؟

أم بالمسا ؟ إنّ المسا يخفي المدائن كالقرى

و الكوخ كالقصر المكين

و الشّوك مثل الياسمين

*

لا فرق عند اللّيل بين النهر و المستنقع

يخفي ابتسامات الطروب كأدمع المتوجّع

إنّ الجمال يغيب مثل القبح تحت البّرقع

لكن لماذا جزعين على النهار و للدّجى

أحلامه و رغائبه

و سماؤه و كواكبه ؟

*

إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها

لم يسلب الزهر الأريج و لا المياه خريرها

كلّا ، و لا منع النّسائم في الفضاء مسيرها

ما زال في الورق الحفيف و في الصّبا أنفاسها

و العندليب صداحه

لا ظفره و جناحه

*

فاصغي إلى صوت الجداول جاريات في السّفوح

واستنشقي الأزهار في الجنّات ما دامت تفوح

و تمتّعي بالشّهب في الأفلاك ما دامت تلوح

من قبل أن يأتي زمان كالضّباب أو الدّخان

لا تبصرين به الغدير

و لا يلذّ لك الخرير

*

لتكن حياتك كلّها أملا جميلا طيّبا

و لتملإ الأحلام نفسك في الكهولة و الصّبى

مثل الكواكب في السماء و كالأزاهر في الرّبى

ليكن بأمر الحبّ قلبك عالما في ذاته

أزهاره لا تذبل

و نجومه لا تأفل

*

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات

إنّ التأمّل في الحياة يزيد أوجاع الحياة

فدعى الكآبة و الأسى و استرجعي مرح الفتاة

قد كان وجهك في الضّحى مثل الضّحى متهلّلا

فيه البشاشة و البهاء

ليكن كذلك في المساء

مقلتان

رأيت في عينيك سحر الهوى

مندفقا كالنور من نجمتين

فبتّ لا أقوى على دفعه

من ردّ عنه عارضا باليدين

يا جنّة الحبّ و دنيا المنى

ما خلتني ألقاك في مقلتين

الشاعر و الملك الجائر

1

أمر السلطان بالشاعر يوما فأتاه

في كساء حائل الصّبغة واه جانباه

و حذاء أوشكت تفلت منه قدماه

قال : صف جاهي ، ففي وصفك لي للشعر جاه

إنّ لي القصر الذي لا تبلغ الطير ذراه

و لي الروض الذي يعبق بالمسك ثراه

و لي الجبش الذي ترشح بالموت ظباه

و لي الغابات و الشمذ الرواسي و المياه

و لي الناس ... و بؤس الناس منّي و الرفاه

إنّ هذا الكون ملكي ، أنا في الكون إله !

2

ضحك الشاعر ممّا سمعته أذناه

و تمنّى إنّ يداجي فعصته شفتاه

قال: إنّي لا أرى كما أنت تراه

إنّ ملكي قد طوى ملكك عنّي و محاه

***

ألقصر ينبيء عن مهارة شاعر

لبق ، و يخبر بعده عنّكا

هو الألى يدرون كنه جماله

فإذا مضوا فكأنّه دكّا

ستزول أنت و لا يزول جلاله

كالفلك تبقى ، إن خلت ، فلكا

***

و الرّوض ؟ إنّ الروض صنعه شاعر

سمح ، طروب ، رائق ، جزل
وشّى حواشيه وزيّن أرضه
بروائع الألوان و الظلّ
لفراشة تحيا له ، و لنحلة
تحيا به ، و لشاعر مثلي !
و لديمة تذري عليه دموعها
كيما تقيه غوائل المحل
و لبلبل غرد يساجل بلبلا
غردا ، و للنسمات و الطلّ
فإذا مضى زمن الربيع أضعته
و أقام في قلبي و في عقلي !
***
و الجيش معقود لواؤك فوقه
ما دمت تكسوه و تطعمه
للخبز طاعته و حسن ولائه
هو " لاته " الكبرى و " برهمه "
فإذا يجوع بظلّ عرشك ليلة
فهو الذي بيديه يحطّمه
لك منه أسيفه ، و لكن في غد
لسواك أسيفه و أسهمه
أتراه سار إلى الوغى متعلّلا
لولا الذي الشعراء تنظمه ؟
و إذا ترنّم هل بغير قصيدة
من شاعر مثلي ترنّمه ؟
***
و البحر ، قد ظفرت يداك بدرّه
و حصاه ، لكن هل ملكت هديره ؟
هو للدجى يلقي عليه خشوعه
و الصّبح يسكب ، و هو يضحك ، نوره
أمرجت أنت مياهه ؟ أصبغت أن
ت رماله ؟ أجبلت أنت صخوره
هو للرياح تهزّه و تثيره
و الشهب تسمع في الظلام زئيره
للطير هائمة به مفتونة

لا للذين يروّعون طيوره

للشاعر المفتون يخلق لاهيا

من موجة حورا و يعشق حوره

و لمن فيه رمز كيانه

و لمن يجيد لغيره تصويره

يا من يصيد الدرّ من أعماقه

أخذت يداك من الجليل حقيره

لا تدّعيه ... فليس يملك ، إنّه

كالرّوض جهدك أن تشمّ عبيره

***

و مررت بالجبل الأشمّ فما زوى

عنّي محاسنه و لست أميرا

و مررت أنت فما رأيت صخوره

ضحكت و لا رقصت لديك حبورا

و لقد نقلت لنملة ما تدّعي

فتعجّبت ، ممّا حكيت ، كثيرا

قالت : صديقك ما يكون ؟ أقشعما

أو أرقما ؟ أم ضيغما هيصورا ؟

أيحوك مثل العنكبوت بيوته

حوكا ؟ و يبني كالنسور و كورا ؟

هل يملأ الأعوار تبرا كالضّحى

و يردّ كالغيث الموات نضيرا ؟

أيلفّ كاللّيل الأباطح و الرّبى

و المنزل المعمور و المهجورا ؟

فأجبتها : كلّا ! فقالت : سمّه

في غير خوف " كائنا مغرورا ! "

3

فاحتدم السّلطان أيّ احتدام

و لاح حبّ البطش في مقلتيه

وصاح بالجلّاد : هات الحسام !

فأسرع الجلّاد يسعى إليه

فقال: دحرج رأس هذا الغلام

فرأسه عبء على منكبيه

***

قد طبع السّيف لحزّ الرّقاب
و هذه رقبة ثرثار
أقتله ...و اطرح جسمه للكلاب
و لتذهب الروح إلى النّار
***
سمعا و طوعا ، سيّدي !.. و انتضى
عضبا يموج الموت في شفرتيه
و لم يكن إلاّ كبرق أضا
حتّى أطار الرأس عن منكبيه
فسقط الشاعر معرورضا
يخدّش الأرض بكلتا يديه
كأنّما يبحث عن رأسه
فاستضحك السلطان من سجدته
ثمّ استوى يهمس في نفسه
" ذو جنّة " أمسى بلا جثّته
***
أجل ، هكذا هلك الشاعر
كما يهلك الآثم المذنب
فما غضّ في روضة طائر
و لم ينطفيء في السّما كوكب
و لا جزع الشّجر الناضر
و لا اكتأب المطرب
و كوفيء عن قتله القاتل
بمال جزيل وخدّ أسيل
فقال له خلقه السّافل :
ألا ليت لي كلّ يوم قتيل !
4
في ليلة طامسة الأنجم
تسلّل الموت إلى القصر
بين حراب الجند و الأسهم
و الأسيف الهنديّة الحمر
إلى سرير الملك الأعظم
إلى أمير البرّ و البحر !!
ففارق الدنيا و لمّا تزل

فيها خمور و أغاريد
فلم يمد حزنا عليه الجبل
و لا ذوى في الرّوض أملود

5

في حومة الموت و ظلّ البلى
قد التقى السّلطان و الشاعر
هذا بلا مجد ، و هذا بلا
ذلّ ، فلا باغ و لا ثائر
عانقت الأسمال تلك الحلى
واصطحب المقهور و القاهر

*

لا يجزع الشاعر أن يقتلا
ليس وراء القبر سيف و رمح
و لا يبالي ذاك أن يعذلا
سيّان عند الميّت ذمّ و مدح

6

و توالت الأجيال تطّرد
جيل يغيب و آخر يفد
أخنت على القصر المنيف فلا
الجدران قائمة و لا العمد
و مشت على الجيش الكثيف فلا
خيل مسوّمة و لا زرد
ذهبت بمن صلحوا و من فسدوا
و مضت بمن تعسوا و من سعدوا
و بمن أذاب الحبّ مهجته
و بمن تأكّل قلبه الحسد
و طوت ملوكا ما لهم عدد
فكأنّهم في الأرض ما وجدوا
و الشاعر المقتول باقية
أقواله فكأنّها الأبد
ألشيخ يلمس في جوانبها
صور الهوى و الحكمة الوله

في قلبك الله

مرّت ليال و قلبي حائر قلق

كالفلك في النهر هاج النوء مجراه

أو كالمسافر في قفر على ظمإ

أضنى المسير مطاياه و أضناه

لأدرك الأمر أهواه و أطلبه ،

و أبلغ الأمر نفسي ليس تهواه

عجبت من قائل إنّي نسيتكم

من كان في القلب كيف القلب ينساه ؟

إن كنت بالأمس لم أهبط مربعكم

فالطير يقعد موثوقا جناه

فلا يقرّبه شوق إلى نهر

و ليس تنقله في الرّوض عيناه

و ليس يشكو و لا يبكي مخافة أن

تؤذي مسامع من يهوى شكاواه

إنّي لأعجب منّا كيف تخدعنا

عن الحقائق أمثال و أشباه

إذا بنى رجل قصرا وزخرفه

سقنا إليه التهاني و امتدحناه

و ما بنى قصره إلاّ ليحجب عن

أبصارنا في زواياه خطاياه

و نمدح المرء من خزّ ملابسه

و ذلك الخزّ لم تنسجه كفّاه

و إن أتانا أخو مال يكاثرنا

بالتّبر تيها رجوناه و خفناه

و قد يكون نضار في خزائنه

دما سفكناه أو جهدا بذلناه

لا تحسب المجد ما عيناك أبصرتا

أو ما ملكت هو السلطان و الجاه

ألمال مولاك ما أمسكته طمعا

فانفقه في الخير تصبح أنت مولاه

ما دام قلبك فيه رحمة لأخ

عان ، فأنت امرؤ في قلبك الله

الإله الثرثار

زعم المرء أنّما ربّ

كم يلوك الكلام هذا الإله

يلفظ البحر و هو ملح أجاج

لؤلؤا يبهر العيون سناه

ما ادّعى الدّرّ أنّه صورة البح

ر و لا قال : إنّني إيّاه

لا ولا قال كلّ شيء إلى المح

و و ما خصّ بالخلود سواه

إن تكن للخلود ذاتك في الد

نيا ، فما ذا الأمر الذي تهواه

و إذا صرت غير شخصك في الأ

خرى فهذا الفنا الذي تخشاه

في التراب الذي تدوس عليه

ألف دنيا و عالم لا تراه

أنت جزء من الكيان و فيه

كثراه ، كنبته ، كحصاه

كالورود التي تحبّ شذاها

و البعوض الذي تخاف أذاه

ما لحيّ بالموت عنه انفصال

إنّ دنياه هذه أخراه

رأي الأكثريّة

لمّا سألت عن الحقيقة قيل لي

ألحقّ ما اتّفق السواد عليه

فعجبت كيف ذبحت ثوري في الضّحى

و الهند ساجدة هناك لديه

نرضى بحكم الأكثريّة مثلما

يرضى الوليد الظّلم من أبويه

إمّا لغنم يرتجيه منهما

أو خيفة من أن يساء إليه

ليل الأشواق

ربّ ليل نجومخه ضاحكات

مثل أحلام غادة في صباحها

لمست إصبع السكينه أشوا

في فهبّت مذعورة من كراها

كطيور في الأسر تبغي انعتاقا

قبل أن يفسد الإسار لغاها

أبق النوم ، فانطلقت إلى النّهر

بنفس كادت تسيل دماها

و معي صاحب رقيق الحواشي

تجد النّفس في رؤاه رؤاها

إن دجت ليلة أراك ضحاها

أو ذوت زهرة أراك شذاها

...

قال : ما أجمل الكواكب ! ما

أحلى سناها ! فقلت : ما أحلاها !

قال : لا شوق ، لا صبابة لولا

ها ! فتمتمت قائلا : لولاها !

قال : هل تشتهي الوصول إليها ؟

قلت : إنّي لا أشتهي إلاّها !

...

كان طرفي يجول في العالم الأ

على وروحي تجول في مغناها

و جليسي يظنّ في الشهب قصدي

و أنا أحسب الجليس عناها

قال : و النهر كم طوى من صبابا

ت ! فأطرقت أستشفّ المياها

فإذا النهر فيه رعشة روحي

حين يدوّي فيها صدى ذكراها

قال : و اللّيل ... قلت : حسبك إعنا

ت لنفسي ، و حسب نفسي دجاها

فانقطعنا عن الكلام و بتنا

كلّ نفس لذاتها نجواها

...

خلت أنّي إذا بعدت سأنسا

ها و يطوي الزّمان سفر هواها

و توهّمت أنّني سوف ألقى

ألف ليلى و ألف هند سواها

فإذا الحبّ كالفضاء ، و قلبي

طائر في الفضاء ضلّ وتاها

قد نشقت الأزهار في كلّ أرض

يا شذاهنّ لست مثل شذاها !

كيف أنسى و أينما سرت في الد

نيا أراني أسير في دنياها

و إذا ما لمحت في الأرض حسنا

فكأنّي لمحتها إيّاها

و إذا داعب النسيم ردائي

قلت : قد علّمته هذا يداها !

هي أدنى من الأماني إلى قل

بي ، و قلبي يصيح : ما أقصاها !

لست أشكو النّوى ملالا و لكن

طرب الرّوح أن تذيع جواها

قال قوم : إنّ المحبّة إثم !

ويح بعض النفوس ما أغباها

إنّ نفسا لم يشرق الحبّ فيها

هي نفس لم تدر ما معناها

خوّفوني جهنّما و لظاها

أيّ شيء جهنّم و لظاها ؟

ليس عند الإله نار لذي حبّ ،

و نار الإنسان لا أخشاها !

أنا بالحبّ قد وصلت إلى نفسي ،

و بالحبّ قد عرفت الله !

أم القرى

هذه " ملفرد " قد لاحت رباها

فانس ، يا قلب اللّيالي و أذاها

واشهد الفنّ سفوحا و ذرى

و الهوى الصافي أريجا و مياها

ههنا أودعت أحلام الصبا

أفما تلمح نورا في ثراها ؟

أتلقى الوحي عن بلبلها

و هو و لهان يغني لرباها

و تحسّ الوحي روحي هابطا

من سماها في ضحاها و مساها

ذهبت عشرون في فرقتها

ليتها فيها انقضت لا في سواها

كم جلسنا تحت صفصافتها

أشتكي وجدي و تشكو لي هواها

و السّواقي استترت إلاّ غناها

و الرّوابي هجعت إلاّ شذاها

و الصدى في الغاب لم ننبس معا

نسبة إلاّ وعاها و حكاها

نتناجى ويدي في يدها

فإذا لاح خيال نتلاهى

أنا دنيا من شباب و هوى

و هي كالروضة قد تمت حلاها

أحسن الأيّام في العصر انقضت

آه لو ينشرها من قد طواها

صرت في نيويورك طيفا شاردا

مع طيوف حائرات في سراها

طرحت عنها رؤاها و مضت

ننشد المجد الذي فيه شقاها

كنعاج عميت أبصارها

ووهت في طلب العشب قواها

كلّما جدّت لكي تدركه

وجدته صار في الأرض وراها !

أين في نفسي رؤى تسعدها ؟

سرقت نيويورك من نفسي رؤاها

في يدي أمري و لا أملكه

و معي ذاتي و أخشى أن أراها !

هذه " أمّ القرى " قف في حماها

تسترح نفسي من بعض جواها

ههنا الإنسان يلقى ذاته

ههنا لا يحجب المال الإلها

لا تقل لي جئتها عارية

فقرها عندي جميل كغناها

لم يزل للصيف فيها عبق

و سماء الصيف ما زالت سماها

لا يزال الحبّ في شلالها

و بواديها حديثا وانتباها

لم يجردها الشتا من وشيها

بل كساها روعة فوق بهاها

فهي في ديباجة من صبغه

ما رآها أحد إلاّ اشتهاها

اسألوها

اسألوها ، أو فاسألوا مضناها

أيّ شيء قالت له عيناها ؟

فهو في نشوة و ما ذاق خمرا

نشوة الحبّ هذه إيّاها

ذاهل الطرف شارد الفكر ،

لا يلمح حسنا في الأرض إلاّ رآها

ألسواقي لكي تحدّث عنها

و الأقاحي لكي تذيع شذاها

و حفيف النسيم في مسمع

الأوراق نجوى تبثّها شفتاها

يحسب الفجر قبسه من سناها

و نجوم السماء بعض حلاها

و كذلك الهوى إذا حلّ في الأرواح

سارت في موكب من رؤاها

كان ينهى عن الهوى نفسه الظمأى

فأمسى يلوم من ينهاها

لمس الحبّ قلبه فهو نار

تتلظّى و يستلذّ لظاها !

كلّ نفس لم يشرق الحبّ فيها

هي نفس لم تدر ما معناها

حكاية حال

ألحشد ملء الدّار لكن

لم ير أحدا سواها

فتّانة خلّابة

كالياسمينه في شذاها

أوفى عليها و هي تخطر

كالفراشة فاشتهاها

شكت الصّبابة مقلتا

ه فجاوبته مقلتاها

حتّى إذا ما اختار كلّ " م "

فتى رفيقته اصطفاها

و رأت به من تبتغي

و كما رأته كذا رآها

و تقدّما للرّقص يقرأ

ناظريه ناظراها

متلاصقي الجسمين

يسند ساعديه ساعداها

و تكاد لولا الخوف تلمس

و جنتيه و جنتاها

متدافعين كموجتين ،

خطاه تتبعها خطاها

يمشي فتمشي و هي

تحسبه يسير على حشاها

هي في لثام كالدّجى

محلو لك و كذا فتاها

لكنّما الألحاظ تخترق

السّتور و ما وراها

فاض الغرام فقال آه

و قالت الحسناء آها

فانسل من أصحابه

سرّا ، و أغضت جارتاها

و مشى بها في روضة

قد نام عنها حارساها

حتّى إذا أمنّا الورى

و شكا الهوى و شكت هواها

طارت ببرقعها و بر

قعه على عجل يداها

كيما تقبّل ثغره

و يقبّل المعشوق فاها

فرأى المتيّم بنته

ورأت مليحتنا أباها

الصيف

عاد للأرض مع الصيف صباها

فهي كالخود التي تمّت حلاها

صور من خضرة في نضره

ما رآها أحد إلاّ اشتهاها

ذهب الشمس على آفاقها

و سواد اللّيل مسك في ثراها

و نسيم في أشجارها

و شوشات يطرب النهر صداها

و السّواقي فتن راقصة

ضحكها شدو و تهليل بكاها

و الأقاحي صور خلّابة

و أغاني الطير شعر لا يضاهى

إنّها الجنة لامريء

هو فيها و قليلا ما يراها

أيّها المعرض عن أزهارها

لك لو تعلم ، يا هذا ، شذاها

أيّها النائم عن أنجمها

خلق الله لعينيك سناها

أيّها الكابح عن لذّاتها

نفسه ، هيهات لن تعطى سواها

لا تؤجّل لغد ، ليس غد

غير يوم كالّذي ضاع و تاها

و إذا لم تبصر النفس المنى

في الضحى كيف تراها في مساها

هذه الجنّة فاسرح في رباها

و اشهد السّحر زهورا و مياها

و استمع للشّعر من بلبلها

فهو الشعر الذي ليس يضاهى

...

ما أحيلى الصيف ما أكرمه

ملأ الدنيا رخاء ورفاها

عندما ردّ إلى الأرض الصّبا

ردّ أحلامي التي الدهر طواها

كنت أشكو مثلما تشكو الضّنى

فشفى آلام نفسي وشفاها

جرجي زيدان

ثكل الشّرق فتاه

ليتني كنت فداه

ليتني كنت أصمّا

عندما النّاعي نعاه

قد نعى النّاعون "

زيدانا " إلى البدر سناه

و إلى التاريخ و العلم

أباه و أخاه !

...

سرى نعيه في الدمع في كلّ محجر

كأنّ قلوب الناس خلف المحاجر

و للطير في اجنان إرنان ثاكل

و للماء أنّت الغريب المسافر

و للنجم ، و هو النجم ، مشية ظالع

و للأرض ، و هي الأرض ، وقفة حائر

و ما كاهن فيه الأسى غير كامن

و لا ظاهر فيه الأسى غير ظاهر

و هي " البرق " ممّا حملوه فلم يطق

يحدّثنا عنه بغير الأشائر

فيا خبرا ألقى الفجيعة بيننا

لأنت علينا اليوم أشأم طائر

و يا ناقل الأنباء يجهل كنهها

كرهناك حتّى قادما بالبشائر

أقام الأسى بين العزاء و مهجتي

و باعد ما بين القريض و خاطري

فأمسيت لا أدري أستر من الدّجى

على الشّمس أم ضيّعت أسود ناظري

و بات فؤادي يتّقي نزواته

كما يتّقي العصفور بأس الكواسر

كأنّ بقلبي شاعرا ينظّم الأسى

كأنّي مدمعي كلّ ناثر

ألا ليت شعري بعدما طار نعيه

أفي أرض مصر نائم غير ساهر

و هل في سماء النّيل غير دياجر

و هل في مياه النيل غير مجامر

و هل في ضفاف النيل بين نخليه

مغرّدة أو آنس غير نافر

بم سمر الإخوان في كلّ ليلة

و صاحبهم في اللّحد غير مسامر

لتّبكعليه المسلمون فإنّهم

أضاعوا به محبّي العصور الدّوائر

و تبك النّصارى فخرها و عميدها

فما بعده من حجّة لمفاخر

فما جادت الدنيا عليهم بمثله

و غير يسير أن تجود بآخر

أيا جبل العلم الذي ماد هاويا

عزيز علينا أن ترى في الحفائر

عليك يودّ الغرب لو كان مشرقا

و فيك يحبّ الحيّ أهل المقابر

و يغبط تبر الأرض فيك ترابها

و يحسد ماء الجفن ماء المحابر

و ما عادة خفض الرّجال رؤوسها

و لكنّما في الأرض كنز الجواهر

لتفخر على الشّهب و الحصى

ففيها هلال العلم شمس المحاضر

شأوت الأوالي جامعا و مؤلّفا

وزدت بأن أحرزت فضل الأواخر

تخيّر أحداث اللّيالي كبارنا

كأنّ المنايا صبّة بالأكابر

و نضحك للآمال ضحكة وامق

فيضحك منّا الدّهر ضحكة ساخر

رضينا بأن الغزاة بلادنا

و نمنا و ما نامت عيون المعاشر

لها كلّ يوم حكم جائر

وإقدام موتور و فتكة ثائر

على أنّها من غير مذنب

و تأخذ بالأوتار من غير واتر

فيا ويح هذا الشوق كيف اغتباطه

و أمضى مواضيه مليل الأظافر ؟

...

جلل في مصر لكن

في العراقين صداه

ماد لبنان و ماد

الشّام لمّا سمعاه

كاد أن يخذل فيه

كلّ طود منكباه

أيّها الرّاحل عنّا

بلّغ الحزن مداه

قد بكاك الأفق حتّى

فرقداه و سهاه

يا خليليّ أعينا

من عصاه مسعداه

خانت النّفس قواها

خانت البين قواه

قد مضى من تتمنّى

كلّ عين أن تراه

فتمنّى كلّ قبر

حين أودى لو حواه

مات " زيدان "

أبو التاريخ فليحي فتاه !

لبنان

إثنان أعيا الدهر أن يبليهما

لبنان و لأمل الذي لذويه

نشتاقه و الصيف فوق هضابه

و نحبّه و الثلج في واديه

و إذا تمدّ له ذكاء حبالها

بقلائد العقيان تستغويه

و إذا تنقّطه السماء عشيّة

بالأنجم الزهراء تسترضيه

و إذا الصّبايا في الحقول كزهرها

يضحكن ضحكا لا تكلّف فيه

هنّ اللّواتي قد خلقن لي الهوى

و سقينني السحر الذي أسقيه

هذا الذي صان الشّباب من البلى

و أبى على الأيّام أن تطويه

...

و لربّما جبل أشبّهه به

مسترسلا مع روعة التشبيه

فأقول يحكيه ، و أعلم أنّه

مهما سما هيهات أن يحكيه

يا لذّة مكذوبة يلهو بها

قلبي و يعرف أنّها تؤذيه

إنّي أذكره بذيّاك الحمى

و جماله و إخالني أنسيه

و إذا الحقائق أحرجت صدر الفتى

ألقى مقالده إلى التمويه

وطني ستبقى الأرض عندي كلّها

حتّى أعوذ إليه أرض التيه

سألوه الجمال فقال : هذا هيكلي

و الشعر قال : بنيت عرشي فيه

الأرض تستجدّي الخضمّ مياهه

و كنوزه و البحر يستجديه

يمسي و يصبح و هو منطرح على

أقدامه طمعا بما يحويه

أعطاه بعض وقاره حتّى إذا

استجداه ثانية سخا ببنيه

لبنان صن كنز العزائم واقتصد

أخشى مع الإسراف أن تفنيه

...

غيري يراه سياسة وطوائفا

و يظلّ يزعم أنّه رائيه

و يروح من إشفاقه يبكي له

لبنان أنت أحقّ أن تبكيه

لا يسفر الحسن النزيه لناظر

ما دام منه الطّرف غير نزيه

...

قل للألى رفعوا التخوم

ضيّقتم الدّنيا على أهليه

و لمن يقولون الفرنج حماته

الله قبل سيوفهم حاميه

...

يا صاحبي ، يهنيك أنّك في غد

ستعانق الأحباب في ناديه

و تلذّ بالأرواح تعبق بالشّذى

و تهزّك الأنغام من شاديه

إن حدّثوك عن النعيم فأطنبوا

فاشتقته لا تنس أنّك فيه !

يا قائد القوم

يا أيّها الشعر أسعفني فأرثيه

و يا دموع أعينيني فأبكيه

بحثت لي عن معزّ يوم مصرعه

فلم أجد غير محزون أعزّيه

و ما سألت امرءا فيما تفجّعه

إلاّ و جاوب – " إنّي من محبّيه "

كأنّما كلّ إنسان أضاع أخا

أو انطوت فجأة دنيا أمانيه

فذا أساه لهيب في أضالعه

و ذا أساه دموع في مآقيه

فهل درى أيّ سهم في قلوب رمى

لما نعاه إلى الأسماع ناعيه ؟

***

يا شاعر الحسن هذا الروض قد طلعت

فيه الرياحين و افترّت أقاحيه

و شاع " أيّار " عطرا في جوانبه

و نضرة و اخضرارا في روابيه

فأين شعرك يسري من نسائمه ؟

و أين سحرك يجري في سواقيه ؟

هجرته فامّحت منه بشاشته

مات الهوى فيه لمّا مات شادية

أغنى عن الدّرّ في القيعان مختبئا

درّ يساقطه الحدّدا من فيه

و كان للسحر تأثيره فأبطله

بالسحر يجري حلالا في قوافيه

بلاغة " المتنبّي " في مدائحه ،

و دمع " خنساء صخر " في مراثيه

لا يعذّب الشعر إلاّ حين ينظمه ،

أو حين ينشده ، أو حين يرونه

و يا طبيبا يداوي الناس مع علل

داء الأسى اليوم فيهم من يداويه ؟

أمسى الذي كان يشجينا و يطربنا

لا شيء يطربه ، لا شيء يشجيه

لقد تساوى لديه شدو ساجعة

و صوت نائحة في الحيّ تبكيه

صارت لياليه نوما غير منقطع

و لم تكن هكذا قبلا لياليه

قد كان نبراسنا في المعضلات إذا

ما ليلها جنّ واربدّت نواصيه

فمن لنا في غد إن أزمة عرضت

و ليس فينا أخو حزم يضاهيه

من للحزين يواسيه و يسعده

و للمريض يداويه فيشفيه

يا قائد القوم إن تسأل فإنّهم

باتوا حيارى كإسرائيل في التيه

لمّا رأوك مسجّى بينهم علموا

ما العيش غير أخابيل و تمويه

يا رزق ، قلبي عليك اليوم منفطر

و كلّ قلب كقلبي في تشظّيه

لم يحو نعشك جسما لا حراك به

بل أنت آمالنا موضوعة فيه

غدا يواريك عن أبصارنا جدث

لكنّ فضلك لا شيء يواريه

الكمنجة المحطّة

شاهدتها كالميّت في اكفانه

فوجئت إلاّ عبرة أذريها

مهجورة كسفينة منبوذة

في الشّطّ غاب وراءه ماضيها

نسجت عليها خيوطها

و كسى الغبار غلالة تكسوها

أقوت و باتت كالمسامع بعدها

لا شيء يطربها و لا يشجيها

و كأنّها ، في صمتها ، مشدوهة

أن لا ترى بهتافها مشدوها

لاحسّ في أوتارها ، لا شوق في

أضلاعها ، لا حسن في باقيها

فارزح بحزنك ، يا حزين ، فإنّها

لا تنشر الشّكوى و لا تطويها

و إذا انفضى عهد التعلّل بالمنى

فالنّفس يشفقيها الذي يرديها

***

لله عهد مرّ لي ظلّها

أبكى عليه و تارة أبكيها

كانت كأنّ ضاوعها موصوله

بأضالعي و سرائري في فيها

كم مرّة حامت غرابيب الأسى

لتقيت من قلبي الجريح بنيها

فإذا الأغاريد اللّطيفة دونها

سور يصون حشاشتي و يقيها

كم هزّني الشّدو الرخيم فساقطت

نفسي همومما أوشكت تبليها

فإذا أنا مثل البنفسجية التي

ذبلت فباكرها النّدى يحييها

و لكم سمعت خفوق أجنحة المنى

و حفيفها في نغمة توحيها

فسكرت حتّى ما أوعى سكر امريء

بالخمر أترع كأسه ساقيها

ورأيتني من جنّة سحريّة

لا يرتوي من حسنها رائيها

و لمحت أحلام الشّباب مواكبا

تتلاى أمامي و الهوى حاديها

سرّ السعادة في الرّوءى إنّ الرءوى

لا كفّ تثبتها و لا تمحوها

و لكم سمعت دبيب أشباح الأسى

عند المسا في أنّه تزجيها

فذكرت ثمّ محاسنا الثرى

غابت و شوّهها البلى تشويها

فإذا أنا كالسنديانه شوشت

أغصانه الريح التي تلويها

أو كالسفينة في الضباب طريقها

ضلّت ، و غابت أنجم تهديدها

شهد الدّجى و الفجر أنّي جازع

لسكونها جزع الغدير أخيها

ما أن سمعت أنينه و نشيجه

إلاّ و يعرو النفس ما يعروها

روّى الثرى ، يا ليت روحي في الثرى

أو في النبات لعلّة يرويها

***

يا صاحبيّ ، و في حنايا أضلعي

همّ يكظّ الروح بل يدميها

إنّ التي نقلت حكايات الهوى
لم يبق غير حكاية ترويها
كمدينة دكّ القضاء صروحها
دكّا و كفّن بالسكوت ذويها
نعيت فريع الفجر و ارتعش الدّجى
ما كان أهونها على ناعيها
لا تعجبا في الغاب من نوح الصّبا
و عويلها ، إنّ الصّبا ترثيها
لو تسمعان نجّيها متمشّيا
كالسّحر في الأرواح يستهويها
لعلتما أنّ القضاء اغتالها
كيلا تبوح بكلّ سرّ فيها

" من اشتهى الخمر فليزرع دواليها "

خذ ما استطعت من الدنيا و أهليها
لكن تعلّم قلبلا كيف تعطيها
كم وردة طيبها حتّى لسارقها
لا دمنه خبثها حتّى لساقيها
أكان في الكون نور تستضيء به
لو السماء طوت عنّا دراريها ظ
أو كان في الأرض أزهار لها أرج
لو كانتا الأرض لا تبدي أقاحيها ؟
إن الطيور الدمى سيّان في نظري
و الورق إن حبست هذي أ؟غانيها
إن كانت النفس لا تبدو محاسنها
في اليسر صار غناها من مخازيها
***
يا عابد المال قل لي هل وجدت به
روحا تؤانسك أو روحا تؤاسيها
حتّى م ، يا صاح ، تخفيه و تطمره
كأنّما هو سوءات تواريها ؟
و تحرم النفس لذات لها خلقت
و لم تصاحبك ، يا هذا ، لتؤذيها
أنظر إلى الماء إنّ البذل شيمته

يأتي الحقول فيرويها و يحميها

فما تعكّر إلاّ و هوم منحبس

و النفس كالماء تحكيه و يحكيها

ألسجن للماء يؤذيه و يفسده

و السجن للنفس يؤذيها و يضنيها

و انظر إلى النار إنّ الفتك عادتها

لكنّ عادتها الشنعاء ترديها

تفني القرى و المغاني ضاحكة

لجهلها أنّ ما تفنيه يفنيها

أرسلت قولي تمثيلا و تشبيها

لعلّ في القول تذكيرا و تنبيها

لا شيء يدرك في الدنيا بلا تعب

من اشتهى الخمر فليزرع دواليهال

الغابة المفقودة

يا لهفة النفس على غاية

كنت وهندا نلتقي فيها

أنا كما شاء الهوى و الصّبا

و هي كما شاءت أمانيها

تكاد من لطف معانيها

يشربها خاطر راثيها

آمنت بالله و آياته

أليس أنّ الله باريها ظ

...

نباغت الأزهار عند الضّحى

متّكئات في نواحيها

ألوى على الزّنبق نسرينها

و التفّ عاريها بكاسيها

و اختجلت في الشّمس ألوانها

كأنّها تذكر ماضيها

تآلفت ، فالماء من حولها

يرقص و الطير تغنّيها

من لقن الطير أناشيدها ؟

و علّم الزهر تآخيها ؟

يا هند هذي معجزات الهوى

و إنّها فينا كما فيها

لا تستحي الزهر بإعلانها

فما لنا نحنت نواريها ؟

و تهتف الطير بها في الربى

فما لنا نحن نعمّها ظ

لله في الغابة أيّمنا

ما عابها إلاّ تلاشيها

طورا علينا ظلّ أدواحها

و تارة عطف دواليها

و تارة نلهو بأعنابها

و تارة نحصى أقاحيها

تسكت إذ نشكو شحاريرها

كأنّما التغريد يؤذّيها

و إن تضاحكا سمعنا الصدى

يضحك معنا في أقاصيها

و إن مشينا فوق كثبانها

لاحت فشاقتنا أدانيها

و فوقنا الأغصان معقودة

ذوائب طال تدلّيها

إذا هززها عن غرّة

ألقت من الذعر لآليها

نسير من كهف إلى جدول

نكتشف الأرض و نطويها

و النور عطر في تعاريجها

و العطر نور في حواشيها

و تختبي هند فأشتاقها

و أختبي عنها فأغريها

كم أوهمتني الخوف من طارىء

تشجي بذا نفسي فتشجيها

فرحت أعدو نحوها مشفقا

فكان ما حاذرت تمويها !

فاعجب لأطواري و أطوارها

تعبت منّي و أجاريها !

...

أللهُ لو دام زمان الهوى

و دام من هند تجنّيها

لا غابتي اليوم كعهدي بها

و لا التي أحببتها فيها

و لا تلال كهنود الدمى

و لا سفوح كتراقيها

و لا الندى درّ على عشبلها

و لا الأقاحي في روابيها

و لا الضّحى يلقى على أرضها

شبّاك تبر من أعاليها

أهبطني أمس إلى حضنها

شوقي إلى سجع قماريها

فلم تخمّشني بأوراقها

و لم تهلّل لي سواقيها

قد بدّل الإنسان أطوارها

و اغتصب الطيّر مأويها

وفتّ بالبارود جلمودها

واتثّ بالفأس دواليها

و شاد من أحجارها قرية

سكّانها الناس و أهلوها

...

يا لهفة النّفس على غابة

كنت و هندا نلتقي فيها

جنّة أحلامي و أحلامها

ودار حبّي و تصابيها

نبكي من اليأس على شوكها

و كان يدميني و يدميها

كانت تغطّينا بأوراقها

فصارت الدّور تغطّيها !

يا أنشودتي انطلقي

أنشودة في ضميري كم أواريها
و ما شقائي إلاّ أن أغنّيها
ولّى الشتاء و نفسي في كآبتها
و استضحك الصّيف إلاّ في نواحيها
كأنّها زهرة في الظلّ ثابته
لانور يغمرها ، لا ماء يسقيها
كأنّها الحرب في قلبي زلالها
و بعض أهلي أقوام تعانيها
حكاية أتقلّى حين أسمعها
و يأكل الحزن قلبي حين أرويها
وا رحمتاه لأوربا فما فتكت
أفعى بأفعى كأهليها بأهليها
لم يبق غير الضواري في خلائقها
و من حضارتها إلاّ مخازيها
كانت تعدّ الدواهي في مصانعها
لغيرها ، فأصابتها دواهيها
و كلّ طابخ سمّ سوف يأكله
و كلّ حافر بئر واقع فيها
لو دام أيمانا لم تنطلق سقر
بدورها و الأفاعي في مغانيها
لكن أكبّت على الآلات تعبّدها
و تستعين بها من دون باريها
فصار مالكها عبدا لسلطتها
و صار كلّ لاضعيف من أضاحيها
وصارأنسانها للحلب آونة
و الذّبح ، مثل المواشي في مراعيها
يا نفس سرّي ، و يا أنشودتي انطلقي
من علّم الصمت ، إنّ الصمت يؤذيها
أيشرق الأفق لم يطلق كواكبه
و تجمل الأرض لم تخرج أقاحيها
أليوم يوم القوافي تهفين بها
لا يشرب النالس خمرا لم تصبّيها

هذا هو العيد قد لاحت مواكبه

يا قلب هلّل لها ، يا شعر حيّيها

لقاء و فراق

صبرا على هجرنا إن كان يرضيها

غير المليحة مملول تجنّيها

فالوصل أجمله ما كان بعد نوى

و الشمس بعد الدّجى أشهى لرائيها

أسلمت للسّهد طرفي و الضّنى بدني

إنّ الصبابة لا يرجى تلاقيها

إنّ النساء إذا أمرضن نفس فتى

فليس غير تدانيهنّ يشفيها

فاحذر من الحبّ إنّ الريح خفيت

لولا غرام عظيم مختف فيهعا

يمضي الصفاء و يبقى بعده أثر

في النفس يؤلمها طورا و يشجيها

مرّت ليال بنا كان أجملها

تمّت فما شانها إلاّ تلاشيها

تلك اللّيالي أرجو تذكّرها

خوف العناء و لا أخشى تناسيها

أصبو إليها و أصبو كلّما ذكرن

عندي اشتياقا إلى مصر و أهليها

أرض سماء سواها دونها شرفا

فلا سماء و لا أرض تحاكيها

رقت حواشيها و اخضرّ جانبها

و أجمل الأرض ما رقت حواشيها

كأنّ أهرامها الأطواد باذخة

هذي إلى جنبها الأخرى تساميها

و نيلها العذب ما أحلى مناظره

و الشّمس تكسوه تبرا في تواريها

كأنّها كعبة حجّ الأنام لها

لولا التقى قلت فيها جلّ بانيها

و ما أحيلى الجواري الماخرات به

تقلّ من أإرضه أحلى جواريها

من كلّ الوجه يغرينا تبسّمها

إن نجتديها ، و يثنينا تثنيها

و ناهد حجبت عن كلّ ذي بصر

حشاشتي خدرها و القلب ناديها

فقي كلّ جارحة منّي لها أثر

" و الدار صاحبها أدرى بما فيها "

و في الكواكب جزء من محاسنها

و في الجآذر جزء من معانيها

يمّميتها و نجوم الأفق تلحظني

في السير شذرا كأنّي من أعاديها

كادت تساقط غيظا عندما علمت

أنّي أؤم التي بالنفس أفديها

أسرى إليها و جنح اللّيل مضطرب

كأنّه مشفق أن لا ألاقيها

و الشوق يدفعني و الخوف يدفعني

هذا إليها و هذا عن مغانيها

أطوي الدّياجي و تطويني على جزع

تخشى افتضاحي و أخشى الصّبح يطويهعا

فما بلغت مغاني من شغف بها

إلاّ وقد بلغت نفسي تراقيها

هناك ألقيت رحلي و انتحيت إلى

خود يرى الدّمية الحسناء رائيها

بيض ترائبها سود ذوابيها

زجّ حواجبها كحل مآقيها

نهودها من ثنايا الثوب بارزة

كأنّها تشتكي ممّا يولريها

و الثوب قد ضاق عن إخفائها فنبا

عنها فيا ليتني برد لأحميها

و تحت ذلك خصر يستقلّ به

دعص ترجرج حتّى كاد يلفيها

قامت تصافحني و الرّدف يمنعها

و الوجد يدفعها و القدّ يثنيها

دهشت حتّى كأنّي قطّ لم أرها

و كدت و الله أنسى أن أحيّيها

باتت تكلّمني منها لواحظها
بما تكنّ و أجفاني تناجيها
حتّى بدا الفجر و اعتلّت نسائمه
و كاد ينشر أسراري و يفشيها
بكت دموعا و أبكتني الدموع دما
ورحت أكتم أشياء و تبديها
كأنّها شعرت في بعدنال أبدا
فأكثرت من وداعي عند واديها
فما تعزّت بأن الدّهر يجمعنا
يوما و لا فرحت أنّي أمنيها
تقول و الدمع مثل الطلّ منتثر
على خدود خشيت الدّمع يدميها
و الهف نفسي على أنس بلا كدر
ترى تنال من الدنيا أمانيها ؟
فقلت صبرا على كيد الزمان لنا
فكلّ حافر بئر واقع فيها

فلوريدا

يا جنّة قبلما حلّت بها قدمي
أحببتها قصّة و اشتقت زاويها
كانت لها صورة في النفس حائرة
مثل القصيدة لم تنسج قوافيها
وددت لو أنّها تمّت فيبصرها
غيري ، و تسكره مثلي معانيها
و كيف تكمل في ذهني و لم أرها
و ما لصورتها شيء يحاكيها ؟
و أيّما نغمة أدّى عذوبتها
كلام راو و لا شاد يغنّيها
أأنشق العطر لم أهبط خمائلها ؟
و أشرب السحر لم أسمع قماريها ؟
و تصعد النفس منّي للسماء و لا
حبال نور تدلّت من دراريها ؟
كانت سعادة نفسي في تصوّرها
و النفس يسعدها و هم و يشقيها

بالوهم توجد دنيا لا وجود لها

و تنطوي عنك دنيا أنت رائيها

فكم ظمئت و في روحي جداولها

و كم رويت و غيري في سواقيها

قد كنت من قبل مثل الناس كلّهم

أقول إنّ إله الكون باريها

حتّى نظرت إليها في جلالتها

فصار كلّ يقيني أنّه فيها !

لمّا رأيت الجمال الحقّ أدركني

زهد بكلّ جمال كان تمويها

كأنّما الحور مرّت في شواطئها

في ليلة طفلة رقت حواشيها

ففي الرمال سناء من تضاحكها

و في المياه أريج من أغانيها

أتيتها بشباب ضاع أكثره

و غيّبته الليالي في مطاويها

فاسترجع الحبّ قلبي فهو مغتبط

و عادت الروح خضراء أمانيها

*

سئلت ما راق نفسي من محاسنها ؟

فقلت للناس : باديها و خافيها

و ما حببت من الأشجار ؟ قلت لهم :

إنّي افتتنت بكاسيها و عاريها

و ما هويت من الأزهار ؟ قلت لهم :

ألحبّ عندي لناميها و ذاويها

قالوا : و ما تتمنّى ؟ قلت مبتدرا :

يا ليتني طائر أو زهرة فيها

فربّ أنشودة من بلبل غرد

حوت حكاية حبّ خفت أحكيها

وربّ روح كروحي في بنفسجة

و سنى أطلّت على روحي تناجيها

وربّ قطره ماء لا غناء بها

شاهدت مصرع دنيا في تلاشيها

كلّ الذي لاح في أرضها حسن

و أحسن الكلّ في عيني أهاليها

إلاّ ذوو السحن السوداء واعجبا

أجنّة و ذباب في نواحيها ؟

إنّي ليكبت روحي أن ألاحظهم

بمقلة أبصرت فيها غوانيها

دع المساويء في الدنيا فما برحت

فيها محاسن تنسينا مساويها

كم حاول اللّيل أن يطوي كواكبه

فكان ينشرها من حيث يطويها

واذكر أكارم قوم عنصرهم

و أشبهوا بسجاياهم أقاحيها

بني بلادي ! و فيكم من خمائلها

جمالها و التّسامي من روابيها

تسلّت النفس عن أحبابها بكم

لولاكم لم يكن شيء يسلّيها

أكرمتموني فشكرا غير منقطع

دوام شكرك للنعماء يبقيها

هي

أروي لكم عن شاعر ساحر

حكاية يحمد راويها

قال : دعا أصحابه سيّد

في ليلة رقّت حواشيها

فانتظمت في قصره عصبة

كريمة لا واغل فيها

من نبلاء الشّعب ساداتها

و خيرة الغيد غوانيها

حتّى إذا ما جلسوا كلّهم

و طاف بالأكواب ساقيها

قام أمير القصر في مقّه

كأس أعارنه معانيها

و قال : يا صحب على ذكركم

أملأها حبّا و أحسوها

و ذكر من قلبي عبد لها

و مهجتي إحدى جواريها

حبيبتي " لمياء " سميتها

و لم أكن قبلا أسمّيها

فشربوا كلّهم سرّها

و هتفوا كلّهم تيها

فأجزل الشّكر لأصحابه

الشكر للنعمة يبقيها

و صاح بالساقي علينا بها

فطاف بالأكواب ساقيها

و قال للأضياف : سمعا ! فلي

كلمة ، ألعدل يمليها

ما أنا وحدي الصبّ فيكم ، و لا

كلّ العذارى من أناجيها

فكلّ نفس مثل نفسي لها

في هذه الدنيا أمانيها

و كلّ لب مثل قلبي له

حسناء ترجوه و يرجوها

يا صحب ، من كانت به صبوة

يعلنها الآن و يبديها

فنهضوا ثانية كلّهم

ورفعوا الكاسات تنويها

كلّهم يشرب سرّ التي

يهوى من الغيد و يطريها

...

و كان في الشّرب فتى باسل

طلعته تسحر رائيها

شارك في أوّل أقداحهم

و لم يشاركهم بثانيها

و أنت ؟ قال الصحب و استضحكوا

هل لك حسناء نحيّيها ؟

قال : أجل ، أشرب سرّ التي

بالروح تفديني و أفديها

صورتها في القلب مطبوعة

لا شيء حتّى الموت يمحوها

لا تترّضاني رياء ، و لا
تلثمني كذبا و تمويها
يضيع مالي و يزول الصّبي
و حبّها باق و حبّيها
قد وهبتني روحها كلّها
و لم تخف أنّي أضحّيها
سرّ التي غادة بينكم
مهما سمعت في الحبّ تحكيها
فأجفلوا منه كمن حيّة
نهاشة قد عزّ راقيها
و قالت الغادات : أفّ له ،
قد شوّه المجلس تشويها
لو ظلّ فيما بيننا صامتا
لم تسمع الآذان مكروها
و قلقل الفتيان أسيافهم
فأوشكت تبدو حواشيها
و تعتع الشّادي بألحانه
و ماجت الدّار بمن فيها
و قال قوم : خبلته الطلا!
و قال قوم : صار معتوها !
فصاح ربّ الدّار : يا سيّدي
و صفتها ، لم لا تسمّيها
أتخجل باسم من تهوى ؟
أحسناء بغير اسم ؟
فأطرق غير مكترث
و تمتم خاشعا ... أمّي !!

حنة مشتاق

ألا أيّها الباكي فديتك باكيا
علام و فيما تستحثّ المآقيا ؟
رويدك ما أرضى لك الحزن خلّة
و هيهات أن أرضاك بالحزن راضيا
يعنّفني من كنت أدعوه صاحبا
فما انفكّ حتّى يتّ أدعوه لاحيا

دعوت لربّي أن دعاني لائم

و لم أعصه أن لا يجيب دعائيا

لقد أرخص العذّال عندي قولهم

إذا همّت العيان أرخصت غاليا

أأمنع ماء ما يروي أخا صدى

و قد كنت لا أحمي المناهل صاديا

عليّ و البكا و النوح ضربه لازب

و إنذي لأبكي أنّني لست باكيا

و كيف ارتياحي بعد هند و بيننا

مهامه لا تلقى بها الريح هاديا ؟

يظلّ بها السرحان يعوي من الطوى

نهارا ، و يطوي ليلة الخوف طاويا

لقد كنت أخشى أن يفرّق بيننا

فأصبحت أخشى اليوم أن لا تلاقيا

فيا من لقلب لا تنام همومه

و يا من لعين لا تنام اللّياليا

رأيت اللّيالي ما تزال تروعني

بأحداثها ، ما لليالي و ما ليا

و ام يبق عند الدهر خطب أخافه

فكيف اعتذار الدّهر إن رحت شاكيا

إذا لم تكن لي آسيا أو مؤاسيا

فلا تك لوّاما وذرني و ما بيا

فإنّي رأيت اللّوم يذكي صبابتي

كذاك عهدت الزّند بالقدح واريا

ألا حبّذا من سالف العيش ما مضى

و يا حبّذا لو كان يرجع ثانيا

زمان كقلب الطّفل صاف و كالمنى

لذيذ ، و لكن كان كالحلم فانيا

أحنّ إليه في العشيّ و في الضحى

حنين جاءه الشّوق داعيا

و أذكره ذكرى العجوز شبابها

و أبكي لدى ذكراه أحمر قانيا

و لولا أمور في الفؤاد أسرّها

جعلت عليه الدهر وقفا لسانيا

خليليّ أعوام السرور دقائق
و أيّامه كادت تكون ثوانيا
و أجمل أيّام الفتى زمن الصبى
و خير الصّبا ما كان في الحبّ ناميا
رعى الله أيّامي التي قد أضعتها
فكنت كأنّي قد أضعت فؤاديا
ليالي لا هند تصدّق واشيا
و لا هي تخشى أن أصدّق واشيا
و يا طالما بتنا و لا ثالث لنا
سوى الرّاح ندنيها فتدني الأمانيا
و دار حديث الحبّ بيني و بينها
فطورا مناجاة و طورا تشاكيا
ألم تر أنّني قد نظمت حديثها
لآليء غنّاها الرواة قوافيا ؟
تولّى زمان اللّهو كالطيف في الكرى
فلست تراني بعده الدهر لاهيا
شئمت لذاذات الحياة جميعها
و لو رضيت هند سئمت شبابيا
سلام على هند و إن فات مسمعي
سلام التي أهدي إليها سلاميا
ترى عندها أنّي على العهد ثابت
و إن يك هذا البين أوهى عظاميا
فوالله ما أخشى الحمام على النّوى
و لكنّني خلودي نائيا

دموع و تنـهّدات

ألا ليت قلبا بين جنبيّ داميا
أصاب سلوا أو أصاب الأمانيا
أجنّ الأسى حتّى إذا ضاق بالأسى
تدفّق من عينيّ أحمر قانيا
تهيج بي الذكرى البروق ضواحكا
و تغري بي الوجد الطيور شواديا
فأبكي لما بي من جوى و صبابة
و أبكي إذا أبصرت في لأرض باكيا

فلا تحسباني أذرف الدّمع عادة
و لا تحسباني أنشد الشعر لاهيا
و لكنّها نفسي إذا جاش جأشها
و فاض عليها الهمّ فاضت قوافيا
يشقّ على خدع فؤاده
و إن خادع الدنيا و داجى المداجيا
طلبت على البلوى معينا ففاتني
يؤاسيك من يحتاج فيك مؤاسيا
و من لم تضرّسه الخطوب بنابها
يظنّ شكايات النفوس تشاكيا
رميت من الدنيا بما لو قليله
رميت به الأيّام صارت لياليا
فلا يشتك غيراي البؤوس فإنّني
ضمنت الرزايا و احتكرت العواديا
تمرّ الليالي ليلة إثر ليلة
و أحزان قلبي باقيات كما هيا
ولو أنّ ما بي الخمر أو بارد اللّمى
سلوت ، و لكن أمّتي و بلاديا
إذا خطرت من جانب الشّرق نفحة
طربت فألقى منكباي ردائيا
أحنّ إلى تلك المغاني و أهلها
و أشتاق من يشتاق تلك المغانيا
و ما سرّني أنّ الملاهي كثيرة
و في الشّرق قوم يجهلون الملاهيا
إذا مثّلوا و النوم يأخذ مقلتي
بأهدابها أمسيت و سنان صاحبا
و كيف اغتباط المرء لا أهل حوله
و لا هو من يستعذب الصّفو نائيا

***

تبدّلت الدنيا من السّلم بالوغى
و صار بنوها العاقلون ضواريا
فما تنبت الغبراء غير مصائب
و ما تمطر الأفلاك إلاّ دواهيا
وناكر حتّى اللّيل زهر نجومه

و ما الخضمّ المنشآت الجواريا

و بات سبيل كان يسري به الفتى

بلا حارس ، يمشي به الجيش خاشيا

تقطّعت الأسباب بيني و بينهم

فليس لهم نحوي وصول و لا ليا

و كان لنا في الكتب عون على الأسى

و في (البرق) ما يدني المدى المتراميا

فلم تأمن الأسرار في (السّلك) سارقا

و لم تأمن الأخباتر في الطرس ماحيا

إذا قيل هذا مخبر ملت نحوه

بسمعي و لو كان المحدّث واشيا

و تعلم نفسي أنّه غير عالم

و لكنّني أستدفع اليأس راجيا

سرى الشّكّ ما نصدّق راويا

و طال فبتنا ما نكذّب راويا

أقضي نهاري طائر النفس حائرا

و أقطع ليلي كاسف البال ساهيا

فما هم بأموات فنبكي عليهم

ولاهم بأحياء فنرجو التّلاقيا

***

كأنّي بهم أخرجوا من بيوتهم

حفاة عراة جائعين صواديا

كأنّي بالغوغاء ثارت عليهم

و بالجند تعطي الثائرين المواضيا

كأنّي بهم أعمل السّيف فيهم

كأنّ الدم القاني يسيل سواقيا

كأنّي بالدّور الحسان خرائب

كأنّي بالجنّات صارت فيافيا

مشاهد لاحت لي فهزّت فرائصي

كما ذعر الملسوع راء الأفاعيا

فبتّ كأنّ السّهم بين أضالعي

كأنّي أقلّ الشّاهقات الرّواسيا

و لو أجنبي لاتّقينا سهامه

و لكنّما الإخوان صاروا أعاديا

أطاعوا طغاة الترك فينا و طالما

عصا فيهم التركي و فينا النواهيا

و كم راغ ما بين المسيح و أحمد

و حارب " بالسوري " أخاه " اليمانيا "

فإن ينس " حورانا " فتاه و جاره

فأنّ ربى حوران لم تنس (ساميا)

ألا ليت من باعوا على الغبن ودّنا

من الترك باعوا ذلك الودّ غاليا

و يا ليت من باع البلاد و أهلها

" بفلكين " لم يخت لها البؤس شاريا

***

فيا أمّة قد طال عهد سباتها

متى يكشف الإصباح عنك الدّياجيا

إلى كم تودّين البقاء لمعشر

بقاؤهم يدني إليك التّلاشيا

ثلاثة أجيال تقضّت و أنتم

تسامون منهم ما تسام المواشيا

أم آن يسترجع التاج أهله

و يسترجع التاج المهابة ثانيا

من كان (جنكيز) " لقحطان " سيّدا

فيسمى بنو هذا لذاك مواليا ؟

***

و يا عقلاء العرب هذا زمانكم

فكونوا لمن ضلّ المحجّة ، هاديا

إذا عذر الأعمى الروى في ضلاله

فلا يعذرون النّاظر المتعاميا

أرى ظلمات مطبقات حوالكم

فإن تطلعوا فيها رأيت الدّراريا

غدا ينشر التاريخ حديثه

و يتلو الذي يتلوه ما كان خافيا

فإن شئتم أمسى عليكم محامدا

و إن شئتم أمسى عليكم مساويا

***

و يا أيّها الجالون بلادكم

تناديكم لو تسمعون مناديا
لقد عقدت فيها الخطوب عجاجة
وساق عليها جبشه الجوع غازيا
و بات ذووكم يجهلون مصيرهم
كأنّهم ماء أضاع المجاريا
من العار أن يغشى الرقاد جفونكم
على حين يغشى الدمع تلك المآقيا
من العار أين يكسو الحرير جسومكم
و لم تبق منهم شدّة الضّنك كاسيا
من العار أن يبقى عليكم جمودكم
وقد بلغت تلك النفوس التراقيا
إذا المال لم ينفقه في الخير ربّه
رآه عليه العالمون مخازيا
إذا المرء لم يسع لخير بلاده
يكن كالذي في ضرّها بات ساعيا

اليتيم

خبّروني ماذا رأيتم ؟ أطفالا
يتامى أم موكبا علويّا ؟
كزهور الربيع عرفا زكيّا
و نجوم الربيه نورا سنيا
و الفراشات وثبة و سكونا
و العصافير بل ألذّ نجيّا
'نّني كلّما تأمّلت طفلا
خلت أنّي أرى ملاكا سويا
قل لمن يبصر الضّباب كثيفا
إن ّ تحت الضّباب فجرا نقيّا
أليتيم الذي يلوح زريّا
ليس شيئا لو تعلمون زريّا
إنّه غرسة ستطلع يوما
ثمرا طيّبا وزهرا جنيّا
ربّما كان أودع الله فيه
فيلسوف ، أو شاعرا ، أو نبيّا
لم يكن كلّ عبقريّ يتيما

إنّما كان اليتيم صبيّا

ليس يدري ، لكنّه سوف يدري

أنّ ربّ الأيتام ما زال حيّا

عندما يصبح الصغير فتيّا

عندما يلبس الشباب حليّا

كلّ نجم يكون من قبل أن

يبدو سديما عن العيون خفيّا

إن يك الموت قد مضى بأبيه

ما مضى بالشّعور فيم وفيّا

و شقاء يولّد الرفق فينا

لهو الخير بالشّقاء ثريّا

لا تقولوا من أمّه ؟ من أبوه ؟

فأبوه و أمّه سوريّا

فأعينوه كي يعيش و ينمو

ناعم البال في الحياة رضيّا

ربّ ذهن مثل النهار منير

صار بالبؤس كالظّلام دجيّا

كم أثيم في السجن لو أدركته

رحمة الله كان حرّا سريّا

حاربوا البؤس صغيرا

قبل أن يستبدّ فيهم قويّا

كلّهم الجريح الملّقى

فلنكن كلّنا الفتى " السّامريّا "

عصر الرشيد

كم بين طيّات الخالية

عظة لأبناء الدهور الآتية

عبر اللّيالي كاللّيالي جمّة

لكنّما النزر القلوب الواعية

الدّهر يفنينا و نحسب أنّه

يفني بنا أيّمه و لياليه

فاذا مشى فينا الفناء فراعنا

خلق الخيال لنا الحياة الثانية

إنّ الحياة قصيدة ، أبياتها

أعمارنا ، و الموت فيها القافية

كم تعشق الدنيا و تنكر صدّها

أنسيت أنّ الخلف طبع الغانية ؟

و تودّ لو يبقى عليك نعيمها

أجهلت أنذ عيك ردّ العارية ؟

خلذ الغرور بما لديك فإنّما

دنياك زائلة و نفسك فانية

إنّ الألى وطئت نعالهم السّهى

و طئت جبالهم نعال الماشية

لو أنّ حيّا خالد فوق الثّرى

ما مات " هرون " و زال " معاوية "

أو كان عزّ دائما ما أصبحت

" بغداد " في عدد الطلول البالية

أخنت عليها ، فدروها

خرب تعاودها الرياح السّافية

يأوى إليها البوم غير مروّع

من كلّ نعّاب أحمّ الخافيه

نزل القضاء فما حماها سورها

ولطالما ردّ الجيوش الغازية

و اجتاح مجتاح العروش ملوكها

فكأنهم أعجاز نخل خاوية

أين القصور الشاهقات و أهلها

باد الجميع ، فما لهم من باقية

درست معالمها و غيّرها البلى

و لقد ترى حلل المحاسن كاسية

أيّام لا دوح المعارف ذابل

ذاو ، و لا دور الصّناعة خالية

أيّام لا لغة " الكتاب " غريبة

فيها و لا همم الأعارب وانية

أيّام كان العلم يغبط أهله

أهل الثراء ، ذوو البرود الضافية

أيّام كان لكلّ حسن شاعر

كلف به و لكلّ شعر راويه

أيّام " دجلة " مطمئن هاديء

جذلان يهزأ بالبحور الطامية

" النيل " خادمه الأمين ، و عبده

" نهر الفرات " و كلّ عين " جارية "

تهوى الكواكب أنّها حصباؤه

أو أنّها شجر عليه حانيه

و تودّ كلّ سحابة مرّت به

لو أنّه سحب عليها هامية

و ترى الغزاله طيفها عند الضحى

في سطحه فتبيت عطشى راوية

أيّام كان الشرق مرهوب

يكسو الجلال سهوله و روابيه

أيّام تحسها العواصم مثلما

حسد العواطل أختهنّ الحالية

و لطالما كانت تعزّ بعزّها

" مصر " و يحمي ذكرها " أنطاكيه "

***

أيّام " هرون " يدير شؤونها

يا عصر ط هرون " عليك سلاميه

ملك أدال من الجهالة علمه

و أذلّ صارمه الملوك العاتيه

ز مشت تطوّف في البلاد هباته

تغشى حواضرها و تغشى البادية

ملأ البلاد عوارفا و معارفا

و الأرض عدلا و النفوس رفاهيه

فتحضّر البادون في أيّاه

و استأنست حتّى الوحوش الضارية

و تسربلت " بغداد " ثوب مهابة

ليست تراه أو " تراه " ثانيه

هاتيك أيّام تلاشت مثلما

تمحو من الرقّ الحروف الماحية

لم يبق إلاّ ذكرها يا حسنها

ذكرى تهشّ لها العظام الباليه

لو أنّ هذا الدهر سفر كنت يا

عصر الحضارة متنه و الحاشية

عصر لئن جاء البشير بعودة

فلأخلعنّ على البشير شبابيه !..

***

إيه " أبا المأمون " ذكرك آبد

في الأرض مثل الشامخات الراسيه

باق على مرّ العصور بقاءها

و كذاك ذكر ذوي النفوس السامية

إن لم يكن لك مثال بيننا

فلأنّ روحك كلّ حين دانيه

هي في الخمائل زهرة فيّاحة

هي في الكواكب شمسها المتلالية

إنّي لأعجب كيف متّ و في الروي

حيّ و كيف طوتك هذي الطاوية

و من الزمان يهدّ ما شيّدته

ويح الزمان أما تهيّب بانيه ؟

تشكو إليك اليوم نفسي شجوها

فلأنت مفزع كلّ نفس شاكية

أتراك تعلم أنّ دارك بدّلت

من صوت " إسحق " بصوت النّاعية ؟

أتراك تعلم أنّ ما أثلته

قد ضيّعته الأنفس المتلاهية ؟

يا ويح هذا الشرق بعدك إنّه

للضعف بات على شفير الهاوية

ما كان يقنع بالنجوم وسائدا

و اليوم يقنع أهله بالعافية !

مسترسلون إلى الذهول كأنّما

سحروا أو اصطرعوا ببنت الخابية

مستسلمون إلى الفضاء كأنّما

أخذوا و لمّا يؤخذوا بالغاشية

ألمجد إدراك النفيس ، و عندهم

ما المجد إلاّ شادن أو شادية

يهوى الحياة الناس طوع نفوسهم

و هم يريدون الحياة كما هيه

صغرت نفوسهم فبات عزيزهم

يخشى الجبان كما يخاف الطاغية

حملوا المغارم ساكتين كأنّما

كبرت على أحناكهم لا الناهية

لم تسمع الدنيا بقوم قبلهم

ماتوا و ما برحوا الديار الفانية

الله لو حرصوا على أمجادهم

فتلك عنوان الشعوب الراقية

ملك " العلوج " أمورهم و متاعهم

حتّى سوامهم و حتّى الآنية

وا خجلة العربيّ من أجداده

صارت عبيدهم الطغاة موالية !..

***

أبني الغطارفة الجبابرة الألى

و طئوا " اللّوار " و دوّخوا " إسبانية "

من حولكم و أمامكم تاريخهم

فاستخبروه فذاك أصدق راويه

قادوا الجيوش فكلّ سهل ضيّق

ورموا المعاقل فهي أرض داحيه

و سطوا فأسقطت العروش ملوكها

رعبا و أجفلت الصروح العالية

و مشوا على هام النجوم فلم تزل

في اللّيل من وجل تحدّق ساهية

وردت خيولهم المجرّة شزّبا

و الشهب من حول المجرّة صادية

أعطاهم صرف الزمان زمامه

أمنوا و ما أمن الزمان دواهيه

لا أستفزّكم لمثل فتوحهم

لكن إلى حفظ البقايا الباقية

أتذلّ آناف الملوك جدودكم

و تسومكم خسفا رعاة الماشية ؟

كم تصبرون على الهوان كأنّكم

في غبطة و الذّلّ نار حامية

يا للرجال ! أما علمتم أنّكم

إن لم تثوروا ، أمّة متلاشية ؟

***

" دار السّلام " تحيّة من شاعر

حسدت مدامعه عليك قوافية

فأراق ماء شؤونه و لو أنّه

في الغاديات أراق ماء الغادية

لو كل مجدك مستردا بالبكا

قطرت محاجره الدماء القانية

فعليك تذهب كلّ نفس حسرة

و لمثل خطبك تستعار الباكية !!

انّ الحياة قصيدة

ما للقبور كأنّما لا ساكن

فيها ، و قد حوت العصور الماضية

طوت الملايين الكثيرة قبلنا ،

و لسوف تطوينا و تبقى خالية

أين المها و عيونها و فتونها ؟

أين الجبابر و الملوك العاتية ؟

زالوا من الدنيا كأن لم يولدوا ،

سحقتهم كفّ القضاء القاسية

إنّ الحياة قصيدة أعمارنا

أبياتها ، و الموت فيها قافية

متّع لحظك في النجوم و حسنها

فلسوف تمضي و الكواكب باقية

الأسطورة الأزليّة

كان زمان ، لم يكن كائنا

و حالة ، ما برحت باقية

ملّ بنو الإنسان أطوارهم

و برموا بالسقم و العافية

فاستصرخوا خالقهم و اشتهوا

لو أنّه كوّنهم ثانية

و بلغت أصواتهم عرشه

في ليلة مقمرة صافية

فقال ، إنّي فاعل ما اشتهوا

لعلّ فيه حكمة خافية
و شاهدوه هابطا من عل
فاحتشدوا في السّهل و الرّابيه
من القرى القانعة الطاوية
و المدن الجامحة الغادية
تألبوا من كلّ صوب كما
تجتمع الأمطار في الساقيه
يسابق الصّعلوك ربّ الغنى
و الأبله الباقعة الداهية
و يدفع الشّيخ التوى عوده
وصار مثل الرمّة البالية
فتى مضى الفجر و لمّا نزل
روعته في وجهه باقية
و تزحم الحسناء ممكورة
خلذابة كالروضة الحالية
دميمة تشبه في قبحها
مدينة مهجورة عافية
فقال ربّ العرش : ما خطبكم :
مابالكم صرخاتكم عالية ؟
هل أصبحت أرضكم عاقرا ،
أم غارت الأنجك في هاوية ؟
أم أقلع الماء فلا جدول ،
و ماتت الطير فلا شادية ؟
أم فقدت أعينكم نورها ،
أم غشيت أرواحكم غاشية ؟
أين الهوى ، إن لم يكن قد قضى
فكل جرح واجد آسية
الفتى :
قال الفتى : يا ربّ إنّ الصّبا
مصدر أحزاني و آلامي
ألبستنيه مونقا بعدما
أبلاه أخوالي و أعمامي
و صار في مذهبهم عصره
فترة زلاّت و آثام

فاختلفت حالي و حالاتهم
كأنّني في غير أقوامي
وصرت كالجدول في فدفد
أو شاعر ما بين أصنام
و الأخضر المورق في يابس
أو مثل صاح بين نوّام
دنياهم دنياي ، لكنّما
أعلامهم ليست كأعلامي
عندهم الروضة أشجارها
و الروض عندي الزهر النامي
و الطير لحم ودم عندهم
و ليس عندي غير أنغام
سكري بها أو بالندى و الشذى
و سكرهم بالخمر في الجام
يسخر قلبي بلياليهم
و يسخر الدهر بأيّامي
كأنّني جئت لتبكيتهم
كأنّما جاؤوا لإيلامي
عبء على نفسي هذا الصّبا
ألجائش المستوفز الطامي
يزرع حولي زهرات المنى
و شوكها في قلبي الدامي
فان ؛ له كلّ فان هوى
فان ، و لا ينجو من الذام
خذه ، و خذ قلبي و أحلامي
فإنّني أشقى بأحلامي
ومر يمرّ الدهر في لحظة
كالطيف أو كالبرق قدّمي
وازرع نجوم في لمّتي
فينجلي حندس أوهامي
الشبح :
وجاء شيخ حائر واجف
مشتعل اللّمّة بالي الإهاب
كأنّما زلزلة تحته

لما به رعشة واضطراب

فصاح : يا ربّاه خذ حكمتي

واردد على عبدك عصر الشباب

إنّ أماني الروح أزهارها

و إنّ روحي اليوم قفر يباب

تلك الأماني ، على كذبها ،

لم تكن اللّذّة فيها كذّاب

زالت و ما زالت ؛ و إنّ الشّقا

أن تطمس الآي و يبقى الكتاب

و تسلب السرحة أرواقها

و لم تزل أعراقها في التراب

كنت غنيّا في زمان الصّبا

و كنت صفر الكفّ ، صفر الوطاب

صحوت من جهلي فأبصرتني

كأنّني سفينة في العباب

قيل لها ، في البحر كلّ المنى

فلم تجد فب البحر إلاّ الضّباب

نأت عن الشّطّ و لم تقترب

شبرا من السرّ الذي في الحجاب

و لو ترجّى أو به لاشتفت

لكنّما عزّ عليها الإياب

مر تقف الأيّام عن سيرها

فإنّها تركض مثل السّحاب

وضع أمامي ، لا ورائي ، المنى

وطوّل الدرب ، وزد في الصّعاب

ما لذّتي بالماء أروى به

بل لذّتي بالعدو خلف السّراب

الحسناء :

و قالت الحسناء : يا خالقي

و هبتني الحسن فأشقيتني

وجهي سنّي مشرق ، و إنّما

مرعى عيون الخلق وجهي السني

حظّي منه حظّ ورد الربى

من عطره الفوّاح و السوسن

و مثل حظّ السرو من فيئه

و الطير من تغريدها المتقن

و مثل حظّ النجم من نوره

في الحندس المعتكر الأدجن

للقائل الفيء ، و السامع

التغريد ، و الزهرة للمجتني

و النور للمدلج و المجتلي ،

و الدرّ للغائص و المقتني

كم ريبة دبّت إلى مضجعي

مع الجمال الرائع الممكن

إن عشقت نفسي فويل لها

و الويل لي إن رجل حبّني

السمّ و الشوك و جمر الغضا

أهون من كاشحة الألسن

كم تقتفيني نظرات الخنا

ويلي من خائنة الأعين

لم يبق في روحي من موضع

يت ربّ لم يخدش و لم يطعن

إنّ الغنى في الوجه لي آفة

فليت أنّي دمية ليتني ...

الجارية :

و سكتت ؛ فصاحت الجارية

باكية من بؤسها شاكية :

ذنبي إلى هذا الورى خلقتي

فهل أنا المجرمة الجانية ؟

إن أخطأ الخزّاف في جبله ال

طين فأيّ ذنب للآنية ؟

أليس من يسخر بي يزذري

بالقوّة الموجدة البارية ؟

لو كنت حسناء بلغت العلى

فللجمال الرتبة العالية

فبات من أسجد قدّامه

صاغرة يسجد قدّمية

فإنّني في ملإ ظالم

أحكامه جائرة قاسية
ليس لذّات القبح من غافر
وفيه من يغفر للزّانية
نفسي جزء منك ، يا خالقي
و إنّها عاقلة راقية
أليس ظلما ، و هي بنت العلى ،
إن تك بالقبح إذن كاسية ؟
فليكن الحسن رداء لها
ترفل به ، أو فلتكن عارية
الفقير
و أقبل الصّعلوك مسترحما
في مقلتيه شبح اليأس
يصرخ يا ربّاه حتّى متى
تحكّم الموسر في نفسي ؟
و تضع التاج على رأسه
و تضع الشوك على رأسي ؟
و يشرب اللذّات من كأسه
و أشرب الغصّات من كأسي
و تنجلي الأنجم في ليله
ضاحكة كالغيد في عرس
و يتوارى في نهري السنا
أو يتبدّى حانق الشّمس
يا ربّ لا تنقله عن أنسه
و إنّما إلى الأنس
فإن تشأ أن لا يذوق الهنا
قلبي فجرّدني من الحسّ
لو لم يكن غيري في غبطة
ما شعرت روحي بالبؤس
الغني :
و قال ذو الثروة : ما أشتهي
لا أشتهي أنّي ذو ثروة
أنفقت أيّامي على جمعها
و خلتني أدركت أمنيتي
فاستعبدتني في زمان الصبا

و أوقرت بالهمّ شيخوختي

قد ملكتني قبلما حزتها

و ملكتني و هي في حوزتي

كنحلة أمسكها شهدها

من الجناحين فلم تفلت

حسبتها تكسبني قوّة

فافترست قوّتها قوّتي

جنت على نفسي و أحلامها

جناية الشوك على الوردة

ينمو فتذوي فهي علّيقه

يحذرها الطائف بالروضة

من قائل عنّي لمن خالني

أمرح من دنياي في جنّة :

لا تنظر الأضواء في حجرتي

وانظر إلى الظلماء في مهجتي

و لا يغرّنّك قصري فما

قصري سوى سجن لحرّيّتي

أنّي في الصرح الرفيع الذرى

كطائر ، في قفص ، ميّت

كم في عباب البحر من سابح

قد مات ظمآنا إلى قطرة

موت الطوى شرّ و لكنّما

أفظع منه الموت بالتّخمة

إن سهر العاشق من لوعة

أو سهر المحزون من كربه

فالشوق كالحزن له آخر

و ينقضي في آخر المدّة

أمّا أنا فقلقي دائم

ما دمت في مالي و في فضّتي

و الخوف من كارثة لم تقع

أمضّ من كارثة حلّت

كم من فقير مرّ بي ضاحكا

كأنّما يسخر من غصّتي

رأيته بالأمس من كوّتي

فخلتني أنظر من هوّة

و كنت كالحوت رأى موجة

ضاحكة ترقص كالطفله

أو حيّة تدبّ في منجم

ترنو إلى فراشة حرّه

قد اختفت ذاتي في بردتي

فما يرى الخلق سوى بردتي

فهم إذا ما سلّموا سلّموا

على خيوط البرد و الحلّة

ربّاه أطلق من عقال الغنى

روحي ، فإنّي منه في محنه

وانزع من الدينار من قبضتي

صلابة الدينار من سحنتي

و حوّل المال إلى راحة

و حوّل القصر إلى خيمة

للأبله

و صرخ الأبله مستفسرا

ما القصد من خلقي كذا و المراد ؟

ألم يكن يكمل هذا الورى

إلاّ أوجدتني في فساد

لي صورة النّاس و حاجاتهم

من مطعم أو مشرب أو رقاد

لكنّ لبّي غير ألبابهم

فإنّه مكتنف بالسواد

يعجزني إدراك ما أدركوا

كأنّ عقلي فحمة أو رماد

إن كنت إنسانا فلم يا ترى

لست بادراكي كباقي العباد ؟

أولم أكن منهم فمرني أكن

جرادة أو أرنبا أو جواد

فالندّ لا يعدم مع ندّه

ذريعة للسلم أو للجهاد

لا تسخر النّملة من نملة

و ليس يزري بالقراد القراد

أم أنت كالحقل على رغمه
ينمو مع الحنطة فيه القتاد
للأديب :
وجاء بعد المستريب
الألمعي العبقريّ اللّبيب
فقال : إنّي تائه حائر
أنا غريب في مكان غريب
أبحث عن نفسي فلا أهتدي
و ليس يهديني إليها أريب
أنا عليم حيث لا عالم
أنا لبيب عند غير اللّبيب
لو أنّني كنت بلا فطنه
سرت و لم تكثر أمامي الدروب
و كان عقلي كعقول الورى
و كان قلبي مثل باقي القلوب
و ثار عندي كالنجوم الورى
فلا عدوّ فيهم أو حبيب
ولم أر في ضحكهم و البكا
شيئا سوى الضّحك و غير النّحيب
و لم أسائل كوكبا طالعا
ما لك تبدو ، و لماذا تغيب
و لم أقف في الروض عند الضحى
يذهلني لون و شكل و طيب
و لم أقل ما كنت من قبلما
كنت ، و لا ما في سجلّ الغيوب
ما العقل ، يا ربّ ، سوى محنة
لولاه لم تكتب عليّ الذنوب
الخاتمة :
لمّا وعى الله شكايا الورى
قال لهم : كونوا كما تشتهون
فاستبشر الشيخ و سرّ الفتى
و الكاعب الحسناء و الحيزبون
...
لكنّهم لمّا اضمحلّ الدجى

لم يجدوا غير الذي كانا

...

هم حدّدوا القبح فكان الجمال

و عرّفوا الخير فكان الطلاح

و ليس من نقص و لا من كمال

فالشوك في التحقيق مثل الأقاح

...

و ذرّة الرمل ككلّ الجبال

و كالذي عزّ الذي هانا

بلادي

إنّي مررت على الرياض الحالية

و سمعت أنغام الطيور الشادية

فطربت ، لكن لم يحبّ فؤادية

كطيور أرضي أو زهور بلادي

و سربت ماء النيل شيخ الأنهر

فكأنّني قد ذقت ماء الكوثر

نهر تبارك من قديم الأعصر

عذب ، و لكن لا كماء بلادي

و قرأت أوصاف المروءة في السير

فظننتها شيئا تلاشى و اندثر

أو أنّها كالغول ليس لها أثر

فإذا المروءة في رجال بلادي

ورسمت صورة في خاطري

للحسن ، إنّ الحسن ربّ الشاعر

و ذهبت أنشدها فأعيا خاطري

حتّى إلى بنات بلادي

قالوا : أليس الحسن في كلّ الدنى

فعلى م لم تمدح سواها موطنا

فأجبتهم إنّي أحبّ الأحسنا

أبدا ، و أحسن ما رأيت بلادي

قالوا : رأيناها فلم نر طيّبا

و لّى صباها و الجمال مع الصّبا

فأجبتهم : لتكن بلادي سبسبا

قفرا ، فلست أحبّ غير بلادي
قالوا : تأمّل أيّ حال حالها
صدع القضاء صروحها فأمالها
ستموت ... إنّ الدهر شاء زوالها
أتموت ؟ كلّا ، لن تموت بلادي
هي كالغدير إذا أتى فصل الشتا
فقد الخرير و صار يحكي الميتا
أو كالهزار حبسته ... لكن متى
يعد الربيع يعد إلى الإنشاد
ألكوكب الوضّاح يبقى كوكبا
و لئن تستّر بالدجى و تنقّبا
ليس الضباب بسالب حسن الرّبى
و البؤس لا يمحو جمال بلادي
لا عزّ إلاّ بالشباب الراقي
ألناهض العزمات و الأخلاق
ألثائر المتفجّر الدقّاق
لولاه لم تشمخ جبال بلادي

الحرّيّة

فتنته محاسن الحرّيّة
لا سليمى و لا جمال سميّه
هي أمنية الجميع و لكن
أرهقته الطبيعة البشريّة
و عجيب أن يخلق المرء حرّا
ثمّ يأبى لنفسه الحرّيّة
غادة ما عرفت قلبا خليّا
من هواها حتّى القلوب الخليّة
غرست في فؤاده الحبّ طفلا
فنما الحبّ و الفؤاد سويّه
ثمّ لمّا فشى الغرام و ذاعت
عنهما في الورى أمور خفيّة
حجبوها يسلو و لكن
كان قيسا و كانت العامريّة
بات يشكو النّوى الشّقيّ و تشكو

مانعيها من أن تراه الشّقيّة

مستهام قضى زمانا طويلا

في عناء من القيود القويّة

و عليه من الزمان رقيب

عاشق للسيادة الوهميّة

و لكلّ مطامع و أماني

يبذل النفس دونها للمنيّة

و يراها لديه أشرف شيء

و هي أدنى من الأكور الدنيّة

زعموا أنّه المليك المفدّى

بالرعايا من شرّ كلّ بليّة

إنّما تفتدي الرعيّة ملكا

باذلا نفسه فدى للرعيّة

ظلم القوم من توهّمه القوم

نصيرا للأمّة الروسيّة

و إذا أحرج الضّعاف قويّ

نسيت ضعفها النفوس الأبيّة

خير شيء

ذهبت مسائلا عن خير شيء

لأعرف كنه أخلاق البريّه

فقالت لي الكنيسة خير شيء

هو الزهد الذي يمحو الخطيّه

و قالت لي الشريعة : خير شيء

شمول العدل أبناء الرّعيّه

و قال الشهرة ، الجنديّ خير

و إن كانت تقود إلى المنيّة

و قال أخو الحصافة : خير شيء

هو الحقّ المبين بلا مريّة

و قال أخو الجهالة : خير شيء

سرور النفس في الدنيا الدّنيّة

و قال لي الفتى وصل الصّبايا

و قالت لي الهوى البنت الصبيّه

و لمّا أن خلوت سألت نفسي

لأعرف رأيها في ذي القضيّح

فقالت لا أرى خيرا و أبقى

من الإحسان للنفس الشّقيّة

الخلود

غلط القائل إنّا خالدون

كلّنا بعد الرّدى هيّ بن بيّ

*

لو عرفنا ما الذي قبل الوجود

لعرفنا نا الذي بعد الفناء

نحن لو كنّا " كما قالوا " نعود

لم تخف أنفسنا ريب القضاء

إنّما القول بأنّا للخلود

فكرة أوجدها حبّ البقاء

نعشق البقيا لأنّا زائلون

و الأماني حيّة في كلّ حيّ

*

زعموا الأرواح تبقى سرمدا

خدعونا ... نحن و الشّمع سواء

يلبث النور بها متّقدا

فإذا ما احترقت باد الضياء

أين كان النور ؟ أنّي وجدا ؟

كيف ولّى عندما زال البناء ؟

شمعتي فيها لطلّاب اليقين

آيه تدفع عنهم كلّ غيّ

*

ليست الروح سوى هذا الجسد

معه جاءت ومعه ترجع

لم تكن موجودة قبل وجد

و لهذا حين يمضي تتبع

فمن الزور الموشّى و الفند

قولنا : الأرواح ليست تصرع

تلبث الأفياء ما دام الغصون

فإذا ما ذهبت لم يبق في

*

لو تكون الروح ما لا يضمحل

ما جزعنا كلّما جسم همد

لو تكون الروح جسما مستقل

لرآها من يرى هذا الجسد

كلّ ما في الأرض من عين و ظل

سوف ينحلّ كما انحلّ الزبد

و لئن صحّ بأنّا منشرون

جاز أن يعقب ذاك النّشر طيّ

*

ليت من قالوا بأنّا كالزهور

خبّرونا أين تمضي الرائحه ؟

أترى تبقى كألحان الدهور ؟

أم تلاشى مثل صوت النائحه ؟

ليت شعري أيّ خلد للبذور

بعد أن تلقى بنار لافحة ؟

قل لمن يخبط في ليل الظنون

ليس بعد الموت للظّاميء ري

*

مثلما يذهب لون الورقه

عندما تيبس في الأرض الأصول

مثلما يفقد نور الحدقه

حين أقضي .. هكذا نفسي تزول

كتلاشي الشمعة المحترقة

تتلاشى بين ضحك و عويل

أنا بعد الموت شيئا لا أكون

حيث أنّي لم أكن من قبل شيء !

*

إيه أبناء الثّرى نسل القرود

علّلوا أنفسكم بالترّهات

ألبسوا في صحوكم ثوب الجمود

واحلموا في نومكم بالمعجزات

فسيأتي زمن غير بعيد

تتهادى بينكم فيه أيّاه !!

و يحلّ الله في ماء وطين

فيراه الشّيخ و الشاب الأحيّ !

الكريم

قالوا : ألا تصف الكريم لنا ؟ فقلت على البديه :

إنّ الكريم لكالربيع ، تحبّه للحسن فيه

و تهشّ عند لقائه ، و يغيب عنك فتشتهيه

لا يرضي أبدا لصاحبه الذي لا يرتضيه

و إذا اللّيالي ساعفته لا يدلّ و لا يتيه

و تراه يبسم هازئا في غمرة الخطب الكريه

و إذا تحرّق حاسدوه بكى ورقّ لحاسديه

كالورد ينفح بالشّذى حتّى أنوف السارقيه

عروس الجمال

إذا أطلّ البدر من خدره

فإنّما يطلع كي تنظريه

و إن ذدا البلبل في وكره

فإنّما يشدو لكي تسمعيه

و إن يفح عطر زهور الربى

فإنّما يعبق كي تنشقيه

يا ليتني البدر الذي تنظرين !

يا ليتني الطير الذي تسمعين !

+يا ليتني العطر الذي تنشقين !

أوّاه ! لو تصدّق يا ليتني !